

# البيان

لحال حركة الاتجاه الإسلامي

«حزب النهضة»

ومؤسسها راشد الغنوشي

الملقب بـ «زعيم الحركة الإسلامية في تونس!»

تقرير فضيلة الشيخ العلامة المحرم

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

كتبه

أبو عبيدة التونسي



## مقدمة فضيلة الشيخ العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فهذا بيان مهم لحال حزب النهضة ومؤسسه راشد الغنوشي الإخواني وما ينطوي عليه من ضلال وانحراف في الواقعة في جناب نبي الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وغير ذلك، مما ستره موثقاً في هذه الرسالة المفيدة، جزى الله كاتبها خيراً وهدى الله المردود عليه وجنب المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه هذا الحزب ومؤسسه من الزيغ والانحراف، والله الموفق.

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

في ٢١/١١/١٤٣٢ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].  
أما بعد، فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

إن من أعظم ما أنعم الله عز وجل به على عباده المؤمنين الإسلام والسنة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.

والمؤمنون يفرحون بنعمة الله عز وجل عليهم وتوفيقهم للسنّة، قال أبو العالية: ما أدري أي النعمتين عليّ أفضل أن هداني للإسلام أو لم يجعلني حروريًا.

وابن مسعود رضي الله عنه فرح فرحًا شديدًا حين وافق قضاؤه قضاء رسول الله ﷺ فيمن تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها صداقًا، وفي رواية: فما روي عبد الله فرح فرحةً يومئذٍ إلا بإسلامه.

والواجب هو الحفاظ على هذه النعمة بالتمسك بالسنّة والإتباع وعدم الإبتداع.

قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى: رحمه الله عبدًا حذر هذه الفرق وجانب البدع واتبع ولم يبتدع ولزم الأثر فطلب الطريق المستقيم واستعان بمولاه الكريم. اهـ

وإن من تمام الحفاظ على هذه النعمة البعد عن البدع والحذر والتحذير من أهلها ونصح المسلمين في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وذلك أنه - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - كلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة.

وإن من الأحزاب التي عظم شرها في هذه الأوقات ومع هذه الفتن والأحداث في القطر التونسي وربما تعدى إلى غيره، حركة الإتجاه الإسلامي (حزب النهضة)، وهم يسمون في ذلك البلد عند عامة الناس بـ (الخوانجية) نسبة إلى الإخوان المسلمين. ومؤسس هذا الحزب ومنظره الذي أرسى قواعده وبنوده وروج أفكاره على طريقة الإخوان المسلمين هو راشد الغنوشي، الذي اغتر به كثير من المسلمين، ولعل من أسباب ذلك هو إظهاره الدفاع عن الإسلام والتكلم باسم الدين، والمسلمون في ذلك القطر وفي غيره يحبون الإسلام ومن يدعو إليه وينافح عنه، فخفي عليهم حاله وما ينطوي عليه الرجل من أفكار وعقائد، وظنوا

أنه ستقام به دولة الإسلام وترفع رايته، وصدق ابن حزم إذ يقول: واعلموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلال لم يجز الله تعالى قط على أيديهم خيرًا، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين. اهـ

فتعين بعد ذلك البيان والرد، فشددتُ الإقتعاط<sup>(١)</sup>، وانقشعت عني سحائب الكسل وأحسست بقوة النشاط، فناديت فكري فجاء ما تفرق منها شَمَطَاط<sup>(٢)</sup>، فوردت المنهَلْ للإلتقاط، وتبيأت للرباط، وقعدت لطعنٍ مثل تعطيط الرِّهَاط<sup>(٣)</sup>، حتى ظهرت للصبح الأفراط<sup>(٤)</sup>، فحمدت الله تعالى ونشرت بساط الإنبساط، وحصل لي كمال الإغبطاط. وأسमित الرد بـ «بيان حال حركة الإتجاه الإسلامي (حزب النهضة) ومؤسسها راشد الغنوشي الملقب بـ (زعيم الحركة الإسلامية في تونس!)».

وقد ضم هذا السّفر مسائل عقدية، ومنهجية، ودعوية، وأصولية، وفقهية، وأخرى في السياسة الشرعية.

وقد اعتمدت في البحث على كتب الغنوشي التالية:

١ - من تجربة الحركة الإسلامية في تونس.

٢ - الحركة الإسلامية ومسألة التغيير.

٣ - القدر عند ابن تيمية.

---

(١) الإقتعاط: شد العمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك.

(٢) الشمَاطيط: القطع المتفرقة، الواحدة شمطاط.

(٣) الرهَاط: جلود تشقق سيورًا، والتعطيط: التشقيق.

(٤) أي أول تباشيره.

- ٤ - المرأة بين القرآن وواقع المسلمين.
- ٥ - من الفكر الإسلامي في تونس.
- ٦ - الحريات العامة في الدولة الإسلامية.
- تنبيه: وقع لي هذا الكتاب غير مرقم، فرقمته من (مقدمة سليم العوا) إلى آخر الكتاب حسب الترقيم التسلسلي من (١) إلى (٣٤٩).
- ٧ - مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني.
- ٨ - مقالات لراشد الغنوشي.
- ٩ - مقال بعنوان: أشواك السلفية هي انعكاس لعنف السلطة.
- ١٠ - مقال بعنوان: تارك الشورى مثل تارك الصلاة.

#### خطة البحث:

- ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] (الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة).
- أهمية الكلام في الجرح والتعديل وقيام السلف به.

#### الباب الأول:

- الفصل الأول: ترجمة راشد الغنوشي.
- الفصل الثاني: بعض أقوال العلماء في راشد الغنوشي.
- الفصل الثالث: التعريف بحركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة).
- الفصل الرابع: البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي.
- الفصل الخامس: راشد الغنوشي وتركه البناء.
- الفصل السادس: الإخوان المسلمون في ميزان الكتاب والسنة.

#### الباب الثاني:

- الفصل الأول: مفاهيم يجب أن تصحح (تمهيد)
  - الفصل الثاني: مصطلح الحركة الإسلامية.
  - الفصل الثالث: مصطلح الصحوة الإسلامية.
  - الفصل الرابع: مصطلح الفكر الإسلامي.
  - الفصل الخامس: مطلق فقه الواقع.
- الباب الثالث: مصادر التشريع ومناهج الإستدلال عند الغنوشي.

- الفصل الأول: الكتاب والسنة.
- مبحث: في الإجتهد والتقليد.
- الفصل الثاني: العقل.
- الفصل الثالث: الفلسفة.
- الفصل الرابع: كتب أهل الكتاب.
- الفصل الخامس: الأمة مصدر الشريعة.
- مبحث: جناية الغنوشي على ثالث الأدلة الشرعية (الإجماع).
- الفصل السادس: الدستور والقانون.
- الفصل السابع: شريعة حقوق الإنسان والقانون الدولي.

#### الباب الرابع:

- الفصل الأول: تعريف الإسلام والتوحيد عند الغنوشي.
- الفصل الثاني: أشعرية الغنوشي في باب الصفات.
- الفصل الثالث: استهانة راشد بأمر العقيدة الإسلامية.

- الفصل الرابع: تمجيد راشد لمذهب المعتزلة وثناؤه على رؤوس الضلال: معبد الجهني، غيلان الدمشقي، وواصل بن عطاء الغزال.
- الفصل الخامس: حزب النهضة حركة صوفية بشهادة مؤسسه الغنوشي.
- الفصل السادس: جماعة التبليغ متواجدون داخل حزب النهضة.
- الفصل السابع: الدليل على أن الغنوشي حاطب ليل.

#### الباب الخامس:

- الفصل الأول: دعوة الغنوشي إلى حرية الاعتقاد.
- الفصل الثاني: الغنوشي يستدل بكفر إبليس على حرية الاعتقاد والتعبير.
- الفصل الثالث: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.
- الفصل الرابع: الإسلام عند راشد نوعان: إسلام بالعقيدة وإسلام بالحضارة.
- الفصل الخامس: الغنوشي: المنافقون مشكلتهم نفسية وليست فكرية!
- الفصل السادس: نتيجة حرية الاعتقاد: دعوة الغنوشي إلى التسامح مع الكافرين ولو كانوا محاربين.
- الفصل السابع: الغنوشي يميز للكافرين إقامة المعابد في بلاد الإسلام ودعوة المسلمين إلى الكفر.
- الفصل الثامن: الغنوشي يميز للأقلية الكافرة في بلاد المسلمين إقامة المحاكم التي تحكم بينهم بغير ما أنزل الله.
- الفصل التاسع: الغنوشي من دعاة التقريب بين الأديان.
- الفصل العاشر: الغنوشي يصرح بنزع الصفة الشرعية لعقود أهل الذمة ويعتبرها قضية تاريخية غير ملزمة للأمة.

- الفصل الحادي عشر: ذكر الشروط العمرية.
- الفصل الثاني عشر: الغنوشي يلغي حد الردة قرباناً لصنم (حرية الاعتقاد)
- الفصل الثالث عشر: الغنوشي يدعي حظر الرق.
- الفصل الرابع عشر: كسر طاغوت: نزع الصفة الشرعية وإضفاء الصفة التاريخية على الأحكام الإلهية.

#### الباب السادس:

- الفصل الأول: الغنوشي يستقسم بأزلام الديمقراطية.
- الفصل الثاني: الفروق بين الشورى والديمقراطية.
- الفصل الثالث: الغنوشي: تارك الشورى مثل تارك الصلاة.
- الفصل الرابع: دعوة الغنوشي إلى التحزب والتعددية الحزبية.
- الفصل الخامس: دعوة الغنوشي للإسلاميين إلى دخول المجالس البرلمانية.
- الفصل السادس: دعوة الغنوشي إلى إنشاء الجمعيات الحزبية.

#### الباب السابع:

- الفصل الأول: طعن الغنوشي في أنبياء الله عز وجل.
- الفصل الثاني: الطعن في رسول الله ﷺ.
- الفصل الثالث: ذكر نبذ من فضائل أصحاب النبي ﷺ مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم.
- الفصل الرابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره من الصحابة.

- الفصل الخامس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

- الفصل السادس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه.

- الفصل السابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل أبي بكر رضي الله عنه.

#### الباب الثامن:

- الفصل الأول: الغنوشي والتكالب على السلطة.

- الفصل الثاني: طعن الغنوشي في كتب السياسة الشرعية وتفسير الحافظ ابن كثير.

- الفصل الثالث: دفع التهمة عن أهل السنة: أنهم ليس لهم عناية بالسياسة.

- الفصل الرابع: الغنوشي: مسألة القرشية في الإمامة العظمى مسألة سياسية وليست قضية دينية مؤبدة.

- الفصل الخامس: وصف الغنوشي المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية.

- الفصل السادس: تكفير الغنوشي لكثير من حكام المسلمين ورميهم بالفرعونية.

- الفصل السابع: دعوة الغنوشي إلى خوض المعارك الانتخابية.

- الفصل الثامن: دعوة الغنوشي إلى الثورة (الخروج) على حكام المسلمين.

- الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المظاهرات والإعتصامات والإضرابات.

#### الباب التاسع:

- الفصل الأول: راشد الغنوشي واعتقاد نبوة النساء.

- الفصل الثاني: الغنوشي يدعي إمكانية الحد من تعدد الزوجات عند المسلمين.
- الفصل الثالث: الغنوشي يجوز اختلاط الرجال بالنساء.
- الفصل الرابع: الغنوشي يدعو إلى مشاركة المرأة في الحياة السياسية كالقضاء والإمارة ومجلس النواب....

## الباب العاشر:

- الفصل الأول: إيمان الغنوشي بالإشترابية ودعوته إليها.
- الفصل الثاني: الغنوشي: الفرقة الناجية هم كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم.
- الفصل الثالث: تحبب الغنوشي في مفهوم السلفية.
- الفصل الرابع: الغنوشي وقاعدة المعذرة والتعاون.
- الفصل الخامس: الغنوشي وابن تومرت.
- الفصل السادس: الغنوشي والمدرسة العقلية: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.
- الفصل السابع: الغنوشي.. والثورة الإيرانية.. والحميني.. وإيران؟
- الفصل الثامن: الغنوشي وتكوينه التنظيم السري.. حقائق مخفية!
- الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المسرح والسينما والغناء والموسيقى...
- الفصل العاشر: ثناء الغنوشي على فرنسا.
- الفصل الحادي عشر: الغنوشي وقناة الجزيرة.
- والتقت حلقتا البطان (الخلاصة).
- الخاتمة.

## ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾

(الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، فقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»

عن عبد الرحمن بن الأصم، قال: سُئِلَ أَنَسُ عَنْ التَّكْبِيرِ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ يُكَبِّرُ إِذَا رَكَعَ وَإِذَا سَجَدَ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَإِذَا قَامَ بَيْنَ الرَّكْعَتَيْنِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ: عَمَّنْ تَحْفَظُ هَذَا؟ قَالَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ثُمَّ سَكَتَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ: وَعُثْمَانُ؟ قَالَ: وَعُثْمَانُ.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم.

قال الإمام الزهري رحمه الله: كان من مضى - من علمائنا يقولون: الإعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضاً سريعاً، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالإتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً.

## أهمية الكلام في الجرح والتعديل وقيام السلف به

إن من العلوم الشرعية التي عزّ من يقوم بها في هذا العصر لما تتطلبه من علم وتقوى وصلاح وورع وشجاعة في الصدع بالحق، علم الجرح والتعديل، هذا العلم الذي تنكر له بعضهم، وسعى في هدمه آخرون فأصلوا القواعد المخالفة لمعارضة هذا العلم والدفاع عن أهل الأهواء والبدع، كقاعدة (المعذرة والتعاون)، و(نصح ولا نجرح)، و(حمل المجرم على المفصل)... والحق أن هذا علم شريف، نصح لدين الله عز وجل وللمسلمين وذب عن الشريعة المطهرة، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على جواز الكلام في الجرح والتعديل، بل عد من الواجبات للحاجة إليه، ومن نقل الإجماع على ذلك الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (١/٣٤٨)، والسخاوي في «فتح المغيث» (٤/٣٥٦)، وقبلهما النووي في «رياض الصالحين» (ص ٥٠٩). وقد قام السلف بذلك خير قيام فجرحوا من يستحق الجرح وعدلوا من يستحق التعديل.

قال الإمام أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى: وقد عاب بعض من لا يفهم على أصحاب الحديث الكلام في الرجال، وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال منهم: الحسن البصري وطاوس، قد تكلموا في معبد الجهني، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور.

وهكذا روي عن أيوب السخيتاني، وعبد الله بن عون، وسليمان التيمي، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال وضعفوا فما حملهم على ذلك عندنا - والله أعلم - إلا النصيحة للمسلمين، لا نظن أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي

يعرفوا، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة، وبعضهم كان متهماً في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتبييناً، لأن الشهادة في الدين أحق أن تثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال. اهـ (١)

قال الإمام النووي رحمه الله: اعْلَمْ أَنَّ الْغَيْبَةَ تُبَاحٌ لِعَرَضٍ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ:

الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِ: مِنْهَا جَرْحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ وَذَلِكَ جَائِزٌ بِإِجْمَاعٍ.

ومنها: إِذَا رَأَى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ الْعِلْمُ، وَخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ الْمُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بَيَانِ حَالِهِ، بِشَرَطٍ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ.

الخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفُسْقِهِ أَوْ بِدُعَاةِ كَالْمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمُصَادَرَةِ النَّاسِ، وَأَخْذِ الْمَكْسِ، وَجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلَّى الْأُمُورِ الْبَاطِلَةَ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهَرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بَعْدَهُ مِنَ الْعُيُوبِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَوَازِهِ سَبَبٌ آخَرٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ. اهـ (٢)

قال محمد بن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقال ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

---

(١) «شرح علل الترمذي» لابن رجب (١/ ٣٤٧-٣٤٨) تحقيق همام عبد الرحيم.

(٢) «رياض الصالحين» (ص ٥٠٨-٥١٠) باختصار.

عن بهز بن حكيم قال: لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحده لم يستطع أخذها منه إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول.

عن علي بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك على رؤوس الناس يقول: دعوا حديث عمرو بن ثابت، فإنه كان يسب السلف.

وكان أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج يقول: تعالوا نغتاب في الله ساعة، يعني نذكر الجرح والتعديل.

ذكر ابن المبارك رجلاً فقال: يكذب، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن تغتاب؟ قال: اسكت، إذا لم تبين كيف يعرف الحق من الباطل.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: جاء أبو تراب النخشي إلى أبي فجعل أبي يقول: فلان ضعيف، وفلان ثقة، فقال أبو تراب: يا شيخ لا تغتب العلماء. قال: فالتفت أبي إليه، قال: ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة.

عن عبد الله بن أحمد قال: قلت لأبي: ما تقول في أصحاب الحديث يأتون الشيخ لعله أن يكون مرجئاً أو شيعياً أو فيه شيء من خلاف السنة، أيسعني أن أسكت عنه أم أحذر عنه؟ فقال أبي - يعني أحمد -: إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها ويدعو إليها، قال: نعم تحذر عنه.

عن الحسن قال: لا تجالسوا معبداً فإنه ضال مضل.

انظر «مقدمة صحيح الإمام مسلم»، و«الكفاية» للخطيب (ص ٣٧-٤٦)، و«رياض الصالحين» (ص ٥٠٨-٥١١)، و«شرح علل الترمذي لابن رجب» (١/ ٣٤٣-٣٥٦)، و«فتح المغيث» للسخاوي (٤/ ٣٥٢-٣٦٤)، وقد جمع الإمام الوادعي جملة طيبة موسعة في أدلة الجرح والتحذير من البدع وأهلها في كتابه «نشر الصحيفة» (ص ٥٢-١٢٤).

## الباب الأول:

- الفصل الأول: ترجمة راشد الغنوشي.
- الفصل الثاني: بعض أقوال العلماء في راشد الغنوشي.
- الفصل الثالث: التعريف بحركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة).
- الفصل الرابع: البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي.
- الفصل الخامس: راشد الغنوشي وتركته البناء.
- الفصل السادس: الإخوان المسلمون في ميزان الكتاب والسنة.

## الفصل الأول: ترجمة راشد الغنوشي<sup>(١)</sup>

ولد الشيخ راشد الغنوشي عام ١٩٤١ م<sup>(٢)</sup> بقرية الحامة بالجنوب التونسي.

الدراسة:

تلقى الشيخ راشد الغنوشي تعليمه الابتدائي بالقرية ثم انتقل إلى مدينة قابس ثم إلى تونس العاصمة حيث أتم تعليمه في الزيتونة، انتقل بعد ذلك إلى مصر لمواصلة دراسته خصوصاً وأنه كان من المعجبين بتجربة عبد الناصر القومية، لكنه لم يستقر بها طويلاً، وانقل إلى دمشق في سوريا حيث يدرس بالجامعة وحصل على الإجازة في الفلسفة وهناك بدأت تتبلور المعالم الأولى لفكره الإسلامي.

الإنسحاب إلى الحركة الإسلامية:

(١) انظر السيرة الذاتية للشيخ راشد الغنوشي (المصدر: موقع الشيخ راشد الغنوشي)، وكتاب «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ١٥، وما بعدها)، و(ص ٢٤٩-٢٥٠).

(٢) تنبيه: الأصل في التقويم الشرعي عند المسلمين هو التقويم الهجري قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، وروى البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الزَّمانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ الْمُضَرِّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ».

وأما التاريخ الميلادي فلم يأت به دليل من كتاب ولا سنة وهو تشبه بالكافرين مع ما في هذا التاريخ من عدم انضباط. فما وجد في هذا الكتاب من الحساب بالميلادي سببه عدم توفر تدوين الحادثة بالتاريخ الهجري فإني ناقل من مصادر القوم، والله المستعان.

انتقل الشيخ راشد الغنوشي إلى فرنسا لمواصلة الدراسة بجامعة السربون، وبموازاة الدراسة بدأ نشاطه الإسلامي وسط الطلبة العرب والمسلمين كما تعرف على جماعة الدعوة والتبليغ ونشط معها في أوساط العمال المغاربة.

تأسيس حركة الاتجاه الإسلامي (النهضة):

في نهاية الستينات عاد الشيخ الغنوشي لتونس وبدأ نشاطه الدعوي وسط الطلاب وتلاميذ المعاهد الثانوية الذين تشكلت منهم حركة الاتجاه الإسلامي المعروفة بالنهضة.

المحاكمة والسجن:

حوكم الشيخ الغنوشي بسبب نشاطه الدعوي والسياسي عدة مرات وكان أهمها:

- محاكمته عام ١٩٨١ م وقد حُكم عليه بالسجن ١١ عامًا.
- محاكمته عام ١٩٨٧ م وقد حُكم عليه بالسجن مدى الحياة.
- محاكمته غيابياً عام ١٩٩١ م مرة أخرى بالسجن مدى الحياة.
- محاكمته غيابياً عام ١٩٩٨ م بنفس الحكم السابق.

من مؤلفاته:

- طريقنا إلى الحضارة.
- نحن والغرب.
- حق الاختلاف وواجب وحدة الصف.
- القضية الفلسطينية في مفترق الطرق.
- المرأة بين القرآن وواقع المسلمين.

- حقوق المواطنة في الدولة الإسلامية.
  - القدر عند ابن تيمية.
  - مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني.
  - الحركة الإسلامية ومسألة التغيير.
  - من تجربة الحركة الإسلامية في تونس.
- وقد ترجم بعض من كتبه إلى لغات أجنبية كالإنجليزية، والفرنسية، والتركية، والإسبانية،  
والفارسية.
- عضوية المؤسسات الإسلامية:
- يعتبر الشيخ راشد الغنوشي:
- من مؤسسي الندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٩٧١ م.
  - أحد مؤسسي المؤتمر القومي الإسلامي الذي يجمع بين التيار القومي العربي والتيار الإسلامي.
  - أحد مؤسسي حلقة الأصالة والتقدم التي تعنى بالحوار الإسلامي المسيحي والتي تضم عددًا من كبار المفكرين الإسلاميين والأوروبيين والأمريكيين.

## الفصل الثاني: بعض أقول العلماء في راشد الغنوشي

• قال الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى: ما اكتفى الحزبيون بضلالهم ففي اليمن من الضلال كثير منهم: (المقالح واللوزي) وفلان وفلان حتى استوردوا الغنوشي لا بارك الله في الغنوشي ولا من استورد الغنوشي وأقول: قبح الله الغنوشي قبح الله من استورد الغنوشي؛ فإنه ضليل يبارك لليمن التعددية الحزبية، ويبارك لليمن بالديمقراطية، ويبارك لليمن بالاختلاط، وجميعات النساء والكلام الفارغ، لسنا في حاجتك أيها الضال المنحرف، فقد عرف انحرافك وانحراف شيخك. والكلام على الصدق والكذب وهؤلاء يشملهم: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». اهـ «قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد» (ص ١٩٣)

• وقال أيضًا: والحكومات لا تستغني عن الإخوان المسلمين لأن الإخوان المسلمين يلبسون على الشعوب فإذا كانت الحكومة تهوى أمرًا ما أو أمريكا تهوى أمرًا ما فيخرج لنا أناس من ذوي اللحي والعمائم وثوبه الذي إلى وسط الساق واللحفة يلبسون على الناس ويقولون: قال الله عز وجل كذا وكذا، فالحكومات إذا أرادت أن تنفذ أمرًا أو عزت إليهم أن يمهدوا له، فقد جاء راشد الغنوشي لا بارك الله فيه ولا فيمن أتى به من أجل أن يمهد للديمقراطية. اهـ «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب» (ص ٤٥)

• وقال أيضًا رحمه الله: وفي حديث معاوية أنه سئل عن الفرقة الناجية فقال: «هم الجماعة» أي جماعة المسلمين، ما قال هم الجماعات، فهؤلاء الذين هم رؤساء الجماعات الحامل لهم مصالح دنيوية ومصالح ذاتية، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، انتهى

بهذه الجماعات إلى أن تُرثس عليها أناساً مذبذبين من أمثال: عباس مدني، وراشد الغنوشي. اهـ «غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة» (١/ ٤٣٣).

- وقال أيضاً رحمه الله: وراشد الغنوشي يأتي به الإخوان المفلسون من تونس من أجل أن يثبت الديمقراطية، فهم يخشون من نفور شبابهم إذا رحبوا بالديمقراطية. اهـ «غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة» (٢/ ٤٠٦)، وانظر «إعلام الأجيال بكلام الإمام الوادعي في الفرق والكتب والرجال» (ص ٢٠٩)

- قال فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية بالمملكة حفظه الله تعالى: فظهر من المفكرين من يتكلم في القرآن برأيه، ويجعل بعض المعطيات الفكرية أو النتائج هي من دلالات القرآن، حتى جعل من دلالات القرآن والعياذ بالله أمر مجمع على بطلانه ولم يقل به أحد من أهل العلم، بل جعل من دلالات القرآن ما يدل على عقائد فاسدة أو ما يدل على آراء، الأدلة والقواعد تقضي عليها من أسسها. والأدلة في ذلك في السنة كثيرة ومما جاء عن الصحابة في ذلك قول عمر وهو قول عظيم قال رضي الله عنه: إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها والسنن أن يتفهموها فعارضوا السنن برأيهم فأياك وإياهم. وفي طريق أخرى قال رضي الله عنه: فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا. وهذا الذي قاله عمر منطبق تماماً على بعض أنواع الفكر يعني الفكر الذي لا دليل عليه أو الفكر الذي يصادم أصولاً فيكون استدلال أصحابه بالمشتبهات لا بالأصول العلمية، فتنتج عن ذلك أنهم قالوا بالفكر، قالوا بالرأي فضلوا فعلا وأضلوا، وهذا ظاهر في مدارس كثيرة تراها اليوم في كثير من بلاد المسلمين. فإذا نظرت مثلاً إلى فكر بعض الكتّاب الذين تكلموا في أشياء من طريق الرأي وجدت أنه تفرع ونشأ عنهم مدرسة، مثل مثلاً مالك بن نبي في الجزائر نتجت عنه مدرسة مالك بن

نبي نتائج فكره قامت عليها دعوة بعد ذلك، تأثر به راشد الغنوشي المعروف زعيم الحركة الإسلامية في تونس - كما يقال -، وهذا حال حركة لا تعي السنن ولا تعي العلم، وإنما هي معطيات فكرية، حتى إنه قال في يوم من الأيام حينما سئل عن مطالبكم في تونس قال: مطالبنا أن يحكم الشعب، قالوا: فإذا اختار الشعب الديمقراطية، قال: ليس عندنا مانع، فإذا اختار الشعب الديمقراطية فإننا نختار ذلك؛ لكن لا يجبر الشعب على اختيار لا يريده. هذا فهم للإسلام وإن كان ذلك عليه من قبله وهو أيضا عنده شبه في ذلك؛ لكنه عطاء فكري مارد ليس له من الإسلام نصيب، وتبني هذا دعوة، تبنته دعوة تبنت هذه الدعوة مواقف وتحليلات سواء في داخل بلادها أو في خارجها، وكل ذلك نتاج مفكر أو نتاج فكر سابق. اهـ من محاضرة بعنوان: «الفكر والعلم»

- وقال شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى في نصيحته للتونسيين المسماة «المؤنس لمن ابتغى السلامة من مضاعفة الفتن من أهل تونس»: أما ما تجدونه من الفتاوى ممن لهم استحسنات وعدم انضباط بالأدلة الشرعية من أنكم لا بأس أن تشاركوا في الانتخابات البرلمانية للتوصل إلى حاكم عسى الله أن يقيم الشرع هناك أو ما إلى ذلك من الأقوال، أفيدكم أن هذه الفتوى لا تريحون فيها مرضاة الله عز وجل وللوصول إلى المقصد الذي تريدونه:

أولاً: أنها محرمة لأنها تشبه بالكفار وفيها من المخالفات الشرعية ما يضر ولا ينفع البتة.

ثانياً: أهل السنة في المجتمعات قليل بالنسبة لغيرهم فما عسى أن يكونوا بجانب جماعة راشد الغنوشي لا جزاء الله خيراً الذي برر الديمقراطية في اليمن! وبرر الانتخابات فيها والحزبية التعددية فيها! وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول: لا بارك الله فيه ولا فيمن استدعاه. فهو حزبي منحرف زائع وله هو وأمثاله يد طويلة هناك، وعوام الناس مع كل ناعق، مع أنها

تشبه بالكافرين فيها تنازلات في الدين ولا أثر لها نافع جربت هنا في اليمن أنها فاسدة  
مفسدة ما فيها إلا الضياع، الإخوان المسلمون وأمثالهم يريدون أن يكونوا هم الحكم على  
طريقها فيفشلون فشلاً ذريعاً. اهـ

### الفصل الثالث: التعريف بحركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة) (١)

(١) نقلاً عن «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (١ / ٢٨١، وما بعدها) باختصار. وهذه الموسوعة فيها خلط وخطب وقد حذر منها أهل العلم. سئل العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى عن هذه الموسوعة فأجاب: رأيي فيها، أنصح الشباب بعدم قراءتها إذ فيها خلط وخطب، وذكر نقطة صغيرة من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب صاحب هذه الموسوعة، وجعل هذه الدعوة ضمن المذاهب المعاصرة هذا عين الخطأ قبل أن يُقرأ الكتاب، عندما يذكر أهل العلم الفرق والأديان يعنون ما عدا الإسلام – أي الفرق المنتسبة إلى الإسلام كالمعتزلة والخوارج والقدرية والمرجئة والأشاعرة، لا يدخلون الإسلام في تعداد هذه الفرق وهذه المذاهب المعاصرة، إدخاله دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين هذه المذاهب المعاصرة هذا خطأ وخلط من المؤلف، وإن كان الموسوعة ليس لها مؤلف معين وهي دعوة فيها دعوة مريبة والمنظمة من حيث هي منظمة الشباب كما حدثني غير واحد من الثقات الذين يخرجون معهم في خارج هذه البلاد أكثر من فيها من المنتسبين والمنظمين لهذه الندوة من الذين ينطقون بغير اللغة العربية واللغة الرسمية للندوة إذا حصل الاجتماع والندوات والمؤتمرات والاجتماعات في خارج هذا البلد لغتهم الرسمية اللغة الإنجليزية؛ لذلك كثير من الناس ما يدرون ماذا يتحدثون وماذا يريدون ولكن كما قال زهير:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ظهرت نواياهم نوايا سيئة جداً نحو هذا البلد وعقيدة هذا البلد وسلطة هذا البلد، على الرغم من أن هذا البلد هو الذي ينفق على تلك الندوة نفقة سخية لا مثيل لها وعلى كل من يريد أن يعرف عن هذه الندوة والموسوعة عليه أن يتصل بالشباب المثقفين الذين كانوا معهم ثم تابوا فرجعوا وبينوا حقائق كنا نجهلها، فنسأل الله السلامة والعافية. اهـ من شريط «الإجابة العلمية على رسالة من تاب من الحزبية».

قلت: كيف لو علم رحمه الله تعالى أن من مؤسسي هذه الندوة راشد الغنوشي الداعي إلى الحوار بين الأديان، والديمقراطية، والتعددية الحزبية، والتداول على السلطة عبر صناديق الاقتراع، وغير ذلك؟! ومن حذر من هذه الموسوعة شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى في دروسه.

حركة الاتجاه الإسلامي بتونس، حركة إسلامية، قامت على منهج فكر الإخوان المسلمين في العالم الإسلامي، وظهرت كرد فعل شعبي ضد التطرف العلماني المتمثل في الاستهتار بالإسلام وقيمه وأحكامه، ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية واستشراء الاستبداد السياسي. وقد بدأها راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو وحميده النيفر، والتف حولهم عدد من الشباب وشكلوا جميعاً النواة الأولى لانتشار الفكرة الإسلامية، وأصبحت المساجد والمعاهد والجامعات رافداً أساسياً للحركة الإسلامية، التي واصلت معركتها ضد رموز التبعية والتغريب. وظلت تنشط في الساحة التونسية حتى صدر قرار بحلها وبدأ اعتقال قادتها وشبابها في ظل الحكم الحالي، إلا أنها حركة مستقلة في قرارها. ومازال لها وجود داخل تونس وخارجها رغم المطاردة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

• الدكتور راشد الغنوشي: تقدمت ترجمته.

• الشيخ عبد الفتاح مورو:

- الأمين العام لحركة الاتجاه الإسلامي.

- من مواليد سنة ١٩٤٨ م في تونس. حصل على إجازة الحقوق سنة ١٩٧٠ م وتولى مهنة القضاء حتى سنة ١٩٧٧ م ثم التحق بالمحاماة.

- التقى مع راشد الغنوشي سنة ١٩٦٩ م وتعاهدا على العمل والدعوة للإسلام، وتأثر الاثنان بفكر سيد قطب رحمه الله.

- وخلال تعرض الحركة للمحنة في عهد ابن علي (خليفة بورقيبة) في ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م انشق عن الحركة وشكل جماعة جديدة.

الجدور الفكرية والعقائدية:

حركة الاتجاه الإسلامي قامت على منهج حركة الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي. كما تأثرت الحركة بمنهج المدرسة العقلية (المعتزلة. أهل الكلام) في التاريخ الإسلامي؛ كما يظهر ذلك جلياً في كتابات مؤسسها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

• انتشر فكر الحركة في تونس بشكل خاص وأعلنت الحركة عام ١٩٨٥م عن مكتبها التنفيذي الثالث برئاسة الأستاذ راشد الغنوشي والأستاذ عبد الفتاح مورو أميناً عاماً، وعضوية السادة حمادي الجبالي والحبيب اللور والحبيب السويسي واعترفت بالحركة رسمياً عندما استقبلهم الوزير الأول محمد المزاوي في قصر الحكومة، واعترفت كل الأطراف بالوجود السياسي الفعلي لحركة الاتجاه الإسلامي واضطرت للتعامل معها. وكانت جريدة الرأي وسيلة النشر لمؤلفات بعض مفكري الحركة مثل الدكتور عبد المجيد النجار ومحسن الميلي وعندما تولى ابن علي السلطة أفرج عن رموز الحركة في البداية واضطر قادتها في ٨ فبراير ١٩٨٩م أن يتقدموا بطلب تأشيرة للسماح للحركة بمزاولة نشاطها تحت اسم جديد هو "حزب النهضة" تمشياً مع قانون الأحزاب ولكن سرعان ما غيرت السلطة موقفها وقلبت لهم ظهر المجنّ، وسارعت إلى القبض على الكثير من شباب الحزب وأودعتهم

السجون واضطر الكثيرون من رموز الحركة إلى الفرار بدينهم إلى خارج البلاد بعد مصادرة نشاطها. اهـ

أما مبادئ ومهام وأهداف الحركة وكذلك وسائلها لتحقيق هذه الأهداف سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - من خلال عرض «البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي».

## الفصل الرابع: البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي<sup>(١)</sup>

توطئة:

يشهد العالم الإسلامي - وبلادنا جزء منه - أبشع أنواع الاستلاب والغربة عن ذاته ومصالحه، فمنذ التاريخ الوسيط وأسباب الإنحطاط تفعل فعلها في كيان أمتنا وتدفع بها إلى التخلي عن مهمة الريادة والإشعاع، طوراً لفائدة غربٍ مستعمر وآخر لصالح أقليات داخلية متحكمة انفصلت عن أصولها وصادمت مطامح شعوبها.

وكان المستهدف الأول طوال هذه الأطوار كلها هو الإسلام، محور شخصيتنا الحضارية وعصب ضميرنا الجمعي، فقد عزل بصورة تدريجية بطيئة وأحياناً بشكل جريء سافر عن مواقع التوجيه والتسيير الفعلي لواقعنا. فهو رغم بروزه عاملاً محدداً في صنع الجوانب المشرقة من حضارتنا وفي جهاد بلادنا لطرد المستعمر، قد بات اليوم أو يكاد مجرد رمز تحديق به المخاطر ثقافياً وأخلاقياً وسياسياً نتيجة ما تعرض له في المرحلة المعاصرة والأخيرة خاصة من إهمالٍ واعتداء على قيمه وعلى مؤسساته ورجاله.<sup>(٢)</sup>

وإضافة إلى هذه المعطيات الحضارية التي تشترك فيها بلادنا مع سائر بلاد العالم الإسلامي، عرفت تونس في أواخر الخمسينات وطيلة عشرينيات الستينات والسبعينات رغم حصولها على وثيقة الاستقلال أوضاعاً خصوصية اتسمت بالتأزم واحتداد الصراع الاجتماعي

---

(١) هذا البيان نشر ضمن كتابين لراشد الغنوشي الأول: «مقالات»، والثاني: «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس».

(٢) ومن ذلك اعتداء الغنوشي على أصول الإسلام وأساسه وقيمه كما سأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وتعطل سبل النمو الشامل وقد تكرر هذا الوضع نتيجة أحادية الاتجاه السياسي المتحكم (الحزب الدستوري) وتدرجه المتصاعد نحو الهيمنة على السلط والمؤسسات والمنظمات الجماهيرية من ناحية، ونتيجة ارتجالية الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية وتقلبها وارتباطها بمصالح دولية تتعارض مع مصالح شعبنا الوطنية من ناحية أخرى.

في هذا المناخ ظهر الاتجاه الإسلامي بتونس في بداية السبعينات بعد أن توفرت له كل أسباب الوجود، وتأكد ضرورته، وقد ساهم هذا الاتجاه من مواقعه في إعادة الاعتبار للإسلام فكرًا وثقافة وسلوكًا<sup>(١)</sup> وإعادة الاعتبار للمسجد. كما ساهم في تنشيط الحياة الثقافية والسياسية فأدخل عليها لأول مرة نفسًا جديدًا في اتجاه تأصيل الهوية والوعي بالمصلحة وتأكيد التعدد بتجسيه واقعيًا.

وقد عبر الاتجاه الإسلامي من خلال نشاطه ومواقفه العديدة عن التحامه بذات أمته وتجسيده آمال شعبه وتطلعاته فالتفت حوله قطاعات عريضة من المحرومين والشباب والمثقفين<sup>(٢)</sup>. وكان نموه السريع مجلبة لاهتمام الملاحظين وترصد القوى والأنظمة السياسية في الداخل والخارج. ورغم سعيه الرصين المتعقل لتلمس أنجع سبل التطور والتغيير فقد تعرض هذا الاتجاه إلى سلسلة من التهم الباطلة<sup>(٣)</sup> والحملات الدعائية المغرضة نظمتها ضده السلطة الحاكمة ووسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية بلغت هذه الحملات حد

---

(١) بل ساهم في إبعاده عن ثوابته الصحيحة في ذلك البلد.

(٢) ليس فيهم عالم واحد!

(٣) انظر فصل: «الغنوشي وتكوينه للتنظيم السري... حقائق مخفية!» من هذا الكتاب لتعلم مصداقية هذا الكلام!

الإعتداء تعسفًا على وسائل إعلامه قصد منعه من إبلاغ صوته وتطورت بعد ذلك إلى أشكال أشد قهراً فُقدت عناصره إلى المحاكمات وتكثفت ضد أفراد التبعات والتحقيقات وفتحت أمام شبابه السجون والمعتقلات حيث الضرب والتعذيب والإهانة.<sup>(١)</sup>

إن استمرار أسباب تخلف الوضع السياسي والاقتصادي والثقافي في مجتمعنا يرسخ لدى الإسلاميين شعورهم المشروع بمسؤوليتهم الربانية والوطنية والإنسانية في ضرورة مواصلة مساعيهم وتطويرها من أجل تحرير البلاد الفعلي وتقديمها على أسس الإسلام العادلة وفي ظل نهجه القويم.<sup>(٢)</sup>

وقد يذهب البعض إلى أن هذا العمل هو من باب إقحام الدين في دنيا السياسة<sup>(٣)</sup> وأنه مدخل إلى احتكار الصفة الإسلامية ونفيها بالتالي عن الآخرين.<sup>(٤)</sup>

إن هذا الفهم فضلاً عن كونه يعبر عن تصور كنسي-دخيل على ثقافتنا الأصلية يكرس اسمرارية (حديثه) لواقع الضياع التاريخي الذي عاشته أمتنا.

على أن «حركة الاتجاه الإسلامي» لا تقدم نفسها ناطقاً رسمياً باسم الإسلام في تونس ولا تطمح يوماً في أن ينسب هذا اللقب إليها<sup>(١)</sup>، فهي مع إقرارها حق جميع التونسيين في

---

(١) وكما قيل في المثل: على أهلها تحني براقش!

(٢) وهل من أسس الإسلام العادلة ونهجه القويم: حرية الاعتقاد، والتقارب بين الأديان، والديمقراطية، والتعددية الحزبية...؟!

(٣) ولا فصل للدين عن السياسة.

(٤) والغنوشي يرى أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم حتى لا يحصل احتكار للحقيقة الإسلامية! كما سيأتي.

التعامل الصادق المسؤول مع الدين، ترى من حقها تبني تصور للإسلام<sup>(٢)</sup> يكون من الشمول بحيث يشكل الأرضية العقائدية التي منها تنشق مختلف الرؤى الفكرية والاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدد هوية هذه الحركة وتضبط توجهاتها الاستراتيجية ومواقفها الظرفية. وبهذا المعنى تكون «حركة الاتجاه الإسلامي» واضحة الحدود محددة المسؤولية غير ملزمة بكل صنوف التحركات والمواقف التي قد تبرز هنا وهناك - إلا ما يقع تبنيه منها بصورة رسمية<sup>(٣)</sup> - مهما أضفى أصحاب هذه التحركات على أنفسهم من براقع التدين ورفعوا راية الإسلام.

وتأكيداً لهذا الوضع من ناحية، وتكافؤاً مع جسامه المهمة ومقتضيات المرحلة من ناحية أخرى، فإنه يتعين على الإسلاميين دخول طور جديد من العمل والتنظيم<sup>(٤)</sup> يسمح لهم بتجميع الطاقات وتوعيتها وتربيتها وتوظيفها في خدمة قضايا شعبها وأمتها. ولا بد لهذا

=

(١) فليس لطائفة - عنده - أن تقول أنها على الحق، وأنها تمثل الإسلام الصحيح والنبى ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

(٢) فالتعددية - عنده - حتى في فهم الإسلام! نعوذ بالله من الهوى.

(٣) معنى ذلك أنها تحرض على الدولة وتدعو إلى الثورات والإنقلابات والمظاهرات... ثم بعد ذلك ليس لها دخل إلا إذا كان بصورة رسمية منها

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

(٤) آلتنظيم السري المستفاد من تنظيم الإخوان المسلمين المليء بالدماء والإجرام، يراشد؟!.

العمل أن يكون ضمن حركة مبلورة الأهداف مضبوطة الوسائل ذات هياكل واضحة وقيادات ممثلة.

إن «حركة الاتجاه الإسلامي» التي حالت بينها وبين جماهيرها المسلمة العريضة ظروف القهر والإرهاب لتأمل أن تكون مساهمة جماهيرها أعمق وأشمل في مستقبل الأيام.

المهام:

تعمل هذه الحركة على تحقيق المهام التالية:

- أ- بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بإفريقيا ووضع حد لحالة التبعية والإغتراب والضلال.<sup>(١)</sup>
- ب- تجديد الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب.<sup>(٢)</sup>
- ت- أن تستعيد الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية.<sup>(٣)</sup>

---

(١) ولم تزدها الحركة إلا تبعية واغتراباً.

(٢) وبعبارة أخرى (الدخول بالإسلام في العصر) ومعنى ذلك هتك جناب الإسلام وحرمته وتحريف وإلغاء أصوله وقواعده! والصحيح أن يعرض كل ما يستجد على الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذ به وما خالفهما رُذِّ.

(٣) وهذه هي الديمقراطية، فحتى لو اختارت الجماهير العلمانية أو الاشتراكية فلها ذلك!

ث - إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعاً عادلاً<sup>(١)</sup> على ضوء المبدأ الإسلامي (الرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته) أي من حق كل فرد أن يتمتع بثمار جهده في حدود مصلحة الجماعة وأن يحصل على حاجته في كل الأحوال حتى تتمكن الجماهير من حقها الشرعي المسلوب في العيش الكريم بعيداً عن كل ضروب الإستغلال والدوران في فلك القوى الاقتصادية الدولية.

ج - المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام على المستوى المحلي والمغربي والعربي والعالمي حتى يتم إنقاذ شعوبنا والبشرية جمعاء مما تردت فيه من ضياع نفسي وحيث اجتماعي وتسلط دولي.

الوسائل:

لتحقيق هذه المهام تعتمد الحركة الوسائل التالية:

- إعادة الحياة إلى المسجد كمركز للتعبّد والتعبئة الجماهيرية الشاملة<sup>(٢)</sup> أسوة بالمسجد في العهد النبوي وامتداداً لما كان يقوم به الجامع الأعظم جامع الزيتونة، من صيانة للشخصية الإسلامية ودعمًا لمكانة بلادنا كمركز عالمي للإشعاع الحضاري.
- تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، من ذلك: إقامة الندوات، تشجيع حركة التأليف والنشر، تجذير وبلورة المفاهيم والقيم الإسلامية في مجالات الأدب والثقافة عامة<sup>(٣)</sup>

---

(١) وهنا يريد أن يقرر الاشتراكية! وسيأتي مزيد بيان.

(٢) ومن هنا يأتي استغلالهم للمساجد في أغراضهم السياسية، وانظر كتاب «إعلام الساجد بمخالفات الإخوان المسلمين في المساجد» للشيخ الفاضل عبد الرزاق النهمي اليمني حفظه الله تعالى.

(٣) كالغناء والموسيقى والسينما والمسرح والتصوير ... !!

وتشجيع البحث العلمي ودعم الإعلام الملتزم حتى يكون بديلاً عن إعلام الميوعة والنفاق.

- دعم التعرب في مجال التعليم والإدارة مع التفتح على اللغات الأجنبية.
- رفض العنف كأداة للتغيير<sup>(١)</sup> وتركيز الصراع على أسس شورية<sup>(٢)</sup> تكون هي أسلوب الحسم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة.
- رفض مبدأ الإنفراد بالسلطة (الأحادية) (unipartisme) لما يتضمنه من إعدام لإرادة الإنسان وتعطيل لطاقت الشعب ودفع البلاد في طريق العنف وفي المقابل إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.<sup>(٣)</sup>
- بلورة مفاهيم الإسلام الاجتماعية في صيغ معاصرة وتحليل الواقع الإقتصادي التونسي حتى يتم تحديد مظاهر الحيف وأسبابه والوصول إلى بلورة الحلول البديلة.
- الإنحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكبرين والمترفين.<sup>(٤)</sup>

---

(١) وهذا تلاعب، وإلا فهو يقرر الثورات والإنقلابات ويدعو إليها كما سيأتي بيانه.. وما تكوينه للتنظيم السري إلا لهذا المعنى.

(٢) بل ديمقراطية!

(٣) فسر هذه الوسيلة في العمل راشد الغنوشي في كتابه: «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٢٨٤) بأنها التبنى الكامل للخيار الديمقراطي والمطالبة بتعددية - يعني حزبية - لا تستثني تياراً سياسياً مهما كانت خلفيته!

(٤) ولو كان انتزاعهم لحقهم بالقوة!

- دعم العمل النقابي بما يضمن استقلاله وقدرته على تحقيق التحرر الوطني بجميع أبعاده الاجتماعية والسياسة والثقافية.<sup>(١)</sup>
- اعتماد التصور الشمولي للإسلام وإلتزام العمل السياسي بعيداً عن اللائكية والانتهازية.
- تحرير الضمير المسلم من الإنهازم الحضاري إزاء الغرب.
- بلورة وتجسيم الصورة المعاصرة لنظام الحكم الإسلامي<sup>(٢)</sup> بما يضمن طرح القضايا الوطنية في إطارها التاريخي والعقائدي والموضوعي مغرباً وعربياً وإسلامياً وضمن عالم المستضعفين عامةً.
- توثيق علاقات الأخوة والتعاون مع المسلمين كافة في تونس وعلى صعيد المغرب والعالم الإسلامي كله.<sup>(٣)</sup>
- دعم ومناصرة حركات التحرر في العالم.<sup>(٤)</sup>

تونس في: ٦ - ٦ - ١٩٨١

---

(١) وهنا تأتي الحزبية المقيتة!

(٢) بل هو نظام الحكم الغربي الديمقراطي!

(٣) ولو كانت إيران، وآيات الشيطان أعداء الإسلام والمسلمين!

(٤) وهذه تشمل العلمانيين والشيوعيين وغيرهم!

## الفصل الخامس: راشد الغنوشي وتركة البنا

تعتبر حركة الاتجاه الإسلامي «حزب النهضة» فرعاً من فروع حزب الإخوان المسلمين، فإنه لما هلك<sup>(١)</sup> حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين وكانت التركة حقاً<sup>(٢)</sup> يقبل التجزيء يثبت لمستحق بعد موت من كان ذلك له، كان نصيب راشد الغنوشي من التركة وافرًا وأكبرًا دون أن يكون محجوبًا بشخص حجب نقصانٍ ولا حرمان، فورث من البنا (قاعدة المعذرة والتعاون)، والتنظيم السري، والثورات، والإنقلابات والمظاهرات وغير ذلك من البدع والضلالات.

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم ورثوا المنهج السلفي من رسولهم ﷺ ومن أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا خير خلف لنعم السلف، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ»، وقال عليه الصلاة والسلام: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، فورثوا العلم والسنة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين، وأتباعهم ومن بعدهم من علماء السنة وأئمة الهدى كأحمد وسفيان ومالك والشافعي وعبد الرحمن بن مهدي وشيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم وغيرهم كثير، قال الفرزدق:

أُولَئِكَ آبَائِي، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

---

(١) هلك يعني مات.

(٢) والحق جنس يشمل المال وغيره كالشفعة والولاء والقصاص والخيار والولاية.

وقال جرير:

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا      فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا  
والدليل على أن «حزب النهضة» وليد جماعة الإخوان المسلمين ما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - في ثنايا الكتاب عند عرض مبادئ وأهداف هذا الحزب التي تتوافق مع منهج الإخوان المسلمين، ولكن نذكر هنا بعض الأقوال عن راشد الغنوشي التي تدل دلالة واضحة على ما ذكرنا:

- يقول راشد: بعد أن اهتديت إلى الإسلام في سوريا لم تكون لدي أي تجربة عملية في التحرك به، فلم أنضم إلى أي حزب ولم أمارس أي عمل دعوي واقتصر نشاطي على محاولة استيعاب معظم ما كتب في الفكر الإسلامي الحديث. فخلال السنتين اللتين قضيتهما في سوريا بعد ذلك (١٩٦٦-١٩٦٨)، بعد تعرفي على الإسلام مجددًا اقتصرت على النشاط الفكري تعمقًا في دراسة الفلسفة! واستيعابًا لما كتب محمد إقبال، والمودودي، وسيد قطب، والبنّا، والسباعي، ومالك بن نبي، والندوي! إلى جانب دروس في الحديث والتفسير والفقه، وليس صحيحًا ما قيل عن انضمامي إلى الإخوان في سوريا. كنت قد دُعيت لأكثر من تنظيم بها في ذلك الإخوان ولكنني اعتذرت، لا لمانع عندي في الانضمام إلى الإخوان ولكن لعدم رغبتني حينها في الانتماء لأي حركة هناك على اعتبار أنني لم أكن مستقرًا في سوريا، ولو كنت مسقرًا فيها لربما انخرطت في الإخوان. فباعتبار أنني راجع إلى بلدي ولا أدري ماذا يوجد فيه من نشاط إسلامي لم أرَ

مناسباً أن أدخل على بلدي بالتزام تنظيمي، بل أردت أن أدخل فقط بتوجه فكري وهناك أتفاعل مع الساحة التي قد أجد فيها تنظيمًا أنضم إليه. اهـ<sup>(١)</sup>

- وقال أيضًا: وكان لهذا الجانب أثر في نفسي ظل ملازمًا لشخصيتي حتى أنني عندما عدت إلى تونس عدت بفكر إسلامي سياسي إخواني مودودي وفلسفي، لكن بتجربة عملية تبليغية، ولم يكن معي من منهج عملي للتحرك بالإسلام بعدما عدت إلى تونس غير منهج التبليغ. ولذلك انعكست التجربة على أسلوب عمل مجموعتنا في تونس، إذ ظللنا ثلاث سنوات تقريبًا على منهاج جماعة التبليغ، نجتمع في المسجد لحفظ آيات من كتاب الله العزيز وأحاديث النبي ﷺ ثم نطلق إلى المساجد ندعوا الناس إليها من الشوارع المحيطة لوعظهم وترغيبهم في الصلاة والإستقامة وذلك بعيدًا عن كل تأثير سياسي، غير أن السلطة ما لبثت إلى أن أوقفتنا مما فرض علينا إعادة النظر في هذا المنهاج العلني الصّرف والبسيط وانتهينا إلى أنه لا يتناسب مع ظروفنا لأنه منهاج مفتوح لا سرية فيه إطلاقًا قد يتناسب مع ساحة عمل مفتوحة كالهند والباكستان وبلاد الغرب ولكنه لا يتناسب مع بلد محكوم بنظام الحزب الواحد المتطرف في فرديته وعلمانيته، فكيفنا وضعنا بحيث يشتمل على تثقيف شعبي علني وعلى تكوين تنظيمي سري، ومن هنا بدأت حاجتنا للإستفادة من منهج الإخوان وتجربتهم. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٣١-٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦-٣٧).

- وقال أيضًا: بهذه التجربة عدت إلى تونس، عدت بثقافة إسلامية مصادرها الأساسية كتابات الإخوان، وكتابات المودودي، ومالك بن نبي إلى جانب الثقافة الفلسفية التي تكونت بها. اهـ<sup>(١)</sup>

فهذه نصوص صريحة من المؤسس تدل على أن حزبه تأسس من أول يوم على منهج غير سديد منهج الإخوان المسلمين، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، فيتعين علينا بيان بعض فساد منهج الإخوان المسلمين وأقوال أهل العلم في هذه الجماعة مع مراعاة الاختصار حتى لا يطول الكتاب واكتفاء بما قد كتبه أهل السنة في هذه الجماعة من الكتابات العديدة<sup>(٢)</sup>، وما لا يدرك كله لا يترك جله، والحمد لله.

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٤١).

(٢) من تلكم الكتابات: «أضواء سلفية على عقيدة سيد قطب وفكره»، «العواصم فيما في كتب سيد قطب من القواصم»، «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ»، «المورد الزلال في أخطاء الظلال»، «المخرج من الفتنة»، «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة»، «القطبية هي الفتنة فاعرفوها»، «وقفات مع كتاب للدعاة فقط»، «حزب الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام»، «إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية ودحض الشبه البدعية»، «الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية»...

## الفصل السادس: الإخوان المسلمون في ميزان الكتاب والسنة

أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين عام ١٣٤٦ هـ بمصر وكانت لهذه الجماعة اليد الطولى في ضرب الإسلام والمسلمين وإضعافهم ونشر التحزب والتفرق بينهم مع استهانة بالعقيدة، وضعف فقهي، وتخبط سياسي، وفكر حروري<sup>(١)</sup>، وتقارب مع عدو خارجي! فكان ذلك حدثاً تاريخياً ابتلى الله عز وجل الأمة بحزب هو ينبوع الضلال في هذا العصر، فأصل الأصول وقعد القواعد واستورد الأفكار حتى فت في عضد الإسلام وأهله بأساليب مأكرة وتستر بالدين، فاغتر بهم كثير من الناس تحت رايات براءة ووعودات كاذبة وأمانى زائفة، ولكن كما قال رب العزة: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، فهياً الله عز وجل علماء السنة يذودون عن حياضها، فكشفوا الشبهات، ونشروا الفتاوى والبيانات، وأطلقوا الصيحات والتحذيرات! حتى انكشفت العورات وبنات السوءات!! وظهر لكل ذي عينين المقحّمات! (٢)، ﴿لَيْتَ لَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وبقيت سنة الله الكونية في إظهار دينه وإعلاء كلمته، ﴿وَيَأْتِي

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١/٥٤٦/ ط. دار السلام) تحت حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٣٢١): «أحرورية أنت؟»: الحروري منسوب إلى حروراء.. بلدة على ميلين من الكوفة، والأشهر أنها بالمد. قال المبرد: النسبة إليها حروراوي، وكذا كل ما كان في آخره ألف تأنيث ممدودة، ولكن قيل الحروري بحذف الزوائد، ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج: حروري، لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي بالبلدة المذكورة فاشتهروا بالنسبة إليها. اهـ

ومعنى ما ذكره الحافظ أن القياس في النسبة إلى (حروراء) بالمد (حروراوي) وأما (حروري) فنسبة إلى (حُرورَى) بالقصر. قلت: فخرجوا عن القياس (في النسبة) وعن الشرع!!

(٢) وهي الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها. والتقحم الوقوع في المهالك، نسأل الله العافية.

اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونكتفي هنا بعرض هذه المسائل من منهج الإخوان<sup>(١)</sup> ونحيل الباقي على ما كتب قبل:

أولاً: الإخوان المسلمون والتوحيد:

يقول سعيد حوى وهو من كبار منظري الإخوان في كتابه «جولات في الفقهاء الكبير والأكبر» الجولة الأولى (ص ٢٢) ما نصه: إن للمسلمين خلال العصور أئمتهم في الاعتقاد وأئمتهم في الفقه وأئمتهم في التصوف والسلوك إلى الله عز وجل، فأئمتهم في الاعتقاد كأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي!.. اهـ

ويقول سعيد حوى في نفس الكتاب في الجولة الرابعة (ص ٦٦) ما نصه: وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنين: أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي!.. اهـ

ويقول عمر التلمساني الذي تبوأ منصب المرشد العام للإخوان المسلمين مدة طويلة في كتابه «شهيد المحراب عمر بن الخطاب» (ص ٢٢٦): ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل أن رسول الله ﷺ يستغفر حياً وميتاً لمن جاءه قاصداً رحابه الكريم!.. اهـ

ويقول أيضاً في نفس الصفحة: فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلة معجزات الأنبياء. اهـ

---

(١) نقلاً من كتاب «وقفات مع كتاب للدعاة فقط».

يقول حسن البنا عند الحديث على مراحل الدعوة ومرحلة التكوين: إنها استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض ونظام الدعوة في هذا الطور صوفي بحث من الناحية الروحية، وعسكري بحث من الناحية العملية. اهـ

ويقول سعيد حوى في كتابه «جولات في الفقهاء الكبير والأكبر» (ص ١٥٤): ثم إن حركة الإخوان المسلمين نفسها أنشأها (صوفي!) وأخذت حقيقة التصوف دون سلبياته. اهـ

يقول أبو الحسن الندوي في كتابه «التفسير السياسي للإسلام» (ص ١٣٨-١٣٩): الشيخ حسن البنا ونصيب التربية الروحية في تكوينه وفي تكوين حركته الكبرى كان في أول أمره - كما صرح بنفسه - في الطريقة الحصافية الشاذلية وكان قد مارس أشغالها وأذكارها وداوم عليها مدة، وقد حدثني كبار رجاله وخواص أصحابه أنه بقي متمسكاً بهذه الأشغال والأوراد إلى آخر عهده وفي زحمة أعماله. اهـ

ثانيًا: الإخوان المسلمين والشيعة:

كتب الأستاذ عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين مقالاً في «مجلة الدعوة» العدد (١٠٥) يوليو ١٩٨٥ بعنوان: «شيعة وسنة» قال فيه: التقريب بين السنة والشيعة واجب الفقهاء الآن.

وقال فيه أيضًا: ولم تفتقر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة فاتصلوا بآية الله الكاشاني واستضافوا في مصر نواب صفوي، كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم! ولكنهم فعلوه لغرض نبيل يدعو إليه إسلامهم وهو محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى أقرب حد ممكن. اهـ

ثالثاً: الإخوان المسلمون والخروج على الحكام:

في «مجلة المجتمع» اللسان الناطق للإخوان المسلمين عدد (٥٥٠) في الإفتاحية مقالاً بعنوان: «حصر دائرة الصراع» حيث يقول المقال ما نصه: أن معركة الحركة الإسلامية ليست هي مع الفتاة السافرة أو المتبرجة، وليست مع البرامج الهابطة في الأجهزة المرئية والمسموعة، وليست مع البنوك التي تمتص دماء الفقراء وتحقنها في كروش الأغنياء، وليست مع دور السينما والشركات المشرفة عليها، وليست مع الحفلات الراقصة، وليست تلك هي معركة الحركة الإسلامية ولا ينبغي أن تكون أو أن تحصر في هذه الدوائر الثانوية! إن المعركة الفعلية للحركة الإسلامية ينبغي أن تكون مع الأنظمة التي أفرزت هذا الواقع بتلك المواصفات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الإعلامية. اهـ

رابعاً: الإخوان المسلمون واليهود:

قال حسن البنا في الاجتماع الذي حضره مع لجنة مشتركة أمريكية بريطانية: والناحية التي سأحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار: فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية!! لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وحينما أراد أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية فقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]. اهـ من «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» لمحمود عبد

الحليم (٩٤ / ١)

## بعض أقوال العلماء في حزب الإخوان المسلمين

١ - الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:

سئل الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عن حركة الإخوان المسلمين فقال: حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجيه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة.

فينبغي للإخوان المسلمين أن تكون عندهم عناية بالدعوة السلفية، الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار عبادة القبور والتعلق بالأموات والاستغاثة بأهل القبور كالحسين أو الحسن أو البدوي، أو ما أشبه ذلك، يجب أن يكون عندهم عناية بهذا الأصل الأصيل بمعنى لا إله إلا الله، التي هي أصل الدين، وأول ما دعا إليه النبي ﷺ في مكة دعا إلى توحيد الله، إلى معنى لا إله إلا الله، فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر، أي: عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله، والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات والاستغاثة بهم، والنذر لهم والذبح لهم، الذي هو الشرك الأكبر، وكذلك ينتقدون عليهم عدم العناية بالسنة: تتبع السنة، والعناية بالحديث الشريف، وما كان عليه سلف الأمة في أحكامهم الشرعية، وهناك أشياء كثيرة أسمع الكثير من الإخوان ينتقدونهم فيها، ونسأل الله أن يوفقهم ويعينهم ويصلح أحوالهم.<sup>(١)</sup>

---

(١) نقلاً من «مجلة العرب الدولية» العدد (٨٠٦) (ص ٢٤).

وسئل رحمه الله تعالى: أحسن الله إليك حديث النبي ﷺ في افتراق الأمم قوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة إلا واحدة» فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شريكات وبدع وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولادة الأمور وعدم السمع والطاعة، هل هاتين الفرقتين تدخل...؟

فأجاب تغمده الله برحمته: تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله: «أمتي» أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا له وأظهروا اتباعهم له، ثلاث وسبعين فرقة الناجية السليمة التي اتبعته واستقامت على دينه واثنان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العصي وفيهم المبتدع، أقسام.

فقال السائل: يعني هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب: نعم، من ضمن الثنتين والسبعين والمرجئة وغيرهم، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين، لكن داخلين في عموم الثنتين والسبعين. اهـ<sup>(١)</sup>

٢- محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى:

قال رحمه الله تعالى في محاوره مع أحد أتباع محمد سرور زين العابدين: ليس صواباً أن يقال إن الإخوان المسلمين هم من أهل السنة؛ لأنهم يحاربون السنة. اهـ<sup>(٢)</sup>

٣- محدث الجزيرة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى:

---

(١) ضمن دروسه في شرح المنتقى في الطائف وهي في شريط مسجل سنة ١٤١٩.

(٢) شريط رقم (٣٥٦) ضمن «سلسلة الهدى والنور» من دروس وفتاوى العلامة الألباني.

وكلام الشيخ في الإخوان المسلمين منهجًا وأفرادًا كثير لا يسعه هذا المقام<sup>(١)</sup> نكتفي منه بهذا، وكان الشيخ رحمه الله تعالى يسميهم: الإخوان المفلسون.

قال رحمه الله: أما المنهج فمنهج مبتدع من تأسيسه ومن أول أمره، فالمؤسس كان يطوف بالقبور وهو حسن البناء، ويدعو إلى التقريب بين السنة والشيعة، ويحتفل بالموالد، فالمنهج من أول أمره منهج مبتدع ضال.

أما الأفراد فلا نستطيع أن نجري عليهم حكمًا عامًا، فمن كان يعرف أفكار حسن البناء المبتدع ثم يمشي بعدها فهو ضال، ومن كان لا يعرف هذا ودخل معهم باسم أنه ينصر الإسلام والمسلمين ولا يعرف حقيقة أمرهم فلسنا نحكم عليه بشيء<sup>(٢)</sup>، لكننا نعتبره مخطئًا ويجب عليه أن يعيد النظر حتى لا يضيع عمره بعد الأناشيد والتمثيلات، وانتهاز الفرص لجمع الأموال. اهـ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضًا: أصل دعوة الإخوان المسلمين دعوة قبورية. اهـ<sup>(٤)</sup>

---

(١) وللقوف على جملة منه انظر كتاب «إعلام الأجيال بكلام الإمام الوادعي في الفرق والكتب والرجال» فإنه نافع جدًا.

(٢) إلا أن الشيخ رحمه الله قال في «قمع المعاند» (ص ٣٤٣): ثم التعصب للإخوان المسلمين كافٍ في أنه يعتبر بدعة. اهـ

(٣) «تحفة المجيب» (ص ٩٦).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٠٣).

وقال ايضاً: دعوة الإخوان المفلسين تعتبر نكبة على الدعوة الإسلامية فهم آلة لكل من منّاهم بالكرسي. اهـ<sup>(١)</sup>

٤ - العلامة الشيخ صالح اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس القضاء الأعلى:

قال فضيلة الشيخ صالح اللحيدان حفظه الله تعالى: الإخوان وجماعة التبليغ ليسوا من أهل المناهج الصحيحة، فإن جميع الجماعات والتسميات ليس لها أصل في سلف هذه الأمة. اهـ<sup>(٢)</sup>

٥ - العلامة الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى:

سئل - حفظه الله - عن جماعتي التبليغ والإخوان المسلمين فقال: هذه الفرق المختلفة الجديدة أولاً هي محدثة، ميلادها في القرن الرابع عشر، قبل القرن الرابع عشر ما كانت موجودة هي في عالم الأموات وولدت في القرن الرابع عشر.

أما المنهج القويم والصراط المستقيم فميلاده أو أصله من بعثة الرسول الكريم ﷺ، ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من حين بعثته عليه الصلاة والسلام، فمن اقتدى بهذا الحق واهدى فهذا هو الذي سلم ونجى ومن حاد عنه فإنه منحرف. تلك الفرق أو تلك الجماعات من المعلوم أن عندها صواب وعندها خطأ لكن أخطاؤها كبيرة عظيمة فيحذر منها ويحرص على اتباع الجماعة الذين هم أهل السنة والجماعة والذي هم على منهج سلف

---

(١) «غارة الأشرطة» (١/ ٢٥٩).

(٢) من شريط «فتاوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين» تسجيلات منهاج السنة بالرياض.

الأمة والذين التعويل عندهم إنما هو على ما جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام وليس التعويل على أمور جاءت عن فلان وفلان وعلى طرق ومناهج أحدثت في القرن الرابع عشر فإن تلك الجماعات أو الجماعتين اللتين أُشير إليهما إنما وجدتا وولدتا في القرن الرابع عشر على هذا المنهج وعلى هذه الطريقة المعروفة التي هي الإلتزام بما كانوا عليه مما أحدثه من أحدث تلك المناهج وأوجد تلك المناهج فالإعتماد ليس على أدلة الكتاب والسنة وإنما هو على آراء وأفكار ومناهج جديدة محدثة يبنون عليها سيرهم ومنهجهم، ومن أوضح ما في ذلك أن الولاء والبراء عندهم إنما يكون لمن دخل معهم أو كان معهم. فمثلاً جماعة الإخوان من دخل معهم فهو صاحبهم يوالونه ومن لم يكن معهم فإنهم يكونون على خلاف معه أما لو كان معهم ولو كان من أخبث خلق الله ولو كان من الرافضة فإنه يكون أخاهم ويكون صاحبهم ولهذا من مناهجهم أنهم يجمعون من هبَّ ودبَّ حتى الرافضي-الذي هو يبغض الصحابة! ولا يأخذ بالحق الذي جاء عن الصحابة، إذا دخل معهم في جماعتهم فهو صاحبهم ويعتبر واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم. اهـ<sup>(١)</sup>

#### ٦ - فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية بالمملكة:

قال حفظه الله تعالى: أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفا والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها وحقيقة الأمر يخفى، منهم من خالط بعض العلماء والمشايخ زمنًا طويلاً وهو لا يعرف حقيقة أمرهم يظهر كلامًا ويبطن غيره، لا يقول كل ما عنده، ومن مظاهر الجماعة وأصولها أنهم يغلقون عقول أتباعهم عن سماع القول الذي يخالف منهجهم

---

(١) المرجع السابق.

ولهم في هذا الإغلاق طرق شتى متنوعة، منها إشغال وقت الشباب جميعه من صبحه إلى ليله حتى لا يسمع قولاً آخر، ومنها أنهم يحذرون ممن ينقدهم فإذا رأوا واحداً من الناس يعرف منهجه وطريقتهم وبدأ في نقدهم وفي تحذير الشباب من الانخراط في الحزبية البغيضة أخذوا يحذرون منه بطرق شتى، تارة باتهامه، وتارة بالكذب عليه، وتارة بقذفه في أمور هو منها براء ويعلمون أن ذلك كذب، وتارة يقفون منه على غلط فيشنعون به عليه ويضخمون ذلك حتى يصدوا الناس عن اتباع الحق والهدى وهم في ذلك شبيهون بالمشركين يعني في خصلة من خصالهم حيث كانوا ينادون على رسول الله ﷺ في المجمع بأن هذا صابئ وأن هذا فيه كذا وفيه كذا حتى يصدوا الناس عن اتباعه.

ايضاً مما يميز الإخوان عن غيرهم أنهم لا يحترمون السنة ولا يحبون أهلها وإن كانوا في الجملة لا يظهرون ذلك لكنهم في حقيقة الأمر ما يحبون السنة ولا يدعون لأهلها وقد جربنا ذلك في بعض من كان متميماً لهم أو يخالط بعضهم، فتجد أنه لما بدأ يقرأ كتب السنة مثل صحيح البخاري أو الحضور عند بعض المشايخ لقراءة بعض الكتب حذروه وقالوا هذا لا ينفعك وبها ينفعك صحيح البخاري؟! ماذا تنفعك هذه الأحاديث؟! انظر إلى العلماء هؤلاء ما حالهم هل نفخوا المسلمين؟! المسلمون في كذا وكذا، يعني أنهم لا يقرون فيما بينهم بتدريس السنة ولا محبة أهلها فضلاً عن أصل الأصول ألا وهو الاعتقاد بعامة.

من مظاهرهم ايضاً أنهم يرومون الوصول إلى السلطة وذلك بأنهم يتخذون من رؤوسهم أدوات يجعلونها تصل، وتارة تكون تلك الرؤوس ثقافية وتارة تكون تلك الرؤوس تنظيمية، يعني أنهم يبذلون أنفسهم ويعينون بعضهم حتى يصل بطريقة أو بأخرى إلى السلطة وقد يكون مغفولاً عن ذلك يعني إلى سلطة جزئية حتى ينفذون من خلالها إلى

التأثير وهذا يتبع أن يكون هناك تحزب، يعني يقربون منهم من في الجماعة ويبعدون من لم يكن في الجماعة فيقال: فلان ينبغي إبعاده، لا يمكن من هذا، لا يمكن من التدريس، لا يمكن من أن يكون في هذا، لماذا؟ والله هذا عليه ملاحظات! ما هي هذه الملاحظات؟ قال: ليس من الشباب ليس من الإخوان ونحو ذلك. يعني صار عندهم حب وبغض في الحزب أو في الجماعة وهذا كما جاء في حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم». قال: وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام فادعوا بدعوة الله التي سامكم بها ربكم المسلمين والمؤمنين عباد الله» وهو حديث صحيح. كذلك ما جاء في الحديث المعروف أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن انتخى بالمهاجرين وللآخر الذي انتخى بالأنصار قال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» مع أنهما اسمان شرعيان المهاجر والأنصار، لكن لما كان هناك موالاتة ومعاداة عليهما ونصرة في هذين الاسمين وخرجت النصرة عن اسم الإسلام بعامة صارت دعوى الجاهلية، ففيهم من خلال الجاهلية شيء كثير ولهذا ينبغي للشباب أن ينبهوا على هذا الأمر بالطريقة الحسنى المثلى حتى يكون هناك اهتداء إلى طريق أهل السنة والجماعة وإلى منهج السلف الصالح كما أمر الله جل وعلا بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، أيضاً من مظاهرهم بل مما يميزهم عن غيرهم أن الغاية عندهم من الدعوة هو الوصول إلى الدولة هذا أمر ظاهر بين في منهج الإخوان بل في دعوتهم. الغاية من دعوتهم هو الوصول إلى الدولة أما أن يُنَجَّى الناس من عذاب الله جل وعلا وأن تبعث لهم الرحمة بهدايتهم إلى ما ينجيهم من عذاب القبر وعذاب النار وما يدخلهم الجنة فليس في ذلك عندهم كثير أمر ولا كبير شأن ولا يهتمون بذلك، لأن الغاية عندهم هي إقامة الدولة ولهذا يقولون الكلام في الحكم يجمع الناس والكلام في أخطاء الناس ومعاصيهم يفرق الناس فابذلوا ما به تجتمع

عليكم القلوب، وهذا لا شك أنه خطأ تأصلي ونية فاسدة، فإن النبي ﷺ بين أن مسائل القبر ثلاث، يسأل العبد عن ربه وعن دينه وعن نبيه ﷺ، فمن صحب أولئك زمناً طويلاً وهو لم يعلم ما ينجيه إذا أُدخل في القبر، فهل تصح له؟ وهل حُبُّ له الخير؟ إنما جعل أولئك ليستفاد منهم للغاية، ولو أحبوا المسلمين حق المحبة لبذلوا النصيحة فيما ينجيهم من عذاب الله، علموهم التوحيد وهو أول مسؤول عنه. اهـ<sup>(١)</sup>

#### ٧- فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة

الدائمة للإفتاء حفظه الله تعالى.

سئل: ما حكم وجود مثل هذه الفرق التبليغ والإخوان وغيرها في بلاد المسلمين عامة؟  
فأجاب حفظه الله تعالى: هذه الجماعات الوافدة يجب ألا نتقبلها لأنها تريد أن تنحرف بنا وتفرقنا، تجعل هذا تبليغياً وهذا إخوانياً! لم هذا التفرق؟ هذا كفر بنعمة الله سبحانه وتعالى، نحن على جماعة وعلى وحدة وعلى بينة من أمرنا، لماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ لماذا نتنازل عما أكرمنا الله سبحانه وتعالى به من الاجتماع والإلفة والطريق الصحيح وننتهي إلى جماعات تفرقنا وتشتم شملنا وتزرع العداوة بيننا؟ هذا لا يجوز أبداً. اهـ<sup>(٢)</sup>

#### ٨- فضيلة الشيخ العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى ومتع بعمره.

سئل: جماعة الإخوان المسلمين والتبليغ من أي أصول البدع الأربعة التي افرقت عن جماعة المسلمين؟

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان» (١/٣٧٦-٣٧٧).

فأجاب حفظه الله: جماعة التبليغ والإخوان يدخلون في كثير من الفرق، يدخلون في التجهم، ويدخلون في بعض الاعتزاليات والعقلانيات، ويدخلون في فرق الصوفية التي فيها حلول وفيها وحدة وجود وفيها قبورية... فتراهم يمشون ويجمعون من كل النحل - والعياذ بالله - وهم يجمعون ولا يردون أحداً، يأتيهم رافضي، صوفي غالٍ أي شكل من الأشكال يقبلونه، لأنها دعوات سياسية وإن أخذت التبليغ طابع الدروشة والمسكنة فإنها دعوة سياسية، وأما الإخوان فيصرون بأن دعوتهم سياسية. اهـ<sup>(١)</sup>

#### ٩ - شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله.

سئل: لجماعة التبليغ تأثير عندنا، فما نصيحتكم للناس، وكذلك الإخوان المسلمين؟  
فأجاب حفظه الله تعالى: هاتان الفرقتان من الفرق المخالفة لأهل السنة ودعوتهم مخالفة لدعوة أهل السنة ومضادة لها، فهم لا يعتنون بالعلم ولا بالتوحيد ولا بمنهج السلف فجماعة التبليغ صوفية، وهم وأبناؤهم يدرسون عند الصوفية في الحديدة وفي الأحقاف وغيرهما ومؤسسهم محمد إلياس صوفي. والإخوان المسلمون مؤسسهم حسن البنا صوفي حصافي وهم خليط في أوساطهم الفرق الضالة وانحراف الإخوان المسلمين معلوم.. فالوجب الحذر من الفرق الضالة كلها ومنها هاتان الفرقتان. اهـ<sup>(٢)</sup>

#### ١٠ - فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي مفتي جنوب المملكة العربية

السعودية رحمه الله تعالى.

---

(١) من «مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي» (١٤/ ٤٥٥).

(٢) «الكنز الثمين في الأجوبة على أسئلة طلبة العلم والزائرين» المجموعة الأولى (١٠٧-١٠٨).

قال رحمه الله مجيباً عن سؤال بخصوص الجماعات الحزبية الموجودة في الساحة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: جماعة الإخوان المسلمين.

تعريف الإخوان المسلمين: هم أتباع حسن البنا ومنهجهم عليه ملاحظات أهمها ما يلي:

١ - التهاون في توحيد العبادة الذي هو أهم شيء في الإسلام ولا يصح إسلام عبد إلا به.

٢ - سكوتهم وإقرارهم للناس على الشرك الأكبر من الدعاء لغير الله والتطوف بالقبور والنذر لأصحابها والذبح على أسمائهم وما إلى ذلك.

٣ - أن هذا المنهج مؤسسه صوفي له علاقة في الصوفية حيث أخذ البيعة من عبد الوهاب الحصافي على طريقته الحصافية الشاذلية.

٤ - وجود البدع عندهم وتعبدهم بها بل إن مؤسس المنهج يقرر بأن النبي ﷺ يحضر مجالس ذكرهم ويغفر لهم ما قد مضى من ذنوبهم في قوله:

صلى الإله على النور الذي ظهرنا للعالمين ففاق الشمس والقمر  
هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكل فيما قد مضى وجرى

٥ - دعوتهم إلى خلافة، وهذا بدعة فإن الرسل وأتباعهم ما كلفوا إلا بالدعوة على التوحيد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٦ - عدم الولاء والبراء عندهم أو ضعفه ويتبين ذلك من دعوتهم للتقريب بين السنة والشيعة وقول المؤسس: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه. انتهى

- ٧- كراهتم لأهل التوحيد وأصحاب الطريقة السلفية وبغضهم لهم ويتبين ذلك من كلامهم في الدولة السعودية التي قامت على التوحيد وتدرس التوحيد في مدارسها ومعاهدها وجامعاتها ومن قتلهم لجميل الرحمن الأفغاني لكونه يدعو إلى التوحيد والذي عنده مدارس يدرس فيها التوحيد.
- ٨- تتبعهم عثرات الولاة والتنقيب عن مثالبهم سواء كانت صدقاً أم كذباً ونشرها في الشباب الناشئ ليبغضوهم عندهم وليملئوا قلوبهم حقداً عليهم.
- ٩- الحزبية الممقوتة التي يتمون إليها فيوالون من أجل الحزب ويعادون من أجله.

- ١٠- أخذ البيعة على العمل للمنهج الإخواني بالشروط العشرة التي ذكرها المؤسس. وهناك ملاحظات أخرى يمكن أن نأخذها فيما بعد. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «الفتاوى الجليلة عن المناهج الدعوية» إجابات الشيخ النجمي (١/ ٧٨-٧٩). وانظر للتفصيل كتاب الشيخ رحمه الله تعالى «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال».

## الباب الثاني:

- الفصل الأول: مفاهيم يجب أن تصحح (تمهيد)
- الفصل الثاني: مصطلح الحركة الإسلامية.
- الفصل الثالث: مصطلح الصحوة الإسلامية.
- الفصل الرابع: مصطلح الفكر الإسلامي.
- الفصل الخامس: مصطلح فقه الواقع.

## الفصل الأول: مفاهيم يجب أن تصحح

تمهيد:

إن من الخطورة بمكان في عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجه القائم على الكتاب والسنة تبني مصطلحات دون تحديد لمضامينها وما تحتويه من معانٍ، خاصةً وأنه قد تسربت إلى المسلمين بعض المصطلحات التي تأثرت بتجارب الكافرين والملحدين ونظرتهم للإسلام والمسلمين. فما معنى الإصطلاح؟ وما ضابطه وأهدافه؟ وما هي الآثار المترتبة على استعمال المصطلحات الباطلة.

أولاً: المصطلح «لغة»:

المصطلح مشتق من الفعل (اصطلح)، قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة (صلح):  
الصلاح ضد الإفساد، صَلَحَ، يَصْلُحُ وَيَصْلُحُ صَلَاحًا وَصُلُوحًا. إلى أن قال: وَالصُّلْحُ:  
تصالح القوم بينهم، والصلح السلم. وقد اصطلحوا وصالحوا واصلحوا وتصلحوا  
وواصلحوا مشددة الصاد قلبوا التاء صادًا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد. اهـ

وقال الأزهري في «تهذيب اللغة»: قال الليث: (الصُّلْح) تصالح القوم بينهم، والصلاح نقيض الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، ورجل صالح: مصلح والمصلح في أعماله وأمره. إلى أن قال: وَالصَّلَاحُ بمعنى المصالحة والعرب تؤنثها. اهـ

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وغير ذلك من الآيات.

فهذه المادة (صَلَح) مشتقاتها دائرة في معانيها بين الإصلاح وعدم الإفساد، والإتفاق على أمر ما.

#### واصطلاحًا:

قال في «التعريفات»: الإصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الإصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الإصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الإصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين. اهـ<sup>(١)</sup>

فلاحظ من خلال التعريف بناؤه على وضوح المعنى المراد من الإصطلاح بين المتخاطبين.

#### ثانيًا: شروطه:

يشترط للإصطلاح شروطًا:

١ - موافقة الكتاب والسنة، أو عدم مخالفة الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ومن السنة قول النبي ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ»، وقوله ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ومعنى موافقة المصطلحات للكتاب والسنة، أي استعمال المصطلحات والألفاظ الشرعية الواردة فيهما، ومعنى عدم مخالفة المصطلحات للكتاب والسنة أي بالنسبة إلى المصطلحات المؤلدة، فإرجاعها إلى الكتاب والسنة إن صحت معاني تلك المصطلحات فيهما صح استعمالها فيكون الوحي هو الحكم في الأخذ بها أو عدمه.

## ٢- موافقة اللغة العربية:

وذلك أنها اللغة التي خوطبت بها هذه الأمة سواء كان من خلال الكتاب أو من خلال السنة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

## ٣- أن يكون نافعا:

فإن الأصل في نشأة المصطلحات عند المسلمين إنما تكون فيما يعود عليهم بالنفع في واقعهم وما يبلغهم مرضاة ربهم.

قال الإمام الشاطبي: كل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعاً، والدليل على ذلك استقراء الشريعة...<sup>(١)</sup>

والخلاصة: كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الإصطلاح ويحمّله على تلك اللغة التي اعتادها.<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية فيعبرون بها وجدوا إلى ذلك سبيلاً ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً وقالوا إنما قابل بدعة بدعة ورد باطلاً بباطل. اهـ.<sup>(٣)</sup>

ثالثاً: أهدافه:

الهدف الرئيسي لاستعمال المصطلحات هو تقريب المعنى المراد مع سهولة في التعبير واختصار في اللفظ ينتج عنها توحيد للمناهج عند الأفراد.

رابعاً: الآثار المترتبة على استعمال المصطلحات الباطلة:

وأذكر منها لا على سبيل الحصر:

---

(١) الموافقات (١/٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/١٠٦-١٠٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٥٤).

- اضطراب كبير في فهم الحقائق.
- الفتنة في الدين.
- التأثير في الناس وإيراثهم التبعية لجهة أو لبلد أو لأمة معينة.
- يورث التقليد.
- تسرب أفكار خاطئة تحت مصطلحات براقة.
- إيقاع الناس في الحيرة والتذبذب.
- فساد العقائد.
- ضياع الأوقات والجهود.
- إيقاع الفرقة والخلاف.
- عدم التمييز بين المصطلحات التي يمكن استعمالها والتي يجب ردها.
- تأثيرها السلبي في الفتوى.
- استبدالها والاستغناء بها عن المصطلحات والألفاظ الشرعية.

فالواجب: هو استعمال المصطلحات الشرعية والاستغناء بها عن كثير من المصطلحات الوافدة، وكذلك إعادة النظر في كثير من المصطلحات التي تسربت إلى المسلمين مع ما تحمله من مفاهيم خاطئة، ونذكر منها لا على سبيل الحصر: الأصولية، التطرف، الإرهاب، العولمة، الإستعمار، حركة التنوير، الحركة الإسلامية، حركة التحرير، الصحوة، الفكر الإسلامي، فقه الواقع، الشورقراطية، الإنتفاضة، الثورة، الإنسانية، الديانات السماوية، التغيير، الثقافة، رجال الدين، التطوير، التجديد، الانحطاط، التقدم، العقلانية، الحرية، المساواة، التراث...

## الفصل الثاني: مصطلح الحركة الإسلامية

يكثّر راشد الغنوشي من استعمال لفظ (الحركة) و (الحركة الإسلامية) في كتبه! وقد سمي حزبه بـ «حركة الاتجاه الإسلامي»!، وكتب كتابين وعنون للأول منهما بـ «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير»، وللثاني «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس»!

فما معنى الحركة؟ ومن هم الحركيون؟

الحركة ضد السكون<sup>(١)</sup> والتحرك والحركة تطلق على كل متحرّك سواء كان بنفسه أو بتحريك غيره قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦].

والتحرك يطلق على ما له روح وما ليس له روح، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، واهتز النبات إذا تحرك لنضارته. قال تعالى: ﴿وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]، واهز التحريك الشديد.

والحركة وصف للمسلم والكافر، وهي كذلك وصف للمؤمن والفاجر، ولكل تحرك حق ولكل تحرك باطل.

الحركة في لغة السياسة: هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة إجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الإقتصادية أو الإجتماعية أو السياسية أو تحسينها جميعاً. وقد أصبحت كلمة الحركة تطلق الآن على كثير من التنظيمات

---

(١) الصحاح للجوهري.

الإجتماعية والفكرية مثل الحركات الإسلامية وحركات التحرير التي قامت في كثير من بلاد العالم.<sup>(١)</sup>

يقول راشد الغنوشي: ماذا نعني بمصطلح الحركة الإسلامية؟

إن للدعوة للإسلام والتحريك به أساليب واتجاهات كثيرة كالوعظ والإرشاد ونشر العلم والتربية على العبادة والذكر وإنشاء مؤسسات صحية وثقافية وللخدمات الإجتماعية، ولكن الذي عينا من بين ذلك الإتجاه الذي ينطلق من مفهوم الإسلام الشامل مستهدفا إقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية على أساس ذلك التصور الشامل. وهذا المفهوم ينطبق أكثر ما ينطبق على ثلاث اتجاهات كبرى: الإخوان المسلمون، الجماعة الإسلامية بباكستان، وحركة الإمام الخميني في إيران!!<sup>(٢)</sup> وما تبقى من اتجاهات إسلامية إما هو تابع بشكل أو آخر لأحد هذه الإتجاهات أو هو مبتدئ لم يتبلور بعد أو أنه قاصر عمله على جزئية من جزئيات الإسلام والعمل الإسلامي كالوعظ والدعوة والإرشاد والتربية والذكر. اهـ<sup>(٣)</sup>

وهذا تصريح بأنه لا عناية للحركة بتعليم الناس التوحيد وتحذيرهم من الشراكيات والخرافات وتعليمهم الأحكام الشرعية، وإنما أسس دعوتهم هي الإطاحة بالملوك والإنقلاب على السلطة وإقامة (الدولة الإسلامية) المزعومة!! التي تقوم على الجهل والخرافة وعلى الديمقراطية والحرية والبرلمانات والانتخابات...

---

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٥٥).

(٢) سيأتي الكلام على الخميني وثورته في إيران إن شاء الله تعالى.

(٣) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١١٩).

وأين الدعوة السلفية دعوة التوحيد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذه الثلاث الدعوات؟!!

وما هذا التجاهل؟! أم أنها تابعة إلى هذه الاتجاهات الثلاثة؟! أم أنها مبتدئة لم تبلور بعد؟! أم أن عملها قاصر على جزئية من جزئيات الإسلام والعمل الإسلامي؟! كيف وهي دولة قائمة تحكم بما أنزل الله وتقيم الحدود والشرائع فيها ظاهرة والعلماء فيها متوافرون؟! كيف وهي دعوة للناس كافة إلى التوحيد والسنة وإقامة شرع الله في الأرض؟! ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: ٢٢]. لعل السبب - عندك - هو أنها دعوة إلى الإنحطاط! لا تقرر بالديمقراطية ولا الحزبية التعددية ولا التناوب على السلطة عبر صناديق الاقتراع، ولا ولا...! فهي إذن داخلة في برنامج التحرير من الاستبداد والظلم!!

فالحريون من الجماعات الإسلامية هم قوم يكرسون كل حركتهم وجهدهم نحو تجميع الجماهير حولهم وتكتيلها ثم تنظيمها على شكل إمارة مشتملة على البيعة والسمع والطاعة تعتمد غاية السرية في العمل ولا تعطي ولاءها إلا لمن كان معها هدفها الرئيسي إسقاط السلاطين والملوك والوصول إلى سُدَّة الحكم وجميع الوسائل لبلوغ هذا المقصد مشروعة - عندهم - ولو كان ذلك بالتحالف مع أخبث خلق الله من يهود ونصارى وروافض ولو كان ذلك بإقرار الديمقراطية والتعددية الحزبية ودخول المجالس البرلمانية... ولو كان ذلك على حساب دينهم! ويرون أن هذا التحرك من أكد الواجبات وأعظم القربات لا يبلغ منازلها المسلم بصيام وقيام وزكاة بل ولا بتوحيد الله وإزالة الشرك والمنكرات، كل ذلك لا يعدل عشر معشار تحركهم!! ويرون سلوك طرق العلم والتعليم ونشر الدعوة وتحمل أعبائها ونشر التوحيد بين الناس غير نافع في هذا العصر لنشر الإسلام والوصول إلى تحكيم شرعه،

ويلمزون من سار على هذا النهج من العلماء بألقاب تنفر الناس عنهم كعلماء الخيض والنفاس وعلماء السلاطين... حتى لا يلتف الناس حول العلماء ويعرف حقيقة نهجهم. ولهم تركيز على الشباب الذين هم حدثاء الأسنان لشدة حماس الشباب واندفاعهم لما يرجونه منهم. ولهم عناية بتلقف الأخبار من الصحف والجرائد والمجلات والاشتغال بالسياسة عن العلم الشرعي وتضييع الأوقات في عرض القضايا السياسية والتحليلات، ويسمون هذا (فقه الواقع!) حتى قدموه على العلوم الشرعية ونبزوا غيرهم بجهله. ويرون حق الاختلاف وواجب وحدة الصف وأن إنكار المنكر من بدع وشركيات ومحرمات يفرق صفهم ويوجب الشحناء والتباغض بينهم.

هذه صفات الحركيين ومميزاتهم، فكن منها على ذكرٍ لتستبين سبيل المصلحين من سبيل المبطلين.

يقول الغنوشي: ما هي أهم العناصر التي تشكل ماهية الحركة الإسلامية؟

الشمول: أول هذه المقومات فكرة الشمول: فالإسلام في هذه الاتجاهات الثلاثة يؤخذ على أنه كل مترابط، كل جزئية فيه ترتبط بغيرها فالعقيدة والشريعة والعبادة كل متكامل ومن ثمَّ لا مجال للتفريق بين الدين والسياسة والدين والدولة والنصوص الصادرة عن كل هذه الاتجاهات كثيرة أكتفي بنص للإمام الخميني يقول فيه: إن أول واجبات الفقيه العارف بأحكام الشريعة هو النهضة والقيادة من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض والجهاد المستمر لتطهير أرض الله من أعداء الله عز وجل. عرفوا الناس بحقيقة الإسلام! حتى لا يظن جيل الشباب أن أهل العلوم في زوايا النجف يرون فصل الدين عن السياسة وأنهم لا يمارسون

سوى دراسة الحيض والنفاس ولا شأن لهم بالسياسة، إن النضال السياسي واجب وطني. اهـ<sup>(١)</sup>

فما هو المصطلح الشرعي الذي يجب استعماله والاستغناء به عن هذا اللفظ؟

أما لفظ (الحركة الإسلامية)، (الحركة) فيستغنى عنه بالمصطلح الشرعي (أهل السنة والجماعة)، (أهل الحديث)، (أهل الأثر)، (السلفيون)، (الفرقة الناجية)، (الطائفة المنصورة). وبدلاً من (التحرك) نستعمل (الدعوة)، (الإنذار)، (الإبلاغ).

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: إن من أدق ما يلتفت إليه هنا هو التزام لغة العلم، بمعنى الأسماء والمصطلحات الشرعية حتى يستطيع السامع والباحث أن يعرف مدى الربط بين الماضي والحاضر ولا يُعاب بانفصام عن ماضيه بجميع مقوماته ومواقفه. ولا يُبعد بالأفهام مثل قلب لغة العلم و(الشعارات) المستحدثة لاسيما تلك التي يتمسح بها ويكتسب العديد ببريقها مع خوائها، كما قال ابن الطراوة في وصف أبي علي الفارسي النحوي: «ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم» والتي إذا نظرت فيها رأيتها تعني منهج الفرق في القديم في جل مضامينها أو بعضها فكم تأبطت من أفكار وآراء ومسالك يأبأها الشرع المطهر.

وما قلب لغة العلم، بل لغة الدين إلا تكليف بأمر غير طبعي وهو شبيه بإتيان البيوت من ظهورها وإمراض اللغة مرض في الدين. وعليه يجب أن يكون النظر والبحث وترتيب الحكم في قالب لغة العلم لا غير.

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٢٠).

فلنعبر بـ (الفرق) لا بشعار الجماعات الإسلامية؛ لأن جماعة المسلمين واحدة لا تتعدد، (على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم) وما عدا جماعة المسلمين فهم من (الفرق) من جماعة المسلمين، ولنعبر بالبدعة أمام السنة. وأهل السنة والجماعة أمام أهل البدع والأهواء. والدعوة إلى الله، والإنذار، والبلاغ، بدلاً من (التحرك) و(الحركة الإسلامية)، فإن التحرك يطلق في لسان العرب على كل متحرك ولو لم يبارح مكانه، ولم يكن ذا روح، كتتحرك الأشجار.

ولنعبر بمراتب الديانة: الإسلام، الإيمان، الإحسان، بدلاً من (الضمير)، (الوجدان)، (الإنسانية)... وهكذا في سلسلة يطول استعراضها....

ويا لله كم في هذه المصطلحات المولدة من جنابة على العلم وحقائقه وإثارة للشبهات وانفصام عن مآثر الأسلاف، وبعث للخصوصيات وهكذا.

وكما يكون قلب لغة العلم من جهة المباني كما رأيت، فإنه يكون أيضاً من جهة المعاني بالتعبير عن البدع والأهواء الضالة... بالعبارات الإسلامية والمصطلحات الشرعية وهذا صنيع إخوان الصفا في «رسائلهم». وفي كل واحدة من الوجهتين جنابة على الشريعة، فالأولى (لباس ضال) والثانية فيها تضليل، إذ أخذوا مخ الباطل وكسوه لحاء الشريعة. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «حكم الإنتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» (ص ١٣-١٥).

### الفصل الثالث: مصطلح الصحوۃ الإسلامية

وكذلك يكثر راشد الغنوشي من استعمال كلمة (الصحوۃ الإسلامية) و(أبناء الصحوۃ الإسلامية) و(الصحوۃ)، ولم يرد هذا اللفظ في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسول الله ﷺ ولم يتلفظ به أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما هو مصطلح حادث بعد القرون المفضلة جاء من قبل المتصوفة، (فإن للصوفية مصطلحات تعبر عنها ألفاظ وكلمات وتراكيب ولها معانٍ خاصة ومطالب مخصوصة غير ما يدل عليه ظاهر الألفاظ والكلمات! أو تتضمن هذه المصطلحات والألفاظ على مدلولاتها الأصلية ولكن لها معانٍ أعمق وأكثر من مفهومها ومدلولها الظاهر بداهة ولأول وهلة! فإنها لم توضع إلا لنوع معين وقسم خاص من المفاهيم والمقاصد الغير المتبادر إليها الذهن ولكل قوم ما اصطلحوا عليه فلا يدرك أبعادها ولا يفهم مطالبها إلا من كان له معرفة وإلمام وعلم وإدراك بمصطلحات القوم وبما اختاروا لها من الكلمات والألفاظ ولما اختاروا لها أيضًا وربما يقرأ القارئ كتابًا صوفيًا أو رسالة صوفية فيمر على ألفاظ هي كالألفاظ، وكلمات كالكلمات ولكن لا يفهم منها شيئًا مع معرفته باللغة التي استعملت فيها تلك الألفاظ والكلمات وإتقانه إياها ويستغرب ويتعجب ويظل في متاهاتها ويتحير في مسالكها وصحاريها وضراريها!!<sup>(١)</sup>

والصحو عند المتصوفة هو: رجوع الصوفي إلى الإحساس بعد غيبة عقله وإحساسه.<sup>(٢)</sup>

---

(١) «دراسات في التصوف» للشيخ العلامة المجاهد إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى (ص ٢٩٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٠٤).

وهكذا الحركيون لهم ألفاظ وتركيب وراءها معانٍ ومدلولات أكثر مما يدل عليه ظاهر اللفظ بداهة، فإن معنى (الصحوة) عندهم أن الأمة غائبة عن واقعها تعيش مع الكتب الصفراء، مع مسائل الحيض والنفاس، مسائل لا علاقة لها بواقعنا ولا تنهض لمقاومة الظلم الحاصل في الأرض، فجاءت أفكار البنا وسيد والمودودي والحميني لتوقظ الأمة من سبات عميق وتشغل قلوب الشباب بـ (واقعهم!) لتحيي في قلوبهم (توحيد الحاكمية!) فيتحركون للإنتفاضة (الخروج!) وإسقاط عروش السلاطين.

يقول راشد الغنوشي: إن شعوب الأمة الإسلامية المطحونة تحت وطأة الظلم السياسي والإجتماعي والتواطؤ الدولي لا ترى في غير الصحوة الإسلامية مصدرًا لمواجهة تلك التحديات العظام. إن أبناء الصحوة الإسلامية يكادون ينفردون بساحة المعركة ضد أنظمة القمع والجور والسفالة والفساد. اهـ<sup>(١)</sup>

ويقول أيضًا: أبناء الصحوة الإسلامية والقليل القليل ممن تبقى من رجال الحركة الوطنية والعروبية واقفون وحدهم اليوم يملؤون السجون ويرفعون رايات الجهاد والدعوة ويخوضون حيث ما توفرت الفرصة المعارك الإنتخابية بحماس جهادي وتفوق في الطرح! وتضج بهم الشوارع احتجاجًا! اهـ<sup>(٢)</sup>

فهؤلاء نشأت (الصحوة) المزعومة عندهم بنشأة فرقة (الإخوان المسلمين).

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٥).

(٢) المصدر السابق.

يقول الغنوشي: أمّا وقد انهار البناء وزالت قبة السماء من فوق رؤوس المسلمين بسقوط الخلافة فقد غدت الحاجة إلى عمل تأسيسي، فكان حسن البناء ليعلن ولادة (الحركة الإسلامية). اهـ<sup>(١)</sup>

وقال محمد قطب في كتابه «واقعنا المعاصر» (ص ٤٠١): إنما نحن فقط ندرس هذه الظاهرة (ظاهرة الصحوة الإسلامية) لقد بدأت في قلب رجل واحد - يعني حسن البناء - فتح الله عليه ووهب له من إشراقة الروح وصفاء الصلة بالله. اهـ

ونسي هؤلاء (الصحوة) الحقيقية بمبعث النبي ﷺ الذي فتح الله به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً عمياً، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس».

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: الصحوة الإسلامية: هذا وصف لم يعلق الله عليه حكماً، فهو اصطلاح حادث، ولا نعرفه في لسان السلف جارياً، وجرى استعماله في فواتح القرن الخامس عشر الهجري في أعقاب عودة الكفار كالنصارى إلى «الكنيسة». ثم تدرج إلى المسلمين، ولا يسوغ للمسلمين استجرار لباس أجنبي عنهم في الدين، ولا إيجاد شعار لم يأذن الله به ولا رسوله؛ إذ الألقاب الشرعية توقيفية: الإسلام، الإيمان، والإحسان، التقوى، فالمنتسب: مسلم، مؤمن، محسن، تقي... فليت شعري ما هي النسبة إلى هذا المستحدث «الصحوة الإسلامية»: صاح، أم ماذا؟؟ ثم إنه يعني أن الإسلام كان في غفوة، وحال عزل في المسجد - كالديانة النصرانية كانت في الكنيسة فحسب - ثم أخذ في التمدد والانتشار،

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٢٨١).

ففي هذا بخصوص الإسلام إغفال للواقع، ومغالطة للحقيقة، وإيجاد جو كبير للتخوف من المتدينين والرعب منهم حتى تتم مقاومتهم، وفي مصطلحات الصوفية كما في رسالة ابن عربي «مصطلحات الصوفية»: الصحوة: رجوع إلى الإحسان بعد الغيبة بوارد قوي. اهـ<sup>(١)</sup>

سئل العلامة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: الصحوة الإسلامية تعبير شائع هذه الأيام لما نُطْلِقُ عليه المد الإسلامي والعودة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ماذا تقولون عنه؟ وبماذا تنصحون الشباب؟

فأجاب: كلمة الصحوة التي شاعت على ألسنة الناس في هذه الأيام كلمة تحتاج إلى تأمل؛ خصوصاً في هذه البلاد التي ما زالت ولن تزال بإذن الله متمسكة بالإسلام، ولم تكن غافلة عنه أو نائمة ثم استيقظت وصحت؛ فهذا التعبير إن صحَّ في بعض المجتمعات؛ فإنه لا يصحُّ في المجتمع السعودي الذي يحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فهو شعب صالح ومستيقظ. والحمد لله. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال في جواب سؤال آخر وجه إليه حفظه الله تعالى: أنا لي تحفظ على استعمال هذه الكلمة (الصحوة الإسلامية) وقد نشرت في الصحف أكثر من مرة لما فيها من جحود لجهود العلماء المصلحين المستمرة في كل زمان وجحود للبقايا الصالحة من هذه الأمة التي لا تخلو منها الأرض إلى قيام الساعة. اهـ<sup>(٣)</sup>

---

(١) «معجم المناهي اللفظية» (ص ٣٣٥-٣٣٦).

(٢) «المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان» (١/٤٠٨-٤٠٩).

(٣) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص ١٤٣).

وسئل حفظه الله تعالى: ما تقولون فيمن يطلق على الأمة الإسلامية المعاصرة بأنها «غائبة»؟  
فأجاب: القول بأن الأمة الإسلامية غائبة؛ يلزم منه تكفير الدول الإسلامية كلها، لأن  
معناه: ليس هناك دولة إسلامية. وهذا مخالف لقول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي  
على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله - تبارك وتعالى  
- وهم على ذلك».

فمهما كثر الضلال والاختلاف والكفر؛ فلا بدّ من بقاء هذه الطائفة المسلمة.  
فليس هناك غياب للأمة الإسلامية - والحمد لله -، ولا يشترط في المجتمع الإسلامي - أو  
في هذه الطائفة المنصورة - خلّوها من المعاصي؛ لأن المعاصي وجدت على عهد النبي ﷺ  
وعهد خلفائه، لكنها كانت تُقاوم وتُنكر. <sup>(١)</sup>

---

(١) المصدر السابق (ص ٩٤-٩٥).

## الفصل الرابع: مصطلح الفكر الإسلامي

من المصطلحات التي يكثر راخذ من استعمالها في كتاباته (الفكر) و(الفكر الإسلامي) و(المفكر الإسلامي) وقد كتب كتابًا وأسماه «من الفكر الإسلامي في تونس». فما معنى الفكر؟ وهل في الإسلام فكر؟

الفكر لغة: قال ابن منظور: الْفَكْرُ وَالْفِكْرُ إِعْمَالُ الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ قَالَ سَيَبَوِيه: وَلَا يَجْمَعُ الْفِكْرُ وَلَا الْعِلْمُ وَلَا النَّظَرُ. قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً والفكرة كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى ورجل فكير مثال فسيق وفكير كثير الفكر الأخيرة عن كراع... اهـ<sup>(١)</sup>

واصطلاحاً:

قال الجرجاني: الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول<sup>(٢)</sup>  
وقال الراغب الأصفهاني: الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان.<sup>(٣)</sup>

ومن خلال هذا العرض يتبين أن (الفكر) وصف لكل (جولان) أمر ما، صاحبه هو (العقل!) سواء كان عقل كافر أو مسلم، عالم أو جاهل، نتيجته (الفكرة) سواء كانت حقاً أو باطلاً، توحيداً أو شركاً معصية أو طاعة!! وأما المسلمون فعمدتهم في دينهم الوحي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا

---

(١) «لسان العرب» مادة (فكر).

(٢) «التعريفات» (ص ١٣٨).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص ٦٤٣).

مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المائدة: ١٥-١٦]، و العقل عندهم محكوم لا حاكم، وكذلك (الفكر) و(الفكرة) الناتجة عنه، وأما المستشرقون ومن تبعهم من الجهلة بدين الله عز وجل من المسلمين يريدون أن يزنوا النصوص بميزان الفكر والعقل والرأي وتأطيرها مع مستجدات العصر أو الإشتغال عنها بالتحليلات والطرح دون رجوع إليها.

ومما يتميز به الوحي عن الفكر:

- ١ - أن الوحي من الله عز وجل الكامل في جميع صفاته، المؤيد لعباده الذي وعده وقوله صدق، فالكتاب والسنة الصحيحة كلها حق وصدق وحقيقة بخلاف الفكر فإنه مشتمل على صدق وكذب وحق وباطل وحقيقة وخيال.
- ٢ - أن الوحي واحد من واحد ليس فيه اختلاف ولا تعارض ولا تناقض، ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، فكله يصدق بعضه بعضاً، بخلاف الفكر فإنه يختلف من رجل إلى آخر ومن مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر ولا يمكن أن يجتمع الناس على (عقل) يجعلونه حكماً بينهم. فالمصدر الوحيد عند المسلمين ما دام فيهم عرق ينبض هو الوحي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ والعقل تابع له، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: وأيضاً مما يجذر عنه كلمة (فكر إسلامي)، إذ معنى هذا أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر، والإسلام شرع من عند الله وليس فكراً المخلوق. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ بكر أبو زيد: ومنها: (الفكر الإسلامي)، و(الفكرة الإسلامية) بمعنى الإسلام؟!!

وكيف يصح أن يكون الإسلام ومصدره الوحي (فكراً)، و(الفكر) هو ما يفرزه العقل، فلا يجوز بحال أن يكون الإسلام مظهراً للفكر الإنساني؟

والإسلام بوحي معصوم والفكر ليس معصوماً، وإذا كان بعض الكاتبن<sup>(٢)</sup> أدرك الخطأ في هذا الاصطلاح فأبدله باصطلاح آخر هو: (التصور الإسلامي)، فإنه من باب رفع آفة بأخرى؛ لأن التصور مصدره الفكر المحتمل للصدق والكذب .

وهذه المصطلحات المولدة، جميعها تعني الكلمة الأجنبية (الأيدلوجية) بمعنى الأصول الإسلامية .

فعلى المسلمين نبذ الاصطلاحات المولدة الركيكة في معناها ومبناها، والتي تقطع الصلة بحبل العلم والإيمان. اهـ<sup>(٣)</sup>

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٢٤٥).

(٢) هو سيد قطب.

(٣) «معجم المناهي اللفظية» (ص ٣٧٢-٣٧٣).

وقال أيضًا: الإسلام ليس مجموعة أفكار، لكنه وحي منزل من رب العالمين في القرآن العظيم، وفي سنة النبي الكريم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

أما الفكر فهو قابل للطرح والمناقشة، قد يصح وقد لا يصح؛ لهذا فلا يجوز أن يطلق عليه: (فكر)؛ لأن التفكير من خصائص المخلوقين، والفكر يقبل الصواب، والخطأ، والشريعة معصومة من الخطأ، ولا يقال كذلك: (الفكر الإسلامي)؛ لأن العالم الذي له رتبة الاجتهاد، والنظر، مقيد بحدود الشرع المطهر، فليس له أن يفكر، فيُشرع، وإنما عليه البحث وسلوك طريق الاجتهاد الشرعي لاستنباط الحكم نعم يطلقون: (الفكر الإسلامي) في عصرنا، مريدين قدرته على الاستنباط، ونشر محاسن الإسلام، فمن هنا يأتي التسمُّح بإطلاقها، والأولى اجتنابها. اهـ<sup>(١)</sup>

قال الشيخ صالح آل الشيخ: إذن فلنشأة الفكر أسباب، وهذه بعض أسبابه ولا شك أن المتأمل لذلك ينظر إلى أن نشأة الفكر إذن لم تكن نشأة على علم وإنما كانت نشأة عاطفية اندفاعية ليست مؤصلة ولا منظمة، وإنما كانت بحسب الحال، دفاع عن التاريخ، دفاع عن العقيدة، دفاع عن الإسلام؛ لكن بطريقة غير مقننة، غير منظمة، غير مؤصلة، غير منضبطة، وبالتالي ظهر كثير من الكتابات التي تراها اليوم ممن يسمون بمفكرين إسلاميين، وفي الحقيقة إنما هم مفكرون ليسوا بإسلاميين؛ لأنهم إنما يفكرون تارة بالنظرة الاشتراكية وتارة بالنظرة الاعتزالية وتارة بنظرات مختلفة، فنشأ ما يسمى بالتنوير والاجتهاد والتطور والتقدم، حتى أتى من المفكرين من يزعم أنه لا بد من إقامة صرح جديد لطريقة العقل

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٣٠-٤٣١).

والتفكير والتعامل مع النصوص؛ لأن تلك إنما تناسب زمناً مضى وهذا الزمن لا بد له من شيء جديد.

إنه ولا شك انحراف خطير عن أصل هذا الدين وعن العلم الصحيح الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند رب العالمين في كتاب الله جلّ وعلا وفي سنة رسوله ﷺ. اهـ<sup>(١)</sup>

ومن هنا يظهر الفرق بين العالم الرباني المتضلع بعلم الكتاب والسنة وبين المفكر الإسلامي - زعموا - الذي عنده اطلاع عام وبعض الحوادث التاريخية وبعض الأخبار الغريبة وبعض ما يسمونه بالثقافة العامة وليس عنده علم بدين الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخُوفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

---

(١) من شريط بعنوان: «الفكر والعلم».

## الفصل الخامس: مصطلح (فقه الواقع)

إن من المصطلحات التي غيرت نظرة كثير من شباب المسلمين تجاه العلم والعلماء وما يصدر عنه من أحكام وفتاوى في النوازل وفي قضايا الأمة مصطلح (فقه الواقع)، هذا التركيب الذي لم يوجد عند من تقدم على أنه علم مستقل يزاحم علوم الكتاب والسنة، فقه الكتاب، فقه السنة، فقه اللغة... وإنما هو إحداث حركي مدبر لشغل الشباب بالبدعة عن السنة وبالتحليلات والتوقعات عن العلم الشرعي.

وقد أكثر راشد الغنوشي من استعمال هذا اللفظ في كتاباته، بل غدا هذا الفقه - المزعوم - مما ينعاه راشد على الإسلام وأهله!!

يقول راشد: كل هذا يحدث دون إيلاء ما يكفي من الاهتمام بالعنصر الأساسي والحاسم في معادلة التغيير ألا وهو الواقع، فهو وحده الكاشف عن الإستطاعة والإمكان أي حقيقة الظروف الموضوعية ومدى نضجها وما تتيحه من فرص للتغيير... فمن ذا الذي يملك الكشف عن هذا العنصر المحدد لنوعية وسيلة التغيير الذي فتح الشارع أمامها خيارات كثيرة؟ قطعاً ليست هي نصوص الشرع! فلقد قالت هذه كلمتها إذ أحالت الأمر إلى اجتهاد العقل في تشخيص الواقع والكشف عن القدرات المتوفرة ومدى قيامها بالتغيير المطلوب. فليست إذن كتب الفقهاء بمجدية شيئاً في هذا الباب! وإنما هي العلوم المتخصصة في فقه الواقع: علوم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والفلسفة والإحصاء والسياسة... إلخ، تلك العلوم التي يمثل تخلفنا الفادح فيها أهم خلل في فكرنا السياسي القديم وبخاصة الحديث،

أهم مصدر لتخلفنا وإهدار معظم طاقات أمتنا ونواياها الطيبة وتضحياتها الجسام من أجل تحقيق أهدافها. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: الانفصال عن الواقع: وإن من أسباب فشل الإسلاميين في إدارة الحوار بينهم اغترابهم عن الواقعية، يهيمنون مرة وراء مثاليات تاريخية ونماذج تراثية يحملون بيعث رفاتهما وقد مضت وتخلت في رميم، ويدوبون مرة حد الفناء في تجارب ونماذج كان أهم سبب لنجاحها قدرتها على فهم واقعها وحسن التفاعل مع معطياتها ولكن نجاحها يغري المتحمسين لمحاكاتها شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لم نتردد في دخوله... لقد هامت قبلنا وراء العالميات حركات معارضة كثيرة فما تقدمت خطوة نحو الواقع وفهمه والتفاعل به وتغييره، وما زادها هيامها وراء النماذج العالمية غير مزيد من التمزق والتشتت والصراع الداخلي وتهميش كيائها، والواقع من حولها يتطور وحركات أخرى تبرز وهي مشغولة بالدفاع عن تلك العالميات ومحاولة إسقاطها على الواقع، يُغني كل منهم على ليلاه ولكنهم تنبهوا أخيراً إلى أن تغيير ظاهرة لا يتم إلا بمعرفة قانونها وذلك لا يتم إلا بتحليلها وفهمها بعيداً عن كل أفكار مسبقة فكثفت دراستها للواقع إلحامها به فكان ذلك عاملاً فعالاً في إعادة الاعتبار لها واتجاهها نحو توحيد صفوفها واعتبار العالميات كلها مجرد تجارب للاستفادة وليست نماذج للإقتداء. إن الفكر الفعال لا يولد إلا من خلال تفاعله مع الواقع، وإنه لا وحدة إلا على صعيد الواقع إعطاء حاجاته ومقتضياته الأولوية لا

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١١١-١١٢).

ينازعها أولويتها إلا صريح الوحي ولا أمل في بناء أيديولوجي استراتيجي إسلامي إلا من خلال إستيعاب كامل لمعطيات ذلك الواقع. اهـ<sup>(١)</sup>

إن (الواقع) هو ما يحصل في دنيا الله تبارك وتعالى من وقائع وحوادث ويُخص منها ما كان متعلقاً بشخص معين أو جماعة معينة أو دولة معينة أو أمة معينة...، فكل حدث تعلق بشخص معين فذاك واقعه وكل حدث تعلق بجماعة معينة فذاك واقعها.. إلخ، وهذه العلاقة بين حدث وشخص معين - مثلاً - (الواقع) لا بد قبل الإهتمام به من معرفة مسائل:

الأولى: هل كل حدث تعلق بشخص لا بد من معرفته والبحث عنه؟

الثانية: هل هذا الحدث إذا كان متعلقاً بالأمة الإسلامية هل معرفته فرض عين على كل مسلم أم هو فرض كفائي؟

الثالثة: هل معرفة هذه الأحداث تحتاج إلى آلات اجتهد واستنباط حتى يسمى (فقهًا)؟

الرابعة: ما هي الوسائل المعتمدة في معرفة الواقع، وهل كلها تؤدي إلى معرفة واقع حقيقي أم خيالي؟

الخامسة: هل يعد الإنشغال بالواقع عن العلم الشرعي مدحاً في حق أصحابه؟

السادسة: من هم أعلم الناس بالواقع؟

• المسألة الأولى: هل كل حدث تعلق بشخص لا بد من معرفته والبحث عنه؟

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢٢٥-٢٢٦).

إن الواقع منه ما هو نافع ومنه ما هو ضار ومنه ما لا يعود على المسلم بنفع ولا بضرر، فكان لزاماً على المسلم أن يبحث على الوقائع التي تعود عليه بالنفع في دينه.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: كل مسألة لا ينبغي عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لا يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعاً. والدليل على ذلك استقراء الشريعة فإننا رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به، ففي القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فوقع الجواب بما يتعلق به العمل إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال... اهـ<sup>(١)</sup>

فبالتالي ينبغي على المسلم وعلى الأمة أن يأخذوا من الواقع ما ينفعهم في دينهم ويعرضوا عما لا يعود عليهم بالنفع فضلاً عما يعود عليهم بالضرر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

• المسألة الثانية: هل هذا الحدث إذا كان متعلقاً بالأمة الإسلامية هل معرفته فرض عين على كل مسلم أم هو فرض كفائي؟

إن ما تحتاجه الأمة من الوقائع سواء كان في الأمور الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية... ينبغي أن لا تكلف به جميع الأمة وإنما هو من الفروض الكفائية التي ينظر فيها إلى نفس الفعل بقطع النظر عن فاعله، ومن ألزم جميع الشباب بأن يكونوا فقهاء واقع مثله

---

(١) «الموقفات» (١/ ٤٣-٤٤).

مثل الذي ألزم جميع الناس بأن يكونوا أطباء ومهندسين... وعلماء السنة بحمد الله لا يفتون في قضية إلا بعد معرفة ملاساتها (الواقع المؤثر في الحكم الشرعي) سواء كان ذلك بالوقوف عليها مباشرة أو عن طريق ثقة موثوق بخبره.

يقول العلامة الألباني رحمه الله تعالى: إنك ترى وتسمع ممن يفخمون شأن (فقه الواقع) ويضعونه في مرتبة عليا فوق مرتبته العلمية الصحيحة أنهم يريدون من كل عالم بالشرع أن يكون عالماً بما سموه (فقه الواقع!) كما أن العكس - أيضاً - حاصل فيهم فقد أوهموا السامعين لهم والملتفين حولهم أن كل من كان عارفاً بواقع العالم الإسلامي هو فقيه بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح!! وهذا ليس بلازم كما هو ظاهر. اهـ<sup>(١)</sup>

يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى: فإذا كان ما أنزله الله على خاتم الأنبياء ﷺ لا يجب الإيمان به على الأعيان إلا إيماناً عاماً مجملاً وأن معرفته على التفصيل فرض كفاية عقله وفهمه وتعلم علم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعوة إلى الله كل ذلك واجب على الكفاية، أفما تقوله الصحف الكاذبة والصحفيون اليهود والشيوعيون والعلمانيون والنصارى ممن يحترفون الكذب والدجل وما يكتب عن نوادي (الروتاري) أهم عند الله وأعلى منزلة عند علماء الإسلام؟! اهـ<sup>(٢)</sup>

• المسألة الثالثة: هل معرفة هذه الأحداث تحتاج إلى آلات اجتهاد واستنباط حتى يسمى (فقهًا)؟

---

(١) «سؤال وجواب حول فقه الواقع».

(٢) «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية (حوار مع سلمان العودة)».

الفقه لغة هو: فهم ما دَقَّ وغمَضَ على الصحيح<sup>(١)</sup>.

(١) اختلفوا في تعريف الفقه لغة على عدة معانٍ: ١- الفهم وهذا قول الجمهور. ٢- العلم. ٣- الفهم والعلم. ٤- معرفة قصد المتكلم. ٥- يطلق على كل الذي تقدم المعرفة والفهم والعلم. ٦- التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد. ٧- فهم ما دق وغمض.

وهذا الأخير قاله أبو إسحاق الشيرازي في «شرح اللمع» (١/ ١٥٧)، ونسبه الزركشي في «البحر المحيط» (١/ ٢٠) إلى صاحب «اللباب» من الحنفية، قال علاء الدين المرداوي الحنبلي في «التحبير شرح التحرير» (١/ ١٥٩-١٦٠): ومعناه لبعض أصحابنا، قال ابن هبيرة: (هو استخراج الغوامض والإطلاع عليها) وهو أظهر، فإنه لا يقال: فقهت أن السماء فوقنا، ولا أن النار حارة ونحو ذلك، ويقال فقهت كلامك وهذا يقتضي أن الفقه أخص من العلم. قال ابن مفلح - من أصحابنا - عن كلام ابن هبيرة (ولعله مراد من أطلق). اهـ.

أي من أطلق أن الفقه بمعنى العلم، وقد ذكر ابن مفلح هذا في «أصوله» (ص ٩).  
فتبين أن الراجح هو القول الأخير وأن الفقه إدراك الأشياء الخفية، ومما يرجح هذا أن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً كما قال الشافعي، وأن اللغة العربية لا ترادف فيها إلا في حيز ضيق كما أبانه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٤٠٠ هـ) في مقدمة كتابه «الفروق اللغوية» وشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٤١) حيث قال في كلام نفيس: ومن الأقوال الموجودة عنهم - يعني في تنوع التفسير - ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة، فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز القرآن. إلى آخر كلامه رحمه الله. انظر «البحر المحيط» (١/ ١٩-٢٠)، «التحبير شرح التحرير» (١/ ١٥٣ فما بعد)، «التقرير والتحبير» (١/ ٣٠)، «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٤١)، «الفروق اللغوية» (ص ٣٣ فما بعد)، «الرسالة» (الفقرة رقم ١٣٨).

وعلى هذا لا يقال فقهاء أن الأرض تحتي وأن السماء فوقي وأن أمريكا عدو للإسلام والمسلمين... وما كان من هذا (الواقع!) الذي لا يحتاج إلى بذل الوسع في استنباط حكم من هذه الأحكام.

فإذا كان معرفة الواقع عبر الجرائد والمجلات والإذاعات... وغيرها من وسائل الإعلام يتوصل إليها كل من وقف على مثل هذه الوسائل طلباً للواقع دون أي جهدٍ وقد يكون لا يعرف مبادئ دين الإسلام بل قد يكون كافراً، بطل حينئذٍ تسميته بـ (فقه الواقع!) إذ ليس فيه من مبادئ وشروط الفقه شيئاً وإنما هي مجرد معرفة – إن صحت التسمية – أو مجرد ثقافة – إن صح التعبير –.

• المسألة الرابعة: ما هي الوسائل المعتمدة في معرفة الواقع، وهل كلها تؤدي إلى معرفة واقع حقيقي أم خيالي؟

إن الناظر في المشتغلين بما يسمونه (فقه الواقع) يرى رأي العين أن مصادر التلقي عندهم هي الإذاعات والقنوات والمجلات والصحف وكتابات السياسيين من يهود ونصارى... مع أن الله سبحانه وتعالى اشترط في تلقي الخبر وقبوله أن يكون من عدلٍ غير فاسق فضلاً عن كافر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه. وقد نهى الله

عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

إذن لا يعتمد على ما يثته هؤلاء من أخبار لأن مصادرهم غير موثوقة ولا معتمدة (وما آفة الأخبار إلا روايتها)، ولناخذ من علمائنا الربانيين الذين خبروا الواقع وعرفوه، والوقائع والنوازل التي مضت كواقعة الخليج، والجزائر، وأفغانستان، والسودان خير شاهد على أحكامهم السديدة بحمد الله تعالى.

• الخامسة: هل يعد الانشغال بالواقع عن العلم الشرعي مدحاً في حق أصحابه؟

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بتعلم العلم الشرعي الكتاب والسنة الذي تشمله لا إله إلا الله ولهذا لما دعا النبي ﷺ لابن عباس بالفقه دعا له بفقه الدين الذي هو مناط السعادة في الدنيا والآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» والانشغال بالواقع عن العلم الشرعي إنشغال بالذي هو أدنى عن الذي هو خير وتعرض للفتنة في الدين.

---

(١) «تفسير ابن كثير».

سئل العلامة الفوزان حفظه الله تعالى: كثير من الشباب زهدوا في متابعة الدُّروس العلميَّة المسجَّلة ولزوم دروس أهل العلم الموثوقين، واعتبروها غير هامة، أو قليلة النفع، واتَّجهوا إلى المحاضرات العصريَّة التي تتحدَّث عن السياسة وأوضاع العالم؛ لاعتقادهم أنَّها أهمُّ؛ لأنَّها تعني بالواقع؛ فما نصيحتكم لهؤلاء الشباب؟

فأجاب: هذا كما سبق؛ الاشتغال بالمحاضرات العامَّة والصَّحافة وبما يدور بالعالم دون علم بالعقيدة ودون علم بأمور الشَّرع تضليل وضياح، ويصبح صاحبها مشوَّش الفكر؛ لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير... وأما الاشتغال بواقع العصر - كما يقولون، أو فقه الواقع؛ فهذا إنما يكون بعد الفقه الشرعيِّ؛ إذ الإنسان بالفقه الشرعيِّ ينظر إلى واقع الناس وما يدور في العالم وما يأتي من أفكار ومن آراء، ويعرضها على العلم الشرعيِّ الصَّحيح؛ ليميز خيرها من شرِّها، وبدون العلم الشرعيِّ؛ فإنه لا يُميِّز بين الحقِّ والباطل والهُدى والضَّلال؛ فالذي يشتغل بآدئ ذي بدء بالأمور الثقافيَّة والأمور الصَّحافيَّة والأمور السياسيَّة، وليس عنده بصيرة من دينه؛ فإنه يضلُّ بهذه الأمور؛ لأنَّ أكثر ما يدور فيها ضلالة ودعاية للباطل وزُخرفٌ من القول وغرور، نسأل الله العافية والسَّلامة. اهـ<sup>(١)</sup>

فالنصيحة إلى إخواني أهل السنة وفقهم الله أن يعتنوا بالعلم الشرعي تعلِّماً وتعليماً ومدراسةً وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وأن يشغلوا أوقاتهم بما ينفع وأن يتعلموا السياسة الشرعية من مظانها ككتاب «الأحكام السلطانية» للهاوردي، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى، و«أحكام أهل الذمة»، و«الطرق الحكمية» لابن القيم، و«السياسة الشرعية»، و«الحسبة» لشيخ الإسلام بن تيمية، وكتاب «الإمارة من صحيح الإمام مسلم» مع شروحه... وغيرها

---

(١) «المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان» (١/ ٢٩٤-٢٩٦).

كثير. وقبل ذلك كله كتاب الله عز وجل فإنه مليء بالسياسة الشرعية وأخبار الملوك الماضية والحدود والمظالم ونحوها.

• المسألة السادسة: من هم أعلم الناس بالواقع؟

إن الناظر في القضايا المصرية التي مرت بالأمة يعلم أن الحركيين السياسيين من أجهل الناس بالواقع وأنهم انخدعوا بكثير من الدعوات والشعارات وصفقوا وطلبوا لها بحماسة، أما أهل السنة فقد تعاملوا معها بالضوابط الشرعية وبالرجوع إلى العلماء الراسخين فكانوا سالمين سلمهم الله، ومن أمثلة ذلك:

الإخوان هم الذين لعب بهم عبد الناصر في مصر حتى وصل إلى السلطة وأدخلهم السجون وأعد لهم المشانق وهو منهم!

الإخوان هم الذين طلبوا لصدام البعثي وجعلوه إمامًا للمسلمين!

الإخوان هم الذين صفقوا للخميني وجعلوه إمامًا حتى أقام دولة المجوس وآيات الشيطان تتحالف مع اليهود والنصارى ضد الإسلام وأهله!

الإخوان هم الذين لعبت بهم أمريكا في قضية أفغانستان حتى قتلوا جميل الرحمن وأسقطوا إمارته في (كُنر) لتبقى الكلمة للقبوريين!

الإخوان هم الذين لعبت بهم السياسة والبرلمانات وصناديق الاقتراع في الجزائر حتى زجوا بالبلاد في (عشرية سوداء!).

الإخوان هم الذين نادوا للدولة الإسلامية في السودان - دولة التراي - حتى إذا أقام عودها  
أيد دعوة القبوريين والنصارى في وسائل الإعلام وأقام المؤتمر العالمي للحوار بين الأديان!  
الإخوان هم الذين أشادوا بالرفضي (حسن نصر الله) وحزبه (حزب اللات) حتى تخربت  
لبنان وذاق أهلها الويلات!

الإخوان هم الذين غرهم التعددية الحزبية في تونس حتى ألقوا بعشرة آلاف من المغرر بهم  
تحت سياط الجلادين وأبشع أنواع التعذيب!...

فمن الذي لا يفقه الواقع بعد هذا، ألسلفيون أم الإخوان؟! رمتني بدائها وانسلت.

يقول محدث الجزيرة العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى: ونقول لهؤلاء الذين  
يزعمون أنهم يعرفون الواقع: لم صفقتم لصدام البعثي وكنتم أول من خرج للمظاهرات في  
تأييد صدام؟ ولماذا ضيعتم أوقاتكم في مدح ضياء الحق الباكستاني وهو لم يستطع أن يغير  
شيئاً؟ ولماذا أصبحتم آله لهم والآن يضيق عليكم؟! وهكذا أيضاً عمر البشير وغيره، ووالله  
لو كنتم تعرفون الواقع لعرفتم أن حكام المسلمين مسيرون غير مخيرين، ولو كنتم تعرفون  
الواقع لعرفتم أن سبب المصائب التي تحل بالمسلمين هي بسبب ذنوبهم لا بسبب لحى أهل  
السنة ولا بسبب الدعوة إلى التوحيد وهب أن شخصاً عرف الواقع فكيف يتصرف فيه وهو  
جاهل؟. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «فضائح ونصائح» (ص ٦٣).



### **الباب الثالث: مصادر التشريع ومناهج الاستدلال عند الغنوشي.**

- الفصل الأول: الكتاب والسنة.
- مبحث: في الاجتهاد والتقليد.
- الفصل الثاني: العقل.
- الفصل الثالث: الفلسفة.
- الفصل الرابع: كتب أهل الكتاب.
- الفصل الخامس: الأمة مصدر الشريعة.
- مبحث: جناية الغنوشي على ثالث الأدلة الشرعية (الإجماع).
- الفصل السادس: الدستور والقانون.
- الفصل السابع: شريعة حقوق الإنسان والقانون الدولي.

## مصادر التشريع ومناهج الاستدلال عند راشد الغنوشي

نذكر في هذا الفصل مناهج الاستدلال عند راشد الغنوشي التي تخول له الحكم في القضايا واستنباط الأحكام الشرعية، وذلك من خلال عرض بعض ما يستدل به في كتبه.

### الفصل الأول: الاستدلال بالكتاب والسنة

إن طريقته في الاستدلال بالكتاب والسنة هي طريقة أهل الأهواء والبدع الذين يتبعون المتشابه منه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرونه بما تهواه أنفسهم، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَحَذَرُوهُمْ».<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والمقصود هنا قوله - يعني الإمام أحمد -: يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٤٧)، ومسلم برقم (٢٦٦٥).

والسنة وكلام الناس لكن بمعانٍ آخر غير المعاني التي قصدوها هم بها فيقصدون هم بها معاني آخر فيحصل الاشتباه والإجمال.<sup>(١)</sup>

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: المسألة التاسعة: فيعرض فيه أن يعتقد في صاحبه أو يعتقد هو في نفسه أنه من أهل الاجتهاد وأن قوله معتد به وتكون مخالفته تارة في جزئي وهو أخف وتارة في كلي من كليات الشريعة وأصولها العامة، كانت من أصول الاعتقادات أو الأعمال، فتراه آخذاً ببعض جزئياتها في هدم كلياتها حتى يصير منها إلى ما ظهر له ببادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا راجع رجوع الافتقار إليها ولا مسلم لما روى عنهم في فهمها ولا راجع إلى الله ورسوله في أمرها كما قال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية ويكون الحامل على ذلك بعض الأهواء الكامنة في النفوس الحاملة على ترك الاهتداء بالدليل الواضح وإطراح النصفة والاعتراف بالعجز فيما لم يصل إليه علم الناظر ويعين على هذا الجهل بمقاصد الشريعة وتوهم بلوغ درجة الاجتهاد باستعجال نتيجة الطلب فإن العاقل قلما يخاطر بنفسه في اقتحام المهالك مع العلم بأنه مخاطر.

وأصل هذا القسم مذكور في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] الآية وفي الصحيح أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ثم قال: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَخَذُوا مِنْهُمْ» والتشابه في القرآن لا يختص بما نص عليه العلماء من الأمور الإلهية الموهمة للتشبيه<sup>(٢)</sup> ولا

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٢٢).

(٢) والقول بأن نصوص الصفات من المتشابه الموهم للتشبيه ليس بصحيح، فإن مذهب أهل السنة في نصوص الصفات أنهم جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله عز وجل وأبقوا دلالتها على ذلك

العبارات المجملة ولا ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ ولا غير ذلك مما يذكرون بل هو من جملة ما يدخل تحت مقتضى الآية إذ لا دليل على الحصر وإنما يذكرون من ذلك ما يذكرون على عادتهم في القصد إلى مجرد التمثيل ببعض الأمثلة الداخلة تحت النصوص الشرعية فإن الشريعة إذا كان فيها أصل مطرد في أكثرها مقرر واضح في معظمها ثم جاء بعض المواضع فيها مما يقتضي ظاهره مخالفة ما اطرده فذلك من المعدود في التشابهات التي يُتَّقَى اتباعها لأن اتباعها مفض إلى ظهور معارضة بينها وبين الأصول المقررة والقواعد المطردة فإذا اعتمد على الأصول وأرجى أمر النوادر ووكلت إلى عالمها أو ردت إلى أصولها فلا ضرر على المكلف المجتهد ولا تعارض في حقه. اهـ<sup>(١)</sup>

وهذا كلام نفيس جدًا يبين غوائل النفوس والأهواء وأنه ليس ثمَّ صاحب رأي إلا ويستدل بمتشابه النصوص وما يوهم أنه يوافق هواه.

إلا أنني أتساءل عن حقيقة صنيعك يا راشد! كما تسائل الشاعر شوقي عن حقيقة صنيع قاسم أمين: أهو غير المدافع عن النصوص الإسلامية أم هو إغارة المحرف لها عن مواضعها؟ وذلك من خلال قصيدة له ألقاها سنة ١٩٢٨ م قال فيها:

ولـك البـيـانُ الجـزُلُ في      أنثائـه العلم الغزيرُ  
في مـطلـبٍ خـشـنٍ كـثـيٍ      في مزالـقه العُثـورُ

=

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولم يفهم أحد من السلف من نصوص الصفات التشبيه ولا استشكل ذلك.

(١) «الموافقات» (٥/١٤٢-١٤٤).

ما بالكتاب ولا الحديث إذا ذكرتهما نكسر  
حتى لنسأل: هل تغا ر على العقائد أم تُغير؟<sup>(١)</sup>

---

(١) «حصوننا مهددة من الداخل».

## مبحث في الإجتهد والتقليد

يحسن بنا هنا أن نورد هذا المبحث في الإجتهد فإنه قد كثرت الدعوة من راشد إلى الإجتهد ونبذ التقليد، وهي دعوة رائقة ذات حسن وجمال، يقول العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى: وفضل الله واسع وعطاؤه جُمّ وليس لك أن تعتقد أن صوابه صواب لك أو خطأه خطأ عليك بل عليك أن توطن نفسك على الجد والإجتهد والبحث بما يدخل تحت طوقك وتحيط به قدرتك حتى تبلغ إلى ما بلغ إليه من أخذ الأحكام الشرعية من ذلك المعدن الذي لا معدن سواه والموطن الذي هو أول الفكر وآخر العمل، فإن ظفرت به فقد تدرجت من هذه البداية إلى تلك النهاية وإن قصرت عنه لم تكن ملومًا بعد أن قررت عند نفسك وأثبت في تصورك أنه لا حجة إلا الله ولا حكم إلا منه ولا شرع إلا ما شرعه. اهـ<sup>(١)</sup>

إلا أنه يكمن حسننها وجمالها إذا تحليت بضوابطها وكنت لذلك أهلاً، لكن كما قال الشاعر: فعد عن الكتابة لست منها ولو لطخت ثوبك بالمداد يقول راشد: وكان من نتائج هذا التحرر انفتاح باب الإجتهد وتمكين الإسلام من إدارة الحوار مع الواقع الجديد والتفاعل معه أخذًا وعطاءً قبولًا ورفضًا وذلك بعد أن تم نفض الغبار عن كنوز في تراثنا كان قد حبسها وأهال عليها التراب عصر - الإنحطاط مثل: فكر الشاطبي في المقاصد وأن الدين مبني على تحصيل المصالح ودرء المفاسد، وفكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في توافق صريح المعقول مع صحيح المنقول، وفكر ابن خلدون في ارتباط أحوال الدول بأحوال المجتمعات، وميراث ابن حزم في الرد على التقليد وفي رعاية الإسلام للجمال والأذواق، ولقد أهلت هذه العملية الإحيائية لاكتشاف الإسلام من

---

(١) «أدب الطلب ومنتهى الأرب» (ص ٨٧).

ناحية واقتداره على التفاعل الرشيد مع العصر في اتجاه استيعابه بديلاً عن رفضه أو الذوبان فيه، ما جعل ممكناً الحديث عن نظام سياسي إسلامي حديث! يستمد شرعيته من الإرادة العامة حسب قواعد دستورية!! تحد من السلطان المطلق للحاكم. اهـ<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً: أما العوائق الداخلية فليست بأقل فداحة ولا سيما على سبيل الفكر حيث توصل التأثير المدمر لفكر التقليد والجمود والتشدد وما أثمر من تعصب ورفض للآخر ولتعدد الرأي والاجتهاد... ولا يزال خلفاء الرسول ﷺ بعد أربعة عشر قرناً من تكريمه للمرأة واعتبارها شريكاً في الجهاد وإبداء المشورة التي انقذت الجماعة في أدق تجربة مرت بها علاقة النبي عليه السلام بأصحابه في صلح الحديبية، لا يزالون يمترون ويبدئون ويعيدون في مدى اسحقاق المرأة المسلمة مجرد إبداء صوتها في الانتخابات النيابية وكأنها غير معنية بها ناهيك عن حقها في تمثيل الأمة. اهـ<sup>(٢)</sup>

فهذا هو الاجتهاد الذي يسعى فيه راشد، نظام سياسي إسلامي حديث! وامرأة تمثل الأمة!! وأما أئمة الإسلام كالشاطبي وابن تيمية وابن القيم وابن حزم بريؤون من هذا (الاجتهاد!) براءة الذئب من دم ابن يعقوب. فإنه ليس كل اجتهاد معتبر عند أهل العلم، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: الاجتهاد الواقع في الشريعة ضربان: أحدهما الاجتهاد المعتبر شرعاً وهو الصادر عن أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفتقر إليه الاجتهاد وهذا هو الذي تقدم الكلام فيه، والثاني غير المعتبر وهو الصادر عن من ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه لأن حقيقته أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض وخبط في عماية واتباع للهوى فكل رأي صدر على هذا

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٥٦-٥٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٥٩).

الوجه فلا مرية في عدم اعتباره لأنه ضد الحق الذي أنزل الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] الآية. اهـ<sup>(١)</sup>

وأيضاً لا اجتهاد مع النص الشرعي من كتاب أو سنة فإنه كما قيل: (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل)

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

ومن السنة حديث ابن عباس في الصحيحين في قصة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سحماء، قال النبي ﷺ: «لَوْلَا مَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»، يريد بكتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ

(١) «الموافقات» (٥ / ١٣١).

الكَافِرِينَ ﴿النور: ٨﴾. ويريد بـ (الشأن) أنه كان يحدها لمشابهة ولدها للرجل الذي رميت به ولكن كتاب الله عز وجل حكم في القضية ولم يبق للإجتihad بعده مجال.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فصل: في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص، وسقوط الإجتihad والتقليد عند ظهور النص، وذكر إجماع العلماء على ذلك.<sup>(١)</sup> وأيضا لا يعذر من أدى به اجتihadه إلى بدعة، قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى: ومن قول أهل السنة: إنه لا يعذر من وداه إجتihad إلى بدعة، لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يعذروا إذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم عليه السلام مارقين من الدين، وجعل المجتهد في الأحكام مأجورا وإن أخطأ. اهـ<sup>(٢)</sup>

وهذا تأصيل سلفي أثري يعتني به كل طالب حق يبتغي السلامة في دينه، فتأمل.

---

(١) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ج ٢/ ٢٦٠) ط. دار الفكر.

(٢) «كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» (ص ١٢١).

## الفصل الثاني: العقل

يقول راشد الغنوشي: إن الشريعة ليست نصوصًا جامدة ولا هي مصاغة في صيغ نهائية! وليست أيضًا مدونة قانونية بحيث وضعت لكل فعل وحالة حكمًا! وإنما المجال لا يزال فسيحًا للتفسير والتحديد والإضافة والتجديد!! عن طريق استخدام العقل الفردي والجماعي (الإجتهد). اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

أما قوله: (ولا هي مصاغة في صيغ نهائية) فهذا كذب، والله عز وجل يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأما قوله: (وليست أيضًا مدونة قانونية بحيث وضعت لكل فعل وحالة حكمًا)<sup>(٢)</sup> وهذا أيضًا باطل من القول وزور، فإن الله عز وجل يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ويقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. وقول راشد هذا نظير قول أرباب الكلام الذين قالوا إن عدم العمل بالقياس يفضي إلى خلو كثير من الحوادث عن الأحكام لقلة النصوص وكون الصور لا نهاية لها، وغلا بعضهم فقال:

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٢٣).

(٢) ونظيره قول راشد: فليس في الإسلام نص على كل تشريع يحتاجه الناس! ولم ينحصر الحق وما هو نافع في الإسلام!! وحسب المشرع المسلم!! في غياب النص القطعي وروداً ودلالةً أن يجتهد متحرراً العدل والمصلحة فحيث العدل والمصلحة فثم شرع الله، حسب القائمين على دولة الإسلام أن لا يصدر عنهم تشريع أو توجيه يتصادم والأحكام القطعية وهي قليلة جداً!! اهـ «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٩٠-٩١).

النصوص لا تحيط بعشر معشار الحوادث<sup>(١)</sup>، واشتهرت هذه الكلمة (الحوادث لا تنهاى والنصوص تنهاى)<sup>(٢)</sup> عن أبي المعالي الجويني وتبعه على ذلك جماعة كالآمدي والغزالي والرازي وهي بدعة ضلالة مخالفة للكتاب والسنة مبناها على الإستخفاف بالنصوص والتقصير في فهمها، وحصرهم دلالة النصوص على مجرد ظاهر اللفظ دون إيمائه وتنبيهه وإشارته ومفهوم موافقته ومخالفته وعرفه عند المخاطبين.

كيف (لم تضع لكل فعل وحالة حكماً!) وعندنا باب عظيم هو باب العمومات تدخل تحته آلاف المسائل؟! وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن الحمر فقال: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»<sup>(٣)</sup>.

ومبحث العام يعد من مناقب النبي ﷺ كما في الحديث: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»<sup>(٤)</sup>.

قال الشاطبي: ورأس هذه الجوامع في التعبير العمومات.<sup>(٥)</sup>

وقد أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم هذه المقالة على أصحابها وشنعوا عليهم غاية التشنيع. سئل شيخ الإسلام عن هذه المقالة فأجاب رحمه الله تعالى: الحمد لله رب العالمين

(١) نسبها شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٢٨٠)، والزركشي في «البحر المحيط» (٥ / ١٨٥) إلى إمام الحرمين في كتابه «البرهان» وما وقفت عليها في الكتاب المذكور بعد البحث.

(٢) «البرهان» (٣ / ٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٣٧١)، ومسلم برقم (٢٢٩٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧)، وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٥) «الموافقات» (٤٨ / ٤).

هذا القول قاله طائفة من أهل الكلام والرأي كأبي المعالي وغيره وهو خطأ بل الصواب الذي عليه جمهور أئمة المسلمين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد ومنهم من يقول إنها وافية بجميع ذلك وإنما أنكر ذلك من أنكره لأنه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله وشمولها لأحكام أفعال العباد وذلك أن الله بعث محمدًا بجوامع الكلم فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية وقاعدة عامة تتناول أنواعا كثيرة وتلك الأنواع تتناول أعيانًا لا تحصى فبهذا الوجه تكون النصوص محيطية بأحكام أفعال العباد. (١)

قال العلامة ابن القيم تحت موضوع (إحاطة الأوامر الشرعية بأفعال المكلفين): وهذه الجملة إنما تنفصل بعد تمهيد قاعدتين عظيمتين إحداهما أن الذكر الأمري محيط بجميع أفعال المكلفين أمرًا ونهيًا وإذنًا وعفوًا كما أن الذكر القدري محيطٌ بجميعها علمًا وكتابةً وقدراً فعلمه وكتابه وقدره قد أحصى جميع أفعال عبادته الواقعة تحت التكليف وغيره وأمره ونهيه وإباحته وعفوه قد أحاط بجميع أفعالهم التكليفية فلا يخرج فعل من أفعالهم عن أحد الحكمين إما الكون وإما الشرع الأمري فقد بين الله سبحانه على لسان رسوله بكلامه وكلام رسوله جميع ما أمر به وجميع ما نهى عنه وجميع ما أحله وجميع ما حرمه وجميع ما عفا عنه وبهذا يكون دينه كاملاً كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، ولكن قد يقصر فهم أكثر الناس عن فهم ما دلت عليه النصوص وعن وجه الدلالة وموقعها وتفاوت الأمة في مراتب الفهم عن الله ورسوله لا يحصيه إلا الله ولو

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٢٨٠).

كانت الأفهام متساوية لتساوت أقدام العلماء في العلم ولما خص سبحانه سليمان بفهم الحكومة في الحرث وقد أثنى عليه وعلى داود بالعلم والحكم.

إلى أن قال: والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ولم يجلنا الله ولا رسوله على رأي ولا قياس بل قد بين الأحكام كلها والنصوص كافية وافية بها والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان للكتاب والميزان وقد تخفى دلالة النص أو لا تبلغ العالم فيعدل إلى القياس ثم قد يظهر موافقا للنص فيكون قياساً صحيحاً وقد يظهر مخالفاً له فيكون فاسداً وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته. اهـ<sup>(١)</sup>

وأما قوله: (إن المجال لا يزال فسيحاً للتفسير والتحديد والإضافة والتجديد عن طريق استخدام العقل الفردي والجماعي «الإجتهد»)

فإنه بعد أن قدم بمقدمة أولى: أن النصوص غير مصاغة بصيغة نهائية.

وبمقدمة ثانية وهي: أن النصوص لم توضع لكل فعل وحالة.

خرج بالنتيجة وهي: أن التجديد العقلي في النصوص الشرعية لا يزال فسيحاً!

لكن لما أبطلنا المقدمة الأولى ثم الثانية، بطلت النتيجة بحمد الله تعالى. ولزيادة الإيضاح نقول: إن راشداً لما كان متأثراً بالمدرسة العقلية (المعتزلة) كما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - وثناؤه على واصل بن عطاء المعتزلي، أخذ عن المعتزلة أهم عنصر عندهم وأسس منهجهم

---

(١) «أعلام الموقعين» (٣/ ٩٠) ت. مشهور.

الذي يسرون عليه، ألا وهي مكانة (العقل) من الكتاب والسنة، فغلوا في العقل (السلطان!) <sup>(١)</sup> حتى نزلوه غير منزلته التي خلقه الله عز وجل لها وجلعوه حاكمًا على الكتاب والسنة، وراشد وإن كان يصرح بعبارة شيخ الإسلام (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح) إلا أنه من الناحية التطبيقية يعالج القضايا في كثير من الأحيان بواسطة العقل (ما يقبله العقل وما يرده) مع معارضة الأدلة الشرعية، وقد يُعْتذر لراشد بأنه لم يترَبَّ تربية سلفية سليمة صافية وإنما رضع لبان الفلسفة وفطم عليها وها هو يتقيؤها ليزيق الأمة مرارتها. وأما منهج أهل السنة الوسط بين إفراط المتصوفة وغلو المعتزلة فالعقل عندهم (شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلاً بذلك لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة والأقوال المخالفة للعقل باطلة والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم) <sup>(٢)</sup>

---

(١) كما لقبه بذلك الزمخشري المعتزلي.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

• العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية. اهـ<sup>(١)</sup>

• الصحابة لم يكونوا يعارضون النصوص بالعقول:

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: الوجه السادس والثمانون: أن الصحابة كانوا يستشكلون بعض النصوص فيه فيوردون إشكالاتهم على النبي فيجيبهم عنها وكانوا يسألونه عن الجمع بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض ولم يكن أحد منهم يورد عليه معقولا يعارض النص البتة ولا عرف فيهم أحد وهم أكمل الأمم عقولا عارض نصا بعقله يوما من الدهر وإنما حكى الله سبحانه ذلك عن الكفار. اهـ<sup>(٢)</sup>

فتبين أن معارضة النصوص بالعقل إنما هو صنيع الكافرين وليس صنيع المؤمنين الذين يسلمون لدين رب العالمين.

• الأسباب الداعية إلى تقديم العقل على السمع عند العقلانيين:

قال العلامة ابن القيم: والذين زعموا من قاصري العقل والسمع أن العقل يجب تقديمه على السمع عند معارضتهما إنما أتوا من جهلهم بحكم العقل ومقتضى السمع فظنوا ما ليس بمعقول معقولا وهو في الحقيقة شبهات توهم أنه عقل صريح وليست كذلك أو من جهلهم بالسمع إما نسبتهم إلى الرسول ما لم يقله أو نسبتهم إليه ما لم يرده بقوله وإما لعدم تفريقهم بين ما لا يدرك بالعقول وبين ما تدرك استحالته بالعقول فهذه أربعة أمور أوجب

---

(١) المصدر السابق (٥/٢٨).

(٢) «الصواعق المرسلة» (٣/١٠٥٢-١٠٥٣).

لهم ظن التعارض بين السمع والعقل والله سبحانه حاج عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولا وأقلها تكلفا وأعظمها غناء ونفعا فحججه سبحانه العقلية التي في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة قليلة المقدمات.<sup>(١)</sup>

• شبهة تقديم العقل على النقل عند المبتدعة:

قولهم: (إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فيما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يردا جميعا وإما أن يقدم السمع وهو محال لأن العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل والقدح في أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض، وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما لا يستدل به)<sup>(٢)</sup>

وهذا هو قانون التأويل عند أهل البدع.

• رد هذه الشبهة:

يعارض كلام من يقول ذلك بنظيره فيقال: (إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين وتقديم العقل ممتنع لأن

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) «درء التعارض» (١/ ٤).

العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطالنا النقل لكننا قد أبطالنا دلالة العقل وإذا أبطالنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه<sup>(١)</sup>

وقد أطال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» (١ / ٧٨ فما بعد)، في إبطال هذه الشبهة ومقدماتها، كذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة».

#### • تفاوت العقول:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد لجدل هؤلاء. اهـ<sup>(٢)</sup>

#### • الوحي هو الوحيد الذي يفصل بين المؤمنين في موارد النزاع:

يقول شيخ الإسلام: وكذلك من الوجوه الصحيحة أن موارد النزاع لا تفصل بين المؤمنين إلا بالكتاب والسنة وإن كان أحد المتنازعين يعرف ما يقوله بعقله وذلك أن قوى العقول متفاوتة مختلفة وكثيرا ما يشتبه المجهول بالمعقول فلا يمكن أن يفصل بين المتنازعين قول

---

(١) المصدر السابق (١ / ١٧٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٢٩).

شخص معين ولا معقوله وإنما يفصل بينهم الكتاب المنزل من السماء والرسول المبعوث المعصوم فيما بلغه عن الله تعالى ولهذا يوجد من خرج عن الاعتصام بالكتاب والسنة من الطوائف فإنهم يفترقون ويختلفون ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك وأهل الرحمة هم أهل الإيثار والقرآن. اهـ<sup>(١)</sup>

وما أحسن ما أنشده العلامة ابن القيم<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى:

فعلى عقولكم العفاء <sup>(٣)</sup> فإنكم	عاديتم المعقول والمنقول ولا
وطلبتم أمرا محالا وهو إدراك	الهدى لا تبغون رسولا
وزعمتم أن العقول كفيلة	بالحق أين العقل كان كفيلة
وهو الذي يقضي فينقض حكمه	عقل ترون كليهما معقولا
وتراه يجزم بالقضاء وبعد ذا	يلفى لديه باطلا معلولا
لا يستقل العقل دون هداية	بالوحي تأصيلا ولا تفصيلا
كالطرف دون النور ليس بمدرك	حتى يراه بكرة وأصيلا
وإذا الظلام تلاطمت أمواجه	وطمعت بالإبصار كنت محيلا <sup>(٤)</sup>

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٤٨).

(٢) «الصواعق المرسلات» (٣/ ٩٧٨).

(٣) العفاء: الدروس وذهاب الأثر، وقيل: التراب.

(٤) محيلاً: أي متغيراً.

فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها	فالعقل لا يهديك قط سبيلا
نور النبوة مثل نور الشمس	للعين البصيرة فاتخذه دليلا
طرق الهدى مسدودة إلا على	من أم هذا الوحي والتنزيلا
فإذا عدلت عن الطريق تعمدا	فاعلم بأنك ما أردت وصولا
يا طالباً درك الهدى بالعقل	دون النقل لن تلق لذاك دليلا
كم رام قبلك ذاك من متلذذ	حيران عاش مدى الزمان جهولا
ما زالت الشبهات تغزو قلبه	حتى تشحط <sup>(١)</sup> بينهن قتليلا
فتراه بالكلي <sup>(٢)</sup> والجزئي <sup>(٣)</sup> والذاتي	والعرضي <sup>(٤)</sup> طول زمانه مشغولا
فإذا أتاه الوحي لم يأذن له	ويقوم بين عداه مثيلا
ويقول تلك أدلة لفظية	معزولة عن أن تكون دليلا
وإذا تمر عليه قال لها: اذهبي	نحو المجسم أو خذي التأويلا

(١) أي يتخبط في دمه ويضطرب ويتمرغ.

(٢) الكلي: هو مفهوم ذهني لا يمنع تصويره من وقوع الشركة فيه وإن كان لا يصدق في الواقع إلا على فرد واحد فقط: مثل إنسان حيوان شمس. «ضوابط المعرفة» (ص ٣٠-٣١)

(٣) الجزئي: هو مفهوم مفرد يمتنع في العقل فرض صدقه على كثيرين مثل: سعيد علم موضوع لفرد بعينه.

(٤) انظر للذات والعرض «ضوابط المعرفة» (ص ٣٥-٣٧).

وإذا أبت إلا النزول عليه كان لها القرى التحريف والتبديلا  
فيحل بالأعداء ما تلقاه من كيد يكون لحقها تعطىلا  
واضرب لهم مثلاً بعميان خلوا في ظلمة لا يهتدون سبيلا  
فتصادموه بأكفهم وعصيهم ضربا يدير رحا القتال طويلا  
حتى إذا ملوا القتال رأيتهم مشجوجا<sup>(١)</sup> أو مفجوجا<sup>(٢)</sup> أو مقتولا  
وتسامع العميان حتى أقبلوا للصلح فازداد الصياح عويلا  
فانظر - رعاك الله - إلى الطريقة التي يسلكها العقلانيون الجدد، أفراخ المعتزلة في تميع  
الإسلام وهدم قواعده باسم العقل من أمثال راشد الغنوشي ومحمد قطب، ومحمد عمارة،  
وفهمي هويدي، ومحمد الغزالي، وحسن الترابي، ويوسف القرضاوي، ومحمود أبو رية...  
هذه السلسلة الظالم أهلها!!

---

(١) الشج: كسر الرأس.

(٢) المفجوج: هو الذي ذهب نصفه.

### الفصل الثالث: الفلسفة

يقول راشد الغنوشي: مشكلات كثيرة جوهرية نعيشها في بلادنا دون أن نحظى منا بكثير من الدرس والتحليل مثل المشكلة الخلقية، مشكلة فقدان الثقة في أنفسنا، مشكلة الجنس، مشكلة الإنطواء على الذات وفقدان الإستعداد للتضحية من أجل الآخرين، مشكلة التبعية الثقافية، مشكلة التنمية وعلاقتها بالمشكلة الخلقية إلخ، هذه المشكلات منها ما هو وليد أوضاعنا التاريخية والسياسية والتربوية ومنها ما هو نتيجة انعكاس الوضع العالمي على أوضاعنا الخاصة. ومن الضروري أن يتوفر لدينا مقياس خاص نقيس به هذه الأوضاع لكي نقدر على حل هذه المشكلات، من الضروري أن يكون لنا مصباح ينير لنا الدروب خلال سيرنا ويجنبنا العثار والضياع، أعني لا بد لنا من ثقافة متميزة أي من نظرة خاصة إلى الكون والإنسان والحياة، من مقياس خاص لأفكارنا وأعمالنا... وبغير الإتفاق على نوع الثقافة التي ننتمي إليها وتحديد نظرتها الفلسفية وقيمها الخلقية ومنهجها العملي سنظل نخبط خبط عشواء في علاج كل ما يعرض لنا من قضايا لعدم اتفاقنا على نوع الإضاءة التي نسلطها على المشاكل وهذا هو ما يحدث عامة في ميادين التربية والثقافة والإقتصاد في بلادنا، وسألج هنا ميداناً من هذه الميادين لي بها صلات وثيقة هو ميدان التربية، مادة اختصاصي، مادة الفلسفة لما لها من خطورة بالغة في التكوين العقلي والوجداني والأخلاقي لتلاميذنا. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ٣٢).

وقد تقدم معنا قوله: فخلال الستين اللتين قضيتها في سوريا بعد ذلك ١٩٦٦-١٩٦٨، بعد تعرفي على الإسلام مجددًا اقتصر على النشاط الفكري تعمقًا في دراسة الفلسفة.<sup>(١)</sup>

وقوله أيضًا: حتى أنني عندما عدت إلى تونس عدت بفكر إسلامي سياسي إخواني مودودي وفلسفي. اهـ.<sup>(٢)</sup>

وقوله أيضًا: بهذه التجربة عدت إلى تونس، عدت بثقافة إسلامية مصادرها الأساسية كتابات الإخوان، وكتابات المودودي، ومالك بن نبي إلى جانب الثقافة الفلسفية التي تكونت بها. اهـ.<sup>(٣)</sup>

ومن خلال هذا العرض يتبين تأثره الكبير بالفلسفة منهجًا واستدلالًا، مع إكثاره من تحليل المسائل فلسفيًا ونقل آراء الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين.<sup>(٤)</sup>

لننقد:

#### • معنى الفلسفة:

الفلسفة معناها محبة الحكمة والفيلسوف أصله (فيلاسوفا) أي محب الحكمة ف (فيللا) هي المحب و (سوبا) هي الحكمة، والحكمة نوعان قولية و فعلية فالقولية قول الحق والفعلية فعل الصواب وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها... والمقصود أن الفلاسفة اسم

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٣١-٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٤١).

(٤) مثل: ديكارت، ماركس، دركايم، سارتر، داروين، لينين، جاك بيرك....

جنس لمن يجب الحكمة ويؤثرها وقد صار هذا الإسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو وهم المشاءون خاصة وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة.<sup>(١)</sup>

#### • من هم أصحاب الطوائف حكمة؟

وأصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن الله، قال تعالى عن نبيه داود عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفُضِّلَ الْخِطَابُ﴾ [ص: ٢٠]، وقال عن المسيح عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]، وقال عن يحيى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، والحكم هو الحكمة وقال لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال لأهل بيت رسوله: ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

فالحكمة التي جاءت بها الرسل هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع والعمل الصالح للهدى ودين الحق لإصابة الحق اعتقادا وقولا وعملا وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه ورسوله وجمعها لمحمد ﷺ كما جمع له من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله وجمع في كتابه من العلوم والأعمال ما فرقه في الكتب قبله فلو جمعت كل حكمة صحيحة في العالم من

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٧٥-٢٧٦).

كل طائفة كانت في الحكمة التي أوتيها صلوات الله وسلامه عليه جزءا يسيرا جدا لا يدرك  
البشر نسبته. <sup>(١)</sup>

• فهم الشريعة ليس مبنياً على فهم الفلسفة:

قال الإمام الشاطبي: وزعم ابن رشد الحكيم في كتابه الذي سماه بـ «فصل المقال فيما بين  
الشريعة والحكمة من الاتصال» أن علوم الفلسفة مطلوبة إذ لا يفهم المقصود من الشريعة  
على الحقيقة إلا بها ولو قال قائل إن الأمر بالضد مما قال لما بعد في المعارضة.  
وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم هل كانوا آخذين فيها أم كانوا  
تاركين لها أو غافلين عنها مع القطع بتحققهم بفهم القرآن يشهد لهم بذلك النبي ﷺ والجم  
الغفير فلينظر امرؤ أين يضع قدمه. اهـ. <sup>(٢)</sup>

• حال الناس زمن نشأة الفلسفة وانتشارها:

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى واصفاً تلك الحال <sup>(٣)</sup>: ثم انقضى ذلك العصر - وأهله  
وقام بعدهم ذريتهم يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله على بصيرة إلى أن جاء ما لا قبل  
لأحد به وهم جنود إبليس حقا المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم من  
القرامطة والباطنية والملاحدة ودعوتهم إلى العقل المجرد وأن أمور الرسل تعارض المعقول  
فهم القائمون بهذه الطريقة حق القيام بالقول والفعل فجرى على الإسلام وأهله منهم ما  
جرى وكسروا عسكر الخليفة مرارا عديدة وقتلوا الحاج قتلا ذريعا وانتهوا إلى مكة فقتلوا بها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «الموافقات» (٤/ ١٩٨).

(٣) «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٧٤ فما بعد).

من وصل من الحاج إليها وقلعوا الحجر الأسود من مكانه وقويت شوكتهم واستفحل أمرهم وعظمت بهم الرزية واشتدت بهم البلية وأصل طريقهم أن الذي أخبرت به الرسل قد عارضه العقل وإذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل قالوا فنحن أنصار العقل الداعون إليه المخاصمون به المحاكمون إليه وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام في الشرق والغرب وكاد الإسلام أن ينهد ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق وظهرت من المغرب قليلا قليلا حتى استفحلت وتمكنت واستولى أهلها على كثير من بلاد المغرب ثم أخذوا يطوون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها وبنوا بها القاهرة وأقاموا على هذه الدعوة مصر حين بها غير متحاشين منها هم وولاتهم وقضاتهم وأتباعهم وفي زمانهم صنفت رسائل إخوان الصفا والإشارات والشفاء وكتب ابن سينا فإنه قال كان أبي من أهل الدعوة الحاكمة وعطلت في زمانهم السنة وكتبها والآثار جملة إلا في الخفية بحيث يكون قارئها وذاكرها وكتبها على أعظم خطر وشعار هذه الدعوة تقديم العقل على الوحي واستولوا على بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز واستولوا على العراق سنة وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعز عندهم مالا يصل إليه أحد من أهل السنة ولا يطمع فيه فكم أغمدت سيوفهم في أعناق العلماء وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء وكم ماتت بهم سنة وقامت بهم بدعة وضلالة حتى استنقذ الله الأمة والملة من أيديهم في أيام نور الدين وابن أخيه صلاح الدين فأبل<sup>(١)</sup> الإسلام من علته بعدما وطن المسلمون أنفسهم على العراء وانتعش بعد طول الخمول حتى استبشر أهل الأرض والسماء وأبدر هلاله بعد

---

(١) أي برأ «المصباح المنير».

أن دخل في المحاق<sup>(١)</sup> وثابت إليه روحه بعدما بلغت التراقي وقيل من راق واستنقذ الله سبحانه بعبدته وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب وأخذ كل من أنصار الله ورسوله من نصرة دينه بنصيب وعلت كلمة الإسلام والسنة وأذن بها على رؤوس الأشهاد ونادى المنادي: يا أنصار الله لا تنكلوا عن الجهاد فإنه أبلغ الزاد ليوم المعاد فعاش الناس في ذلك النور مدة حتى استولت الظلمة على بلاد الشرق وطغى نور النبوة والوحي وقدموا العقول والآراء والسياسة والأذواق والرأي على الوحي فظهرت فيهم الفلسفة والمنطق وتوابعها فبعث الله عليهم عبادا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وعاثوا في القرى والأمصار وكاد الإسلام أن يذهب اسمه وينمحي رسمه وكان مشار هذه الفرقة وعالمها الذي يرجعون إليه زعيمها الذي يعولون عليه شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقل وإمامهم في وقته نصير الكفر والشرك الطوسي فلم يعلم في عصره أحد عارض بين العقل والنقل معارضته فرام إبطال السمع بالكلية وإقامة الدعوة الفلسفية وجعل الإشارات بدلا عن السور والآيات وقال هذه عقليات قطعية برهانية قد عارضت تلك النقليات الخطابية واستعرض علماء الإسلام وأهل القرآن والسنة على السيف فلم يبق منهم إلا من أعجزه قصدا لإبطال الدعوة الإسلامية وجعل مدارس المسلمين وأوقافهم للنجسة السحرة والمنجمين والفلاسفة والملاحدة والمنطقيين ورام إبطال الآذان وتحويل الصلاة إلى القطب الشمالي فحال بينه وبين ذلك من تكفل بحفظ الإسلام ونصره وهذا كله من ثمرة المعارضين بين الوحي والعقل وتقديم العقل على السمع ولتكن قصة شيخ هؤلاء القديم منك على ذكر كل وقت فإنه أول من عارض بين العقل والنقل وقدم العقل فكان من أمره ما قص الله

---

(١) المحاق: آخر الشهر إذا أحق الهلال فلم يرَ «لسان العرب» مادة (م ح ق).

عليك وورث هذا الشيخ تلامذته هذه المعارضة فلم يزل يجري على الأنبياء وأتباعهم منها كل محنة وبلية وأصل كل بلية في العالم كما قال محمد الشهرستاني من معارضة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع والناس إلى اليوم في شرور هذه المعارضة وشؤم عاقبتها فيلإى الله المشتكى وبه المستعان ثم إنه خرج مع هذا الشيخ المتأخر المعارض بين العقل والنقل أشياء لم تكن تعرف قبله جست العميدي<sup>(١)</sup> وحقائق ابن عربي وتشكيكات الرازي وقام سوق الفلسفة والمنطق وعلوم أعداء الرسل التي فرحوا بها لما جاءتهم رسلهم بالبينات وصارت الدولة والدعوة لأرباب هذه العلوم ثم نظر الله إلى عباده وانتصر لكتابه ودينه وأقام جندا تغزوا ملوك هؤلاء بالسيف والسنان وجندا تغزوا علماءهم بالحجة والبرهان ثم نبغت طائفة منهم في رأس القرن الثامن فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية قدس الله روحه فأقام على غزوهم مدة حياته باليد والقلب واللسان وكشف للناس باطلهم وبين تلبيسهم وتدليسهم وقابلهم بصريح المعقول وصحيح المنقول وشفى واشتفى وبين مناقضتهم ومفارقتهم لحكم العقل الذي به يدلون وإليه يدعون وأنهم أترك الناس لأحكامه وقضاياه فلا وحي ولا عقل فأرداهم في حفرهم ورشقهم بسهامهم وبين أن صحيح معقولاتهم خدم لنصوص الأنبياء شاهدة لها بالصحة وتفصيل هذه الجملة موجودة في كتبه فمن نصحه نفسه ورغب عن قوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، يتبين له حقيقة الأمر ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]،

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد العميدي السمرقندي أبو حامد كان إماماً في فن الخلاف والجدل وخصوصاً (الجبست) وهو نوع من أنواع الخلاف والجدل، وهو أول من أفرده بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين. توفي ببخارى سنة (٦١٥). «وفيات الأعيان» (ص ٢٥٧٤).

والمقصود أن كل بلية طرقت العالم عامة أو خاصة فأصلها من معارضة الوحي بالعقل  
وتقديم الهوى على الأمر والمعصوم من عصمه الله.

#### • علم الكلام أفسد علوم الشريعة:

يتحدث الغزالي في مقدمة «المستصفى» عن سبب خلط علم الأصول بعلم الكلام مفسراً  
ذلك بأن كل قوم أحبوا علماً خلطوه بغيره ومعتذراً لهم بأن الفطام عن المألوف شديد!! ويا  
للعلوم التي أفسدها علم الكلام والفلسفة والمنطق وشوشوا قواعدها وأفسدوا نظامها  
وطولوا الوقوف على حقيقتها كعلم الأصول والنحو والبلاغة وغيرها.

يقول أبو حامد الغزالي<sup>(١)</sup> عفا الله عنه: ولم يقتصر على تعريف صور هذه الأمور ولكن  
انجر بهم إلى إقامة الدليل على اثبات العلم على منكره من السوفطائية وإقامة الدليل على  
النظر وإلى جملة من أقسام العلوم وأقسام الأدلة وذلك مجاوزة لحد هذا العلم وخلط له  
بالكلام، وإنما أكثر فيه المتكلمون فيه من الأصوليين لغلبة الكلام على طبائعهم، فحملهم  
حب صناعتهم على خلطه بهذه الصنعة... وبعد أن عرفناك إسرارهم في هذا الخلط فإننا لا  
نرى أن نخلي هذا المجموع - يعني كتابه «المستصفى» - عن شيء منه - أي علم الكلام -  
لأن الفطام عن المألوف شديد! والنفوس عن الغريب نافرة... اهـ<sup>(٢)</sup>

وما ذكره أبو حامد ليس بصحيح فإن الفطام عن المألوف المذموم ليس بشديد والفطام عن  
المألوف المحمود شديد.

---

(١) ومن لطيف ما قيل فيه، عبارة ابن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما  
استطاع!.

(٢) «المستصفى من علم الأصول» (١/ ١٩).

وعلم الأصول هو من علوم أهل السنة وهم أحق به وأولى ودليله أن أول من ألف في الأصول الإمام الشافعي ألف «الرسالة» وهي خالية تمامًا من الكلام، كيف وهو القائل في أهله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر ينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام؟!!

#### • أئمة الدين على تحريم الإشتغال بالفلسفة:

لما كانت الفلسفة تبحث في مسائل لا ثمرة تحتها، وأغلب مسائلها مرتكزة في الفطر وجبل عليها الناس مع ما فيها من البدع والكفر والضلال حرم أئمة الدين الإشتغال بها والنظر فيها.

يقول الإمام جلال الدين السوطي رحمه الله تعالى: فن المنطق فن خبيث مذموم يحرم الاشتغال به مبنى بعض ما فيه على القول بالهوى الذي هو كفر يجر إلى الفلسفة والزندقة وليس له ثمرة دينية أصلاً بل ولا دنيوية نص على مجموع ما ذكرته أئمة الدين وعلماء الشريعة فأول من نص على ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه ونص عليه من أصحابه إمام الحرمين والغزالي في آخر أمره وابن الصباغ صاحب الشامل وابن القشيري ونصر- المقدسي والعماد بن يونس وحفده والسلفي وابن بندار وابن عساكر وابن الأثير وابن الصلاح وابن عبد السلام وأبو شامة والنووي وابن دقيق العيد والبرهان الجعبري وأبو حيان والشرف الدمياطي والذهبي والطبيي والملوى والأسنوي والأذرعي والولي العراقي والشرف بن المقرئ وأفتى به شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المناوي، ونص عليه من أئمة المالكية ابن أبي زيد صاحب «الرسالة» والقاضي أبو بكر بن العربي وأبو بكر الطرطوشي وأبو الوليد الباجي وأبو طالب المكي صاحب «قوت القلوب» وأبو الحسن بن الحصار وأبو عامر بن الربيع وأبو الحسن بن حبيب وأبو حبيب المالقي وابن المنير وابن رشد وابن أبي جمرة وعامة

أهل المغرب، ونص عليه من أئمة الحنفية أبو سعيد السيرافي والسراج القزويني وألف في ذمه كتابا سماه «نصيحة المسلم المشفق لمن ابتلى بحب علم المنطق»، ونص عليه من أئمة الحنابلة ابن الجوزي وسعد الدين الحارثي والتقي ابن تيمية وألف في ذمه ونقص قواعده مجلدا كبيرا سماه «نصيحة ذوي الإيمان في الرد على منطق اليونان» وقد اختصرته في نحو ثلث حجمه وألفت في ذم المنطق مجلدا سقت فيه نصوص الأئمة في ذلك. اهـ<sup>(١)</sup>

#### • أين الدين من الفلسفة؟!

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فيا للعقول التي لم يخسف بها أين الدين من الفلسفة؟ وأين كلام رب العالمين إلى آراء اليونان والمجوس وعباد الأصنام والصابئين وأين المعقولات المؤيدة بنور النبوة إلى المعقولات المتلقاة عن أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا وأتباع هؤلاء ممن لا يؤمن بالله ولا صفاته ولا أفعاله ولا ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ وأين العلم المأخوذ عن الوحي النازل من عند رب العالمين من الشبه المأخوذة عن آراء المتهوكين والمتحيرين؟ فإن أدلوا بالعقل فلا عقل أكمل من عقول ورثة الأنبياء وإن أدلوا برؤسائهم وأئمتهم كفرعون ونمرود وبطليموس وأرسطاطاليس ومقلداتهم وأتباعهم فلم يزل أعداء الرسل يعارضونهم فهؤلاء وأمثالهم يقدمون عقولهم على ما جاءوا به وبالله العجب كيف يعرض قول الرسول بقول الفيلسوف وعلى الفيلسوف أن يتبع الرسل وليس على الرسل أن تتبع الفيلسوف فالرسول مبعوث والفيلسوف مبعوث إليه والوحي حاكم والعقل محكوم عليه ولو كان العقل يكتفي به لم يكن للوحي فائدة ولا غنى على أن منازل الخلق متفاوتة في العقل أعظم تفاوت وأبصارهم مختلفة وليس العقل بأسره في واحد من

---

(١) «القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق» ضمن «الحاوي للفتاوي» (١/ ٣٩٤).

الناس أو طائفة معينة حتى يكون تقديم عقولهم على ما جاءت به الرسل بل لكل طائفة معقول مخالف معقول الأخرى فمن أظلم وأشدّ عداوة للرسل ممن جوز لكل طائفة من طوائف العقلاء أن يقدم عقولها على ما جاءت به الرسل فإن قالوا إنما نقدم العقل الصريح الذي لم يختلف فيه اثنان على نصوص الأنبياء فقد رموا الأنبياء بما هم أبعد الخلق منه وهو أنهم جاءوا بما يخالف العقل الصريح الذي لا يختلف فيه اثنان وهذا وقد شهد الله وكفى به شهيدا وشهد بشهادته الملائكة وأولو العلم أن طريقة الرسل هي الطريقة البرهانية المتضمنة للحكمة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

فالطريقة البرهانية هي الواردة بالوحي الناطقة بالرشد الداعية إلى الخير الواعدة بحسن المآب المينة لحقائق الأنبياء المعرفة بصفات رب الأرض والسماء وأن التقليدية التخمينية الخرسية هي المأخوذة من المقدمتين والنتيجة والدعوى التي ليس مع أصحابها إلا الرجوع إلى رجل من يونان كان يعبد الأوثان ويحسد الرحمن فوضع بعقله قانونا يصحح به بزعمه علوم الخلائق وعقولهم فلم يستفد به عاقل تصحيح مسألة واحدة في شيء من علوم بني آدم بل ما وزن به علم إلا أفسده وما برع فيه أحد إلا انسلخ من حقائق الإيمان كانسلاخ القميص عن الإنسان. اهـ<sup>(١)</sup>

صدق رحمه الله تعالى، وما هذه الفلسفة التي يكثر منها (راشد!) في كتبه إلا كقول الكاهنة: أِفْ وَتُفٍّ وَجورٍ وَخُفٍّ، قيل: وما جورٍ وخفٍّ؟ قالت: واديان في جهنم!

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ٨١٦ فما بعد).

ورحم الله الشافعي إذ يقول:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا

وما سوى ذاك وسواس الشياطين

## الفصل الرابع: كتب أهل الكتاب

يقول راشد الغنوشي: قصة الخلق الأولى والدخول إلى الجنة وإذن الرب لآدم وزوجته التمتع بطيبات عدا شجرة واحدة وإغواء الشيطان والوقوع في الخطيئة والهبوط إلى الأرض هي فصول أساسية في الكتب المنزلة بل في كثير من الأدبيات الدينية والفلسفية عامة بشكل صريح كما هو الحال في القرآن وكتب اليهود والنصارى، أو بشكل رمزي كما وردت في فلسفة المثل عند أفلاطون، ورغم أن موضوع تلك القصة متشابه فإن دلالاتها ومقاصدها المتباينة ولتبيين ذلك يكفي أن نورد بعض النصوص المتعلقة بهذه القصة في القرآن وكتب اليهود والنصارى.

جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين... ونسجت على نفس المنوار كتب العهد القديم فقد ورد في الإصحاح الحادي عشر من كتاب كورنثوس الثاني، ولكنني أخاف كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.

ومن الإصحاح الثاني: أن آدم لم يغو لكم المرأة أغويت فحصلت في التعدي. أما القرآن فقد عرضت من زوايا مختلفة يقع التركيز في كل مرة على جانب أكثر من غيره... ونقف في المقارنة بينه هذه القصة كما وردت في العهد القديم والجديد وكما وردت في القرآن عند بعض النقاط...<sup>(١)</sup>. ثم شرع في المقارنة.

النقد:

إن الله سبحانه وتعالى حكم بنسخ الشرائع السابقة بشريعة الإسلام فأبطل عز وجل اليهودية والنصرانية.

---

(١) «المرأة بين القرآن وواقع المسلمين» (ص ١٧-١٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>

ووصف سبحانه كتابه بأنه مهيمن على جميع الكتب، فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الإمام ابن كثير بعد أن حكى الأقوال في تفسير ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٥٣).

شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. اهـ<sup>(١)</sup>

وأخبر سبحانه بتحريف أهل الكتاب الكلم عن مواضعه، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]

وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]

ووصفهم سبحانه بكتمان ما أنزل عز وجل وعدم اظهاره، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]

(١) «تفسير ابن كثير» (٢٤٦/٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]

وإذا ثبت التحريف في كتبهم ودسهم في دين الله عز وجل وجب الحذر منها وعدم النظر فيها والنقل عنها وقد جاء عن ابن عباس أنه قال: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحَدُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ<sup>(١)</sup> تَقْرَأُونَهُ لَمْ يُشَبَّ وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أَفَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ<sup>(٢)</sup>.

وعن حميد بن عبد الرحمن سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ وَذَكَرَ كَعْبَ الْأَخْبَارِ فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ<sup>(٣)</sup>.

(١) أحدث: بمعنى الحديث المتجدد، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] وكونه حديثاً ليس معناه أنه مخلوق فإن القرآن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٦١) وقوله وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب: أي يقع بعض ما نخبرنا عنه بخلاف ما نخبرنا به لا أنه يتعمد الكذب، والكذب يطلق على الخطأ في لغة أهل

وبوب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة»: باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء».

وأما حديث: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ﴾ الْآيَةَ»<sup>(١)</sup>، فمحمول على ما إذا بدأهم أهل الكتاب بالخبر، والنهي المتقدم نهي عن السؤال ابتداءً.<sup>(٢)</sup>

كيف بمن يقارن ما في كتاب الله عز وجل الذي كله حق وصدق بكلام محرف مبدل؟! أما كافاك يا راشد ما في كتاب الله عز وجل و سنة نبيه ﷺ؟! أما كافاك ما أخبر به سبحانه من أنهم حرفوا وبدلوا؟! أم أنه البحث عن (الحرية)؟! وما أحسن ما قيل:

يا آل يعقوب! ما (تَوراثُكم) نبأً      من وَري زندي، ولكن وري أكباد<sup>(٣)</sup>  
إن كان لم يبدُ للأغمارِ سرُّكم،      فإنَّه لي، في أكتانِه، بادِ  
لقد أكلتم بأمرٍ، كلُّه كذبٌ،      على تقادُمِ أزمانٍ وآبادِ  
ورابني أن أحباراً، لكم، رَسخوا      في العلم، ليسوا، على حالٍ، بعبادِ

=

الحجاز، وكعب صحابي جليل رضي الله عنه، قال ابن حبان في كتابه «الثقات»: أراد معاوية أنه يخطيء أحياناً فيما يخبر به ولم يرد أنه كذاباً. انظر «فتح الباري» (١٣ / ٤٠٩) ط. دار السلام.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٦٢).

(٢) انظر «فتح الباري» (١٣ / ٤٠٩).

(٣) وري الأكباد: القيح الذي يفريها من الحقد والضغينة.

## الفصل الخامس: الأمة مصدر التشريع

يقول الغنوشي: الأمة مصدر التشريع: وما دمنا بصدد البعد التشريعي للشورى فقد اتضح لنا أنه ولئن كان التشريع الأصلي في الإسلام هو لإرادة الله كما تجلت في نص الوحي كتاباً وسنة فإن للأمة مشاركة فعالة في ذلك! ذلك أن قصد الخلود لهذه الشريعة الخاتمة اقتضى اقتصار نص الوحي على تقرير المبادئ العامة المنظمة للعلاقات البشرية والاقتصاد في التفاصيل والجزئيات عدا مواطن قليلة كالنص على عقوبات بعض الجرائم الكبرى وبعض المسائل المتعلقة بالأسرة مما له مساهمة في وضع الإطار العام للمجتمع الإسلامي تاريخاً ملئ تفاصيل ذلك الإطار لجهد الأمة التشريعي المتطور مع الزمن وهو جهد معتبر، كيف لا وقد عد إجماع الأمة مصدرًا من مصادر الشريعة مجاورًا مصدر الوحي. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

قوله: (الأمة مصدر التشريع) وقوله: (ولئن كان التشريع الأصلي في الإسلام هو لإرادة الله كما تجلت في نص الوحي كتاباً وسنة فإن للأمة مشاركة فعالة في ذلك!) هذا كله باطل فإن التشريع من خصائص الله عز وجل لا يشركه فيها أحد سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٢١).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى.<sup>(١)</sup> والنبي ﷺ وصف بأنه مبلغ عن الله عز وجل ولم يوصف بأنه مشرع، قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

فجعل (الأمة مصدر التشريع) بل والتصريح بأنها مشاركة لله عز وجل في ذلك يخشى على صاحب هذا القول من الكفر - والعياذ بالله - ، قال تعالى: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله: (ذلك أن قصد الخلود لهذه الشريعة الخاتمة اقتضى... إلخ): تقدم الجواب عن هذه الشبهة وأن أحكام الوحي شاملة لجميع أفعال المكلفين، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقد تقدم الكلام بما لا يحتاج إلى تكرار.

وأما قوله: (عدا مواطن قليلة): فهذا من الاستهانة بالوحي أو من الجهل العائد بدين الله عز وجل، وقرأ في «السياسة الشرعية»، «الحسبة»، ورسالة «المظالم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الطرق الحكمية» لابن القيم، و«الأحكام السلطانية» للماوردي، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى... لتعلم يا راشد وليعلم كل منصف أصدقت أم كنت من الكاذبين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٥٤).

وقوله: (كيف لا وقد عُدَّ إجماع الأمة مصدرًا من مصادر الشريعة مجاورًا مصدر الوحي): ليس بصحيح وذلك أن الإجماع وإن كان ثالث الأدلة الشرعية بعد الكتاب والسنة إلا أن حجتيه مترتبة من أمرين، فمن جهة الإجماعة هو حجة لثبوت النص الدال على حجتيه وهو قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].<sup>(١)</sup>

والأمر الثاني أو الجهة الثانية أن حجتيه تثبت لأنه مستند إلى نص من كتاب أو سنة فنحن نؤمن أنه ما من إجماع إلا وله مستند من الوحي سواء كان هذا الإجماع في أمر معلوم من الدين بالضرورة أو في غيره إلا أن الأدلة قد تخفى.

ومن هنا ذهب بعض أهل العلم إلى عدم حجية الإجماع، وقالوا بأن الحجة إنما تكون في مستند الإجماع لا في نفس الإجماع، واختار هذا القول الشوكاني رحمه الله تعالى وانتصر له في «إرشاد الفحول» (١/ ٣٥٥-٣٧٤)، وما اختاره ليس بصحيح وجوابه ما تقدم.

---

(١) أول من استدل بهذه الآية على حجية الإجماع الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، انظر «السير» (١٠/ ٨٣-٨٤). وأحسن من بين دلالة الآية شيخ الإسلام ابن تيمية كما في كتاب «الإيمان الكبير»، فقال رحمه الله تعالى: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، فإنها متلازمان فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فإن كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخطئ وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول وأن كل ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مما بين الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البيِّن «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٨-٣٩).

والشاهد: أن الإتفاق حاصل بين من يقول بحجية الإجماع ومن يخالف في ذلك على أنه ما من إجماع إلا وله مستند من الوحي.

فإذا تقرر هذا فلا حجة فيما يذهب إليه راشد من أن (الأمة مصدر التشريع) لأن الإجماع مستند إلى الوحي، هذا أولاً.

وثانياً: لأن الإجماع هو: اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر شرعي.<sup>(١)</sup>

وراشد يريد بـ (الأمة) التي قال بأنها (مصدر التشريع!) مجتهديها ومقلدها، عالمها وجاهلها، برها وفاجرها.

وثالثاً: يريد بـ (الأمة) شعب من الشعوب لا الأمة بأسرها فإذا اختاروا الديمقراطية أو التعددية الحزبية فإنه يختارها.

فإن كان يعد راشد مثل هذا (إجماعاً شرعياً!) فهذا والله من المصائب، وكما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب.<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظر «البحر المحيط» (٤/٤٣٦) و«إرشاد الفحول» (١/٣٤٨).

(٢) قالها الحافظ ابن حجر في العلامة محمد بن يوسف بن علي الكرمانى المتوفى سنة (٧٨٦هـ) شارح صحيح الإمام البخاري، وهو من طبقة شيوخه عند مسألة حديثه أغرب فيها الكرمانى مع جلالته وإمامته.

كيف لو رأى الحافظ راشداً وهو يعيث بثالث الأدلة الشرعية (الإجماع)، فما عساه أن يقول فيه؟! انظر «فتح الباري» (٣/٧٣٧) رقم الحديث (١٧٥٣).

### جناية الغنوشي على ثالث الأدلة الشرعية (الإجماع)

لما كان إجماع العلماء حجة عند الجمهور، كان مخالف القطعي منه كافراً إذا بلغه الإجماع المعلوم فخالفه عن علم وعمد لا سيما في المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، فإنه كالمخالف للآية والحديث، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فإذا كان هذا حكم من يقر بحجتيه ويخالفه فكيف بمن يعيث بأصله ويخالف جميع العلماء في وصفه وهيئته وحده وكيفية انعقاده، فحتى الذين قالوا بعدم حجية الإجماع كالنظام المعتزلي وغيره لم يحنوا على الإجماع ما جناه هؤلاء عليه من العبث والتغيير والتبديل، الذي يمس بأصله ووضعه فهم يوافقون غيرهم في جملة ما تقدم وإنما خالفوهم في الحجية.

وقد نقل الغنوشي كلاماً في بحثه في مسألة الإجماع يمس بأصله عن علال الفاسي المغربي ثم وافقه عليه بقوله: (لقد وفق العلامة المغربي أيما توفيق في إبراز أبعاد الإجماع السياسية بشكل غاية في الوضوح... على اعتبار أن الإجماع هو نظام الإسلام للشورى في ما سكت عنه أو اختلف فيه النص). اهـ<sup>(١)</sup>

وحاصل ما نقله وأقره كالتالي:

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١١٣).

قوله: فالإجماع كما يُتحدث عنه منذ القرن السادس عبارة عن اتفاق الناس<sup>(١)</sup> في كل بقعة من بقاع الأرض.. وذلك بالطبع ما لم يفهمه الأولون وما لا تدل عليه نصوص الكتاب والسنة. اهـ<sup>(٢)</sup>

النقد:

الإجماع كما نقل تعريفه وأحسن منه أن يقال: (اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر شرعي)، وهو التحقيق في تعريف الإجماع - إن شاء الله -.

قوله: (كما يُتحدث عنه منذ القرن السادس) ليس بصحيح فإن هذا التعريف وهذا الفهم للإجماع سابق لذلك، ولا أدري من أين استفيد حتى التحديد، أهو من الإستسقاء أو من أين؟! وإلا فقد وجد هذا التحديد قبل ذلك.

قال أبو المظفر السمعاني (٤٢٦-٤٨٩ هـ) رحمه الله تعالى: اعلم أن الإجماع هو اتفاق أهل العصر على حكم النازلة، ويقال: اتفاق علماء العصر - على حكم الحادثة. وهذا الحد أحسن.<sup>(٣)</sup>

وقال ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦ هـ) رحمه الله تعالى: ووجدنا الإجماع يقتسم طرفي الأقوال في الأغلب والأكثر من المسائل وبين هذين الطرفين وسائط فيها كثر التنازع وفي بحرهما سبح المخالفون.

---

(١) ومراده بالناس: المجتهدين كما يدل عليه كلامه بعد.

(٢) المصدر السابق (ص ١١٢).

(٣) «قواطع الأدلة» (٣/ ١٨٨).

فأحد الطرفين: هو ما اتفق جميع العلماء على وجوبه أو على تحريمه أو على أنه مباح لا حرام ولا واجب فسمينا هذا القسم الإجماع اللازم.

والطرف الثاني: هو ما اتفق جميع العلماء على أن من فعله أو اجتنبه فقد أدى ما عليه من فعل أو اجتنب أو لم يأتهم.

فسمينا هذا القسم الإجماع الجازي... وبين هذين الطرفين أشياء قال بعض العلماء هي حرام وقال آخرون منهم ليست حراما لكنها حلال وقال قوم منهم هي واجبة وقال آخرون منهم ليست بواجبة لكنها مباحة وكرهها بعضهم واستحبها بعضهم فهذه مسائل من الأحكام والعبادات لا سبيل إلى وجود مسمى الإجماع لا في جوامعها ولا في أفرادها. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٢هـ) رحمه الله تعالى: باب القول في أن إجماع أهل كل عصر حجة وأنه لا يقف على الصحابة خاصة إذا أجمع أهل عصر على شيء، كان إجماعهم حجة، ولا يجوز اجتماعهم على الخطأ.

إلى أن قال: ويعتبر في صحة الإجماع اتفاق كل من كان من أهل الاجتهاد سواء كان مدرسا مشهورا، أو خاملا، ولا فرق بين أن يكون المجتهد من أهل عصرهم أو لحق بهم من أهل العصر الذي بعدهم، وصار من أهل الاجتهاد عند الحادثة كالتابع. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى: فقال لي قائل: قد فهمت مذهبك في أحكام الله ثم أحكام رسوله وأن من قبل عن رسول الله فعن الله قبل بأن الله افترض طاعة رسوله

---

(١) «مراتب الإجماع» (ص ٢٤).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (١/ ٤٢٧-٤٢٩).

وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما وعلمت أن هذا فرض الله فما حجتك في أن تتبع ما اجتمع الناس عليه مما ليس فيه نص حكم الله ولم يحكوه عن النبي أتزعم ما يقول غيرك أن إجماعهم لا يكون أبدا إلا على سنة ثابتة وإن لم يحكوها؟

قال: فقلت له: أما ما اجتمعوا عليه فذكروا أنه حكاية عن رسول الله إن شاء الله وأما ما لم يحكوه فاحتمل أن يكون قالوا حكاية عن رسول الله واحتمل غيره ولا يجوز أن نعهده له حكاية لأنه لا يجوز أن يحكي إلا مسموعا ولا يجوز أن يحكي شيئا يتوهم يمكن فيه غير ما قال فكنا نقول بما قالوا به اتباعا لهم ونعلم أنهم إذا كانت سنن رسول الله لا تعزب عن عامتهم وقد تعزب عن بعضهم ونعلم أن عامتهم لا تجتمع على خلاف لسنة رسول الله ولا على خطيئ إن شاء الله. اهـ<sup>(١)</sup>

فهذه نصوص بعض الأئمة قبل القرن السادس وعلى رأسه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وهو أول من ألف في أصول الفقه وأرسى قواعده ودعائمه، كلها تحكي نفس التعريف للإجماع الشرعي وأنه يشترط فيه اتفاق جميع المجتهدين في ذلك العصر، فادعاء أن هذا كان في القرن السادس وأنه لم يفهمه من قبلهم ولم تدل عليه نصوص الكتاب والسنة عجيب جداً!! ثم جاء علال الفاسي وراشد الغنوشي في القرن الخامس عشر لتغيير هذه المفاهيم التي مضت عليها الأمة وعملوا بها وأجمعوا عليها، يا سبحان الله!

---

(١) «الرسالة» (ص ٢٩٧) الفقرة رقم (١٣٠٩ - ١٣١٢).

ثم قال: (فالإجماع هو اتفاق المجتهدين ساعة البحث في أمر ما في ما لا نص فيه من كتاب وسنة وهو مبني على أساس التشاور بين المؤمنين الذي حث عليه القرآن في قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وليس الإجماع أن يطلع كل مجتهد أو عالم على وجهة نظر الآخر من المسألة وييدي رأيه فيها بالموافقة ونعلم نحن رأيه وتجتمع أفكار الناس كلهم، فذلك ما لا يظهر أن الصحابة - رضي الله عنهم - فهموه من الإتفاق الواجب عليهم في مسألة ما. فما كان أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي يتوقف عن تنفيذ قراراته بعد استشارة من حضر - من علماء الصحابة إلى أن يستشير غيره ممن هم منبثون في مختلف أصقاع المسلمين.

فلذلك فالحق أن الإجماع هو عبارة عن اتفاق هيئة شورى يعقدها الخليفة لتبين وجهة النظر في مسألة ما، فإذا اتفقت كلها على حكم شرعي فقد وقع الإجماع ووجب اتباعه في العمل وإن جاز لمن لم يحضر من أهل الاجتهاد أن ييدي رأياً مخالفاً. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

أولاً: هذا التعريف المذكور للإجماع محدث لم يذكره أحد من السلف الماضين، ولم يذكره سني ولا مبتدع ممن تقدم، ولم يسبقوا إليه، فليأتونا بواحد ممن تقدم ذكر هذا التعريف. ثانياً: توجد فروق بين الإجماع والشورى فإن الشورى في تعريفها العام هي: إبداء الرأي للمنصوح بطلب أو بدون طلب.

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١١٢).

وفي تعريفه الخاص هي: أن يجتمع مجموعة من أهل الحل والعقد ومن العلماء ومن ذوي الخبرة والسياسة وهم الذين يديرون أحوال الناس على نهج الكتاب والسنة يتشاورون فيما بينهم، وهي غير ملزمة على الصحيح.<sup>(١)</sup>

والإجماع تقدم تعريفه، ومن تلك الفروق:

- أن الشورى كانت في حياة النبي ﷺ وبعد مماته عليه الصلاة والسلام، أما الإجماع فلا ينعقد إلا بعد وفاته.
- أن الإجماع لا بد فيه من الاتفاق بين المجتهدين، وأما الشورى فلا يلزم فيها الاتفاق بينهم بل تقع بدونه.
- أن أهل الشورى وإن اتفقوا فإن اتفاقهم غير ملزم على الصحيح، أما الإجماع فملزم الأخذ به.
- أن الشورى تقع ببعض المجتهدين دون بعض، أما الإجماع فيشترط فيه اتفاق جميع مجتهدي العصر دون استثناء.
- مخالفة الواحد من مجتهدي أهل العصر- ينقض الإجماع على قول جمهور العلماء، ومخالفة الواحد من أهل الشورى أو من غيرها من المجتهدين لا ينقض الشورى وينطبق عليها وصف الشورى.

ثالثاً: عدم الاعتبار بمن خالف من المجتهدين خارج هيئة الشورى التي يعقدها الإمام - وإن كانوا يمثلون عدداً قليلاً من مجتهدي العصر - وإن كان المخالفون لهم من المجتهدين

---

(١) بنحو هذا عرفها الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى في «تحفة المجيب» (ص ٢٢٣).

أكثر، مخالف لما عليه جمهور العلماء أن الإجماع لا ينعقد بقول الأكثرين من أهل العصر<sup>(١)</sup> فيعتبر بمخالفة الواحد والاثنين، والحجة في ذلك أن العبرة بقول علماء جميع الأمة، لأن العصمة إنما هي لكل لا للبعض فإن النبي ﷺ قال: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

رابعاً: الصحيح في إمكانية العلم بحصول الإجماع، أنه لا يمكن إلا في صورتين:

الأولى: ما كان معلوماً من الدين بالضرورة، والثانية: ما كان من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وذلك أن الصحابة في ذلك الزمان محصورون ولم يتشتروا لعدم اتساع رقعة بلاد الإسلام في ذلك الزمان، ورؤوس الصحابة المجتهدين معروفون، ومن خرج منهم إلى بعض البلاد تتناقل أقواله ومشهورة بينهم، وقد ثبت إجماع الصحابة على مسائل مثل الإجماع على فتوى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة وغيرها.

وهذا القول هو الذي رجحه ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما وانتصروا له أيما انتصار.

خامساً: أن في هذا الرد لصفة الإجماع الشرعي وإحداث صفة أخرى نقض لجميع الإجماعات التي انعقدت والتي تزخر بها كتب العلماء، ونقض لما أُلّف في ذلك من أمثال كتاب «الإجماع» لأبي بكر بن المنذر النسابوري، وكتاب «الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان الفاسي، وكتاب «مراتب الإجماع» لابن حزم، و«نقد مراتب الإجماع» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرها من كتب الإجماع، وما مضى عليه العمل عند المسلمين.

---

(١) فضلاً عن أن يكونوا قلة من المجتهدين!.

فلا يصح بعد هذا تفسير الإجماع بالشورى، وهذا من سلسلة جنايات الغنوشي على أصول الشريعة الإسلامية وتطاوله على أحكام دين الله عز وجل.

## الفصل السادس: الدستور والقانون

يقول راشد الغنوشي: واضح من خلال المقارنة تواضع الأبعاد الاجتماعية في الدستور التونسي بالقياس إلى عمق واتساع ذلك الحجم في التصور الإسلامي كما تجلى في الكتاب والسنة والفقهاء المجددين أو كما تجلى في إحدى صور التطبيق المعاصر للإسلام كما وردت في الدستور الإيراني، الأمر الذي جعل التونسيين ونظرائهم يستغربون قصور دساتيرهم عن ركب البشرية الزاحف تجاه تأصيل مبادئ العدالة والمساواة. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: وإذا كان الأمر كذلك فحري أن نلفت نظر العاملين في الحركة الإسلامية التي اعتمدت سبل التغيير السلمي إلى النصائح الآتية التي تمخضت عنها تجربة الحركة الإسلامية...

ثامناً: ينبغي أن تعلن موقفاً صريحاً أنها مع حكم الدستور والقانون من حيث المبدأ حتى وإن اعترضت على بنود معينة في الدستور تحد من الحريات العامة أو تقنن للحكم الفردي وللمظالم ولتحدي شريعة الأمة.

إن دولة محكومة بدستور وإن تكن ظالمة أقل ضرراً من دولة محكومة بفرد وإن ادعى العدالة وحكم الشريعة!! اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: لست مقتنعاً إطلاقاً بحتمية الحرب مع الغرب، صحيح أن الغرب وخاصة الولايات المتحدة لا تدخر وسعاً - فيما يبدو من سياستها - في عرقلة الجهد الإسلامي حيثما

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٦٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٤٤-٣٤٥).

برز والتعاون ضد الإسلام حتى مع الشيوعيين أعداء الأمس ومع كل ديكتاتورية مفسدة وذلك بالتورط في تطبيق المعايير المزدوجة، خلافاً لما تعلنه من التزامها بالمبادئ الديمقراطية<sup>(١)</sup>، وحقوق الإنسان، وخلافاً لدستورها الجميل<sup>(٢)</sup>!! اهـ<sup>(٣)</sup>

اللقن:

هذه الكلمة (قانون) يونانية الأصل ، وقيل : فارسية ، دخلت إلى العربية عن طريق السريانية ، وكان معناها الأصلي (المسطرة) ثم أصبحت تعني (القاعدة الكلية) التي يتعرف منها أحكام جزئياتها . وهي اليوم تستعمل في اللغات الأجنبية بمعنى (التشريع الكنسي) وهي في البلاد العربية تستعمل بمعنى (القاعدة) لكل شيء ، ثم توسع في استعمالها في الاصطلاح القانوني بمعنى (جامع الأحكام القانونية) ، فهو عبارة عن مجموعة الأوامر والنواهي الواجب الالتزام بها في البلاد.

والقوانين الوضعية متعددة بتعدد واضعها، ومنها ما هو قديم كقانون حمورابي، والقانون الروماني، ومنها ما هو حديث كالقانون الفرنسي- والألماني، والبلجيكي، والإنجليزي، والأمريكي، والإيطالي، والسويسري... وتسمى في اصطلاح المسلمين (القوانين الوضعية) تمييزاً للشريعة الإسلامية عنها، إذ هي من عند الله تبارك وتعالى، أما القوانين فهي

---

(١) وهذا يدل على أن الديمقراطية شعار زائف تسحق الأفراد والشعوب كما سحقتهم الاشتراكية والشيوعية سواء بسواء.

(٢) وهكذا يكون دستور الولايات المتحدة عند الغنوشي جميلاً، وأما نظام الإسلام فهو - عنده - كَلٌّ على الإسلام كما سيأتي نص كلامه في فصل (الديمقراطية)!!.

(٣) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ١٧٧-١٧٨).

من وضع البشر واختلاقهم وعليه فإن هذه اللفظة (قانون) وافدة على مصطلحاتنا ، وقد انتزع بسببها (النص الشرعي) و(قول الله تعالى) و(قول رسوله ﷺ) و(الشرعة) و(الشرع الإسلامي).<sup>(١)</sup>

وأما الدستور: كلمة فارسية تعني الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند ، والذي تجمع فيه قوانين الملك ، وتطلق أيضا على الوزير ، وهي مركبة من كلمة (دست) بمعنى قاعدة ، وكلمة (ور) أي صاحب ، وانتقلت إلى العربية من التركية بمعنى (قانون، وإذن) ثم تطور استعمالها حتى أصبحت تطلق الآن على القانون الأساسي في الدولة.

والدستور: مجموعة الأحكام التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها ، وسلطاتها ، وطريقة توزيع هذه السلطات ، وبيان اختصاصاتها ، وبيان حقوق المواطنين وواجباتهم. وأول دستور في الولايات المتحدة عام (١٧٧٨م)، تلاه الدستور الأول للثورة الفرنسية عام (١٩٧١م)، وأما أول دستور في البلدان الإسلامية فهو الدستور التونسي عام (١٢٧٦هـ) الموافق (١٨٦١م) حين أصدره الباي<sup>(٢)</sup> محمد الصادق<sup>(٣)</sup>

وما في هذه الدساتير فإنه مخالف لدين أحكم الحاكمين، فإن هذه القوانين من وضع البشر، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

---

(١) «معجم المناهي اللفظية» (ص ٤٢١).

(٢) الباي: لقب يطلق على حاكم تونس في ذلك الوقت.

(٣) «الإسلام والدستور» توفيق بن عبد العزيز السديري.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال الله عز وجل مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَاَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وأمر الله عز وجل بالرد إليه عند التنازع فقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأخبر أنه لا حكم أحسن من حكمه فقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ونفى سبحانه الإيمان عن قوم حتى يحكموا النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

ونفى الإيمان عن المنافقين الذين أرادوا التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

وقال تعالى في حق من لم يحكم بما أنزل عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ومذهب أهل السنة والجماعة التفصيل في الذي يحكم بغير ما أنزل الله وعليه علماؤنا الأجلاء أمثال الإمام ابن باز، والألباني، وابن عثيمين والوادعي. وأما التكفير مطلقاً فهو مذهب الخوارج ورثوه كابراً عن كابر، وأما معاشر أهل السنة فلا يرضوه ديناً وليس لهم بخلق.

إلا أن الله عز وجل قد سمى من لم يحكم بما أنزل سبحانه كافراً وظالماً وفاسقاً سواء كان كافراً وظالماً وفاسقاً أكبراً أو أصغراً، فنسأل الله السلامة والعافية.

وقول راشد: (إن دولة محكومة بدستور وإن تكن ظالمة أقل ضرراً من دولة محكومة بفرد وإن ادعى العدالة وحكم الشريعة!!) هذا والله من الخطر العظيم الذي يخشى على صاحبه. وأما

نحن فنقول كما قال العلامة الوادعي رحمه الله تعالى: أما نحن فنكفر بالدستور من أوله إلى آخره لأن دستورنا هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. (١)

وقال تغمده الله برحمته: أنا أقول لك في شأن الدستور: لا تقل نعم ولا تقل لا، ولكن ارفضه وقل لهم: إني مسلم ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]، فاعتزلهم وقل: بيني وبينكم كتاب والله وسنة رسوله ﷺ لا بد أن نتحاكم إلى الكتاب والسنة، المسلمون حتى الحاكم لا يجوز له أن يرفض شيئاً، وإذا كان الله يقول لنبيه محمد ﷺ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فإننا نقول للملوك والرؤساء: ليس لكم من الأمر شيء أنتم عبيد الله شئتم أم أبيتم أنتم مملوكون لله وأنتم تحت تصرف الله وتحت قدرته. اهـ (٢)

---

(١) «غارة الأشرطة» (٢/ ١٥٩).

(٢) «قمع المعاند» (ص ٢٢٣-٢٢٤).

## الفصل السابع: شريعة حقوق الإنسان والقانون الدولي

يقول راشد: والخلاصة أن الإسلام الذي هو في جوهره رسالة لإقامة العدل وتحرير للبشرية من كل ضروب الطغيان ومسعى حثيث لا يفتر لتحقيق مصالح العباد حفظاً لما يتقوم به وجودهم ويقتضيه تدرجهم في معارج التحضر من صون للدين وللأنفس وللعقول وللأعراض وللأموال ورعاية للعدل والتحرر لا يسعه إلا أن يسعد ويرحب بما ارتقى إليه وعي البشرية إذ اعترف لجنس الإنسان بصرف النظر عن كل اعتبار آخر بحقوق مشتركة متساوية من الكرامة وما يتفرع عنها من حقوق وحريات ممثلة في إعلانات حقوق الإنسان وما انبثق عنها من عهود دولية ومواثيق، يسعد ويرحب باعتبار ذلك بعض ما تتشوف رسالته إليه بما يجعل اتجاه التوافق بين تلك الإعلانات والعهود مع قيم ومبادئ الإسلام هو الاتجاه العام والإختلاف هو الاستثناء رغم اختلاف المنطلقات والنتائج أحياناً، ولا يسوؤه في هذا الصدد أشد من التباين الفاضح بين جمال هذه الإعلانات وبشاعة التطبيقات، فليست شريعة حقوق الإنسان والقانون الدولي على ما فيها من نقص! ما يحكم العلاقات بين الدول وعلاقة كل دولة بشعبها وإنما شريعة الإستحلال والذرائع والإنتهاز والغش وحتى قانون الغاب، وذلك أثر من آثار الفلسفات المادية التي تصبغ المناخ الثقافي العام. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: ولقد نص الميثاق العالمي لحقوق الإنسان وهو أهم وثيقة معاصرة تقدم خلاصة مكثفة لما انتهى إليه الفكر الإنساني من نموذج للحقوق والحريات تنسج الدساتير على منواله: أن لكل فرد الحق في إدارة الشؤون العامة في بلاده وقرر أن إرادة الشعب هي مصدر

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٦٤).

سلطة الحكومة! وأن التعبير عن هذه الإرادة يكون بانتخابات دورية نزيهة تجرى بالإقتراع السري على قدم المساواة بين الجميع أو وفقاً لأي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

والكلام في هذا كالكلام في الذي قبله من حيث إطلاق كلمة (الشريعة) على هذه القوانين الوضعية! ولا شريعة إلا شريعة الله عز وجل الإسلام، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والأمر الثاني من حيث الاعتراف بهذه القوانين الوضعية وقد تقدمت الأدلة على بطلان ذلك وأنه لا حكم إلا لله عز وجل.

ولعل الشبهة في ذلك وجود بعض النقاط في هذه القوانين مشابهة في الظاهر لما يدعو إليه الإسلام، والجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن هذه الشعارات المرفوعة والعهود والمواثيق الدولية ظاهرها خلاف باطنها وهي نظرية وليست تطبيقية بالنسبة لواضعيها (الغرب) وإنما هي مجرد شعارات يضحكون بها على المغفلين ويرجون بها سلعهم الباطلة فأين حقوق الإنسان من قضية فلسطين والعراق والصومال وليبيا حالياً؟! إنه احتراف الكذب والدجل فحسب.

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٥).

الثاني: لو لسلمنا وجود هذا الشبه - في الظاهر - فإنه لا ينسبنا الفرق العظيم بين دين الإسلام وبين هذه القوانين الوضعية، وذلك أن واضعيها - أولاً - من البشر ودين الإسلام شرع رب السماء والأرض أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى، وكذلك هذه القوانين قابلة للتغيير أو التعديل أو الإلغاء وهذا مما يدل على بطلانها وأما دين رب العالمين فإنه كامل لا يقبل التغيير بحال من الأحوال، وهو صالح لكل زمان ومكان لا يتغير بتغيرهما، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وأولئك الكافرين الذين أحدثوا هذه الحقوق إن كانوا لم يؤدوا حق الله عز وجل وهو توحيده سبحانه فكيف يظن بهم أن يؤدوا حق عباده المؤمنين؟! وقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

ومن قتل أنبياء الله عز وجل وهم خيرة البشر، كيف يظن به أن يؤدي حق عباده الصالحين، ولكن كما قيل في أمثالهم: (من استرعى الذئب ظلم).

والذي أريد بيانه في هذا الموضع أن الإسلام نص على حقوق كثيرة وسبق إليها قبل أن تولد هذه الأفكار عند الكافرين، والحقوق في الإسلام نوعان:

١ - حق الله عز وجل على عباده:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير قال فقال: «يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق الله على العباد؟» قال قلت الله ورسوله أعلم قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup> قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- حقوق العباد بعضهم على بعض:

منها قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(١) هذا مما أوجبه سبحانه وتعالى على نفسه فضلاً منه ورحمة وإنعاماً ولم يوجبه عليه أحد من خلقه وليس للمعاوضة ولا أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق كما تدعيه المعتزلة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٤٩-٣٠).

\* وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥٣-١٥١].

قال الإمام ابن كثير: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين أشركوا وعبدوا غير الله، وحرّموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: هلموا وأقبلوا: ﴿أَتُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقًا لا تخرصًا، ولا ظنًا، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده. (١)

وهكذا حقوق الوارثين، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ إِن كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿النساء: ١١-١٢﴾.

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٧).

وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ \* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٣-٨٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا \* رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا \* وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا \* إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا \* وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا \* وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا \* إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا \* وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا \* وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا \* وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا \*  
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ  
مَسْئُولًا \* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا \* وَلَا  
تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا \* وَلَا تَمْشِ  
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا \* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ  
رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿[الإسراء: ٢٣-٣٨].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى من الحقوق مستفيضة جدًا . فالشريعة الإسلامية قد  
تكفلت - بحمد الله تعالى - ببيان جميع الحقوق سواء كانت المتعلقة بالمسلمين أو تجاه  
الكافرين أو الحيوان... وليس علينا إلا التمسك بدين الإسلام والإعراض عن أفكار  
الكافرين نضمن السعادة - إن شاء الله - في الدنيا والآخرة.



#### الباب الرابع:

- الفصل الأول: تعريف الإسلام والتوحيد عند الغنوشي.
- الفصل الثاني: أشعرية الغنوشي في باب الصفات.
- الفصل الثالث: استهانة راشد بأمر العقيدة الإسلامية.
- الفصل الرابع: تمجيد راشد لمذهب المعتزلة وثنائه على رؤوس الضلال: معبد الجهني، غيلان الدمشقي، وواصل بن عطاء الغزال.
- الفصل الخامس: حزب النهضة حركة صوفية بشهادة مؤسسه الغنوشي.
- الفصل السادس: جماعة التبليغ متواجدون داخل حزب النهضة.
- الفصل السابع: الدليل على أن الغنوشي حاطب ليل.

## الفصل الأول: تعريف الإسلام والتوحيد عند الغنوشي

يقول راشد: إن الإنسان خص من دون الكائنات بالاستخلاف بما اتسحفظ عليه من أمانات العقل والإرادة والحرية والمسؤولية والمنهج الإلهي المنظم لحياته، وآيات التسخير والتكريم وتحميل الأمانة أو الأمانات للإنسان تدور حول المعاني المتقدمة بما يؤكد المساواة بين الناس في أصل الخلق والكرامة وأمام القانون! ويحرض على رفض الطغيان ومقاومته بكل الوسائل المتاحة إلى درجة الإقدام على خطر الموت شهيداً وذلك ما حدا بعلماء الإسلام إلى تلخيصه بأنه ثورة تحريرية شاملة ضد كل الصور المادية والمعنوية لتسلط الإنسان على أخيه.<sup>(١)</sup>

ثم علق في الحاشية فقال: لعل أول من أطلق هذه التعريف للإسلام العلامة المودودي وتبعه الشهيد<sup>(٢)</sup> سيد قطب.

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٢٧).

(٢) الجزم والقطع بأن فلانا شهيد لا يجوز إلا إن كان بوحى، والوحى قد انقطع بموت النبي ﷺ وذلك أن لكل عمل نية، والله أعلم بما في السرائر، وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (باب لا يقال فلان شهيد) واستدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ»، عن أبي العجفاء السلمي قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان في خطبته أنه قال: وأخرى تقولونها لمن قتل في مغازيكم فلان شهيد أو مات فلان شهيدا وعسى أن يكون قد أثقل عجز دابته وأردف راحلته ذهباً وورقا يتبغي الدنيا فلا تقولوا ذلك ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة» رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/ ١٧٥-١٧٦) وصححه وقال الحافظ ابن حجر: وهو حديث حسن. «الفتح» (٦/ ١١٠).

النقد:

إن هذا التعريف للإسلام محدث لم يعرفه علماء التوحيد والسنة وليس هو الذي قامت عليه دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن فيه تضييعاً لتوحيد الألوهية الذي بعث به الأنبياء وكان فرقاً بين الحق والباطل، والرسول وأعدائهم ومكذبيهم.

يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي: خالف سيد في تفسير (لا إله إلا الله) علماء التوحيد والتفسير والفقه واللغة المعبرين، وتابع المودودي في هذه النظرة بأن الإله هو الحاكم المتسلط، والمودودي في نظريته هذه تابع الفيلسوف الألماني (هيجل) في «الحكومة الكلية». قال العلامة صوفي نذير الكشميري - وهو من كبار علماء السلفيين رحمه الله - بعد حكاية قصة له مع المودودي: وبعد مدة علمت تفسير هذه الرؤيا بأن الشيخ المودودي يعرض فكرة الفلسفي الألماني في «الحكومة الكلية» في لباس الفكر الإسلامي بدل وجهة النظر الإسلامية.<sup>(١)</sup>

ولاحظ قول راشد: (ضد كل الصور المادية والمعنوية لتسلط الإنسان على أخيه) فالإله عندهم هو المتسلط المستولي. يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣]: والإله هو المستعلي المستولي المتسلط.<sup>(٢)</sup>

ومن هنا صرح راشد بأن حقيقة الإسلام حرب على الفقر والاستغلال والتترف فقال: الإسلام في حقيقته حرب على الفقر والاستغلال والتترف! ودعوة إلى العدالة الاجتماعية.<sup>(٣)</sup>

---

(١) «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» وانظر «الحد الفاصل بين الحق والباطل».

(٢) «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠١٠).

(٣) «مقالات لراشد الغنوشي» (ص ٧٨).

فهذه هي حقيقة الإسلام عند هؤلاء الحركيين، فهل سبق لك أن وقفت على مثل هذا التفسير لـ (لا إله إلا الله) وللإسلام عند أحد من سلف الأمة الماضين؟!

إن في هذا التفسير هدم لدعوة الأنبياء من لد آدم عليه السلام إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ، فإنها ما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا لتوحيد الله عز وجل وإفراده سبحانه بالربوبية والإلهية والأسماء والصفات.

إن تعريف الإسلام بهذا النفس الحركي الخبيث يدل على جرأة عظيمة على دين الله عز وجل، يدفعها الجهل وقلة الحياء. فأين صحابة رسول الله ﷺ من هذا التفسير؟! وأين أتباعهم وتابعوهم من هذا، إلى أن أتى المودودي وسيد قطب فشيذا معالم الإسلام والتوحيد؟!

إننا نعتقد أن السيادة والسلطان والحاكمية لله سبحانه وتعالى، لكن الخلط بين معاني توحيد الربوبية وما يتضمنه من الحاكمية لله عز وجل وبين معاني الإلهية والعبودية يجعل المسلم يظن أن الصراع بين الأنبياء ومن رفض دعوتهم إنما كان من أجل الحكم والسلطة والفقر والظلم... وهذا خطأ عظيم وإلغاء لمقصد عظيم، وهو قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومشركو العرب الذين أرسل إليهم النبي ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ولهذا حاجهم الله عز وجل في عدة مواضع من القرآن الكريم بإقرارهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيدهِ في عبادته، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

والآيات بنحو هذا كثيرة جداً، ذكر جملة طيبة منها العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان» (٣/ ١١٤ فما بعد) ثم قال رحمه الله تعالى بعد ذكرها: ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع: أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار. لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالالوهية ضرورة. نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤] وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار. لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار، لأنهم لا ينكرون الربوبية، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه. اهـ

ولقد بعث الله عز وجل جميع الأنبياء بدعوة التوحيد، دعوة الناس إلى أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن لا تصرف جميع العبادات إلا إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهي دعوة نوح عليه السلام إلى قومه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهي دعوة هود عليه السلام إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وهي دعوة صالح عليه السلام إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وهي دعوة شعيب عليه السلام إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وهي دعوة إبراهيم الخليل ويعقوب عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ \* أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣].

وهي دعوة نبينا محمد ﷺ إلى العالمين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ- مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

إن مشركي العرب كانوا أعلم منهم بمعنى (لا إله إلا الله)، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٤-٥].

بل وفرعون كان أعلم منهم بمعناها كما أخبر الله سبحانه عن قصته مع موسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \* فَقَالُوا أَنْزِلْ لَنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥-٤٧].

فالإسلام: هو الإستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. و(لا إله إلا الله) معناها: لا معبود حق إلا الله.<sup>(١)</sup>

والإله هو المألوه المعبود، وفي شعر رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُلدِّه سبَّحن واسترجعن من تألَّهي  
يعني من تعبدي وطلبي الله لعملي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق.<sup>(١)</sup>

---

(١) انظر «ثلاثة الأصول وأدلتها» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التي يحفظها أبناء أهل السنة قبل سن البلوغ، ولا يدري مثل هذا من يدعي العلم بل من يظن به أنه شيد معالم الإسلام!!  
(١) «درء التعارض» (١/٢٢٦).

وهذا المعنى هو الذي قرره ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٤ / ١) والعلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢٢-٢٣ / ١) وغيرهم.

وقد جر هذا الخلط في تعريف الإسلام إلى الخلط في بيان مفهوم التوحيد، إذ الإسلام هو التوحيد والتوحيد هو الإسلام.

فقال الغنوشي: مفهوم التوحيد: وهو جوهر العقائد الإسلامية ويعني رفض كل أشكال الألوهية المزيفة التي تفرض استعباد الإنسان سواء ظهرت في صورة صنم يتمسح الناس على أعتابه ويقدمون له القرابين أو في صورة سلطة سياسية مستبدة تستذل الناس وتفرض عليهم الديكتاتورية وتملك التصرف في حاجياتهم المادية والمعنوية أو في شكل شركات رأسمالية تحتكر الثروة وتسخر البشر في تنميتها وتسرق ثمار عملهم فلا يأخذ العامل من جهده إلا القدر الذي يتبلغ به لمواصلة جهده في تكديس الثروة الرأسمالية. إن في إقرار عقيدة (لا إله إلا الله) تحريرًا للإنسان من الداخل والخارج فلا يخشى شيئًا إلا الله ولا تستعبده سلطة، إنها قلع للاستغلال من جذوره وليس مجرد تغير لموقعه. اهـ<sup>(١)</sup>

فهل رأيت أيها الطالب للحق قبل مثل هذا التعريف المادي للتوحيد (نفي الإحتكار، الإستغلال، التكديس، التنمية، السرقة!) الذي ينسف معالم التوحيد نسفًا، وهذا يدلّك - رعاك الله - على أن الرجل ليس له أي صلة بكتب التوحيد والعقيدة لعلماء السنة، وإنما هي كتب الفلسفة والاقتصاد والاجتماع... ومثل هذا الكلام ليعين العلمانيين ويقطع لهم المسافات الطويلة لهدم الإسلام حتى يبقى المسلمون تحت سيطرة المادة يبحثون عن حقيقة

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ١٣٣).

الإسلام بعد أن طمست معالمه بأقلام هؤلاء الذين يستحقون أن يقام عليهم حد الحرابة<sup>(١)</sup>، فإنه إذا كان هذا الحد يطبق على المفسدين في الأرض بتقطيع الطريق وقتل المسلمين... فكيف بمن يفسد في دين رب العالمين، فهؤلاء يفسدون الدين وأولئك يفسدون الدنيا.

اعلم - رحمك الله - أن التوحيد بمعناه العام هو : إفراد الله جل وعلا بالربوبية وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وإثبات ما له من الأسماء والصفات.

فالتعريف شامل لأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الربوبية: هو إفراد الله سبحانه بأفعاله وذلك بالإقرار الجازم بأن الله سبحانه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه، لا منازع له في شيء من معاني ربوبيته، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله سبحانه بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٥].

---

(١) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] على قول جمهور العلماء القائلين أنها نزلت فيمن خرج من المسلمين يسعى في الأرض بالإفساد ويقطع الطريق.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو اثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويجمع أنواع التوحيد الثلاثة قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

## الفصل الثاني: أشعرية الغنوشي في باب الصفات

قال راشد: المجتمع التونسي ليس قابلاً لأي صورة من صور التدين والمجتمعات المغاربية عموماً مرت عليها كل الصنوف ولكن استقرت على نمط معين من التدين الذي يلتقي فيه المذهب المالكي مع العقائد الأشعرية مع التربية الصوفية، وهذا الذي عبر عنه ابن عاشور<sup>(١)</sup> في منظومته المعروفة وهو المعادلة التي تزوج بين عقيدة فيها قدر غير قليل من العقلانية مع الفكر المالكي والتربية والتزكية التي استقر عليها التدين المغاربي ستهضم كل صنوف التدين التي جاءت من الخارج وراهنّت على قلب هذه المعادلة. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال راشد أيضاً: ونؤمن بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهو المنزه عن المشابهة بخلقه، وعليه فإن ألفاظ النصوص المفيدة للتشبيه لا تفهم على ظواهرها بل نضعها في إطار التنزيه المطلق. اهـ<sup>(٣)</sup>

للقّد:

---

(١) كذا! ولعله أراد ابن عاشور فهو القائل في منظومته الشهيرة:

في عقد الأشعري وفقه مالهك وفي طريقة الجنيد السالك

(٢) مقال بعنوان: «أشواك السلفية في تونس هي انعكاس لعنف السلطة» المصدر: موقع راشد الغنوشي.

(٣) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٣٢٧).

وهذا الذي قرره راشد هو مذهب أهل التعطيل سواء كان تعطيلهم كلياً أو جزئياً<sup>(١)</sup> فإنهم زعموا أن ظواهر نصوص الصفات تفيد أو توهم التشبيه فعطلوها عن المعنى المتبادر منها (نضعها في إطار التنزيه المطلق!) ولهذا يقول قائلهم:

وكلُّ نصٍّ أو هم التشبيه أو لَّه أو فوض وُزْم تنزيهاً

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: القاعدة الثالثة :

إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد ؟

فإنه يقال: لفظ الظاهر فيه إجمال وإشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين: تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر ولا يكون كذلك.

وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل... وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها

---

(١) التعطيل الكلي: هو نفي الأسماء والصفات وهو مذهب الجهمية والفلاسفة والقرامطة وغيرهم.

والتعطيل الجزئي: هو ما تعلق بنوع كالمعتزلة النافين للصفات دون الأسماء، والأشاعرة والكلابية والماتريدية النافين لبعض الصفات دون بعض.

ويجمع المعنيين للتعطيل: نفي المعنى الحق الوارد في الكتاب والسنة.

والظاهر هو المراد في الجميع فإن الله لما أخبر أنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره وأن ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا وقدرته كقدرتنا... فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا وإن كان يعتقد أن ظاهرها ما يليق بالخالق ويختص به لم يكن له نفي هذا الظاهر ونفي أن يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات فيكون الكلام في الجميع واحدا... ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير لم يقل المسلمون إن ظاهر هذا غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا بل صفة الموصوف تناسبه... وهذا يتبين بالقاعدة

الرابعة: وهو أن كثيرا من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

أحدها: كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيء الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب.  
الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته. اهـ<sup>(١)</sup>

وبعد هذا التقرير لمذهب أهل السنة في نصوص الأسماء والصفات وبيان مذهب المشبهة والمعطلة يتضح أن مذهب المعطلة هو الذي يسلكه راشد في صفات الله عز وجل، وهو مذهب باطل لما تقدم.

ومذهب الأشاعرة مذهب مبتدع وقد صح رجوع مؤسسه عنه (أبي الحسن الأشعري) إلى مذهب أهل السنة كما أبانه الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ) في كتابه «تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري» وهو مذهب يجمع بين تأويل الصفات والجبر ونفي الحكمة والتعليل وغير ذلك.<sup>(٢)</sup>

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/٤٣-٤٩) وانظر «القواعد المثلث» القاعدة الرابعة من الفصل الثالث (قواعد في أدلة الأسماء والصفات).

(٢) انظر لمعرفة مذهب الأشاعرة «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية» للعلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى و«منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى» لخالد بن عبد اللطيف بن محمد نور.

والإمام مالك بريء من مذهب الأشاعرة فإن عقيدته سلفية، يقول ابن خويزمنداد المالكي: أهل الأهواء عند مالكٍ وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريًا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها. اهـ<sup>(١)</sup>

ومن هنا أول راشد صفة (الكيد) لله عز وجل بالتدبير، فقال: وفي سورة يوسف نفسها ورد الكيد منسوبًا إلى إخوة يوسف ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، كما جاء وصفًا للتدبير الإلهي ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، أي كذلك دبرنا له هذا التدبير الدقيق. اهـ<sup>(٢)</sup>

وهذا تحريف للفظ عن ظاهره الذي دل عليه، فإن الله وصف نفسه بأنه يكيد لأعدائه، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣، القلم: ٤٥]. وهذه الآيات تدل على هذه الصفة الفعلية لله عز وجل، فنثبتها له سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يوصف سبحانه بهذه الصفة إلا مقيدًا في مقابلة كيد المخلوق، والله سبحانه يفعل ذلك عدلاً منه وحكمة.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ١٩٣) تحقيق الزمري.

(٢) «المرآة بين القرآن وواقع المسلمين» (ص ٣٩).

قال شيخ الإسلام: وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بذلك فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد. اهـ<sup>(١)</sup>

قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله تعالى: تضمنت هذه الآيات إثبات صفتي المكر والكيد، وهما من صفات الفعل الاختيارية، ولكن لا ينبغي أن يشتق له من هاتين الصفتين اسم فيقال: (ماكر وكائد) بل يوقف عند ما ورد به النص من أنه (خير الماكرين) وأنه يكيد لأعدائه الكافرين. اهـ<sup>(٢)</sup>

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وقيل - وهو الأصوب - : بل تسميته بذلك حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبةً له، فالأول مذموم والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمةً وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده. اهـ<sup>(٣)</sup>

---

(١) «التدمرية» (ص ٢٦).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص ١٣٤).

(٣) «أعلام الموقعين» (٣/ ٢٣٠) ط. دار الفكر.

### الفصل الثالث: إستهانة راشد بأمر العقيدة الإسلامية

يقول راشد: الإغراق في القضايا اللاهوتية الغيبية: لقد شُغلت الأمة ببحوث ما ورائية لا طائل من ورائها كعلاقة الذات بالصفات، خلق القرآن، مكان وجود الله في جهة أو في غير جهة؟ الله يرى أم لا يرى؟ كيف أسري بالنبى، بالروح فقط أو بالروح والجسد؟ وهي بحوث كان طبيعياً أن تنشأ في ظل الإستبداد وبتشجيع منه لصرف الجماهير والمفكرين عن واقعهم البائس، وكان من الطبيعي أن يظل العقل المسلم في متاهة تلك البحوث وألا يصل فيها إلى وفاق لتجاوزها لمجال العقل، فكان ذلك سبباً آخر إلى جانب التمزق والإنشقاق على المستوى السياسي ليقع التمزق على المستوى العقائدي وتظهر عشرات من الفرق كل منها يزعم أنه يمثل الحقيقة المطلقة وينفيها عن الآخر. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: ما الذي يهمنى نحن المسلمون المتخلفون المهزومون وبلادنا تتقاذفها مختلف التيارات الثقافية ومجتمعنا يمر بأخطر التناقضات والأزمات أن نعرف موقف المعتزلة من صفات الله هل هي قائمة بذاته أم هي شيء زائد عن الذات، ثم موقف ابن رشد من الكون هل هو قديم أم محدث، ورأي ابن سينا في النفس وخلودها، وموقف الأشعري من الكسب والقضاء والقدر وقضية هل القرآن قديم أم محدث، وعلاقة الحكمة بالشرعية والإعتناء بتعريف علم الكلام؟ هل هذه المشكلات هي التي يعانها شبابنا الآن؟ وهل جاء الإسلام لمثل هذا الجدل العقيم الذي زجت بالعالم الإسلامي في متاهات أوضاع معينة لا علاقة لها بها الآن؟... ما هي الفكرة التي سيخرجون بها من درس التفكير الإسلامي دون أن يعثروا خلال نصوص الكتاب كله ولو على نص واحد لأحد المفكرين المسلمين المحدثين أمثال

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢١٨-٢١٩).

محمد اقبال وأبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي والشيخ حسن البنا وسيد قطب  
ومحمد قطب ومالك بن نبي؟ ألن يذهب بهم الظن إلى أن الإسلام انقطع عن الوجود وأنه  
لا يعدو أن يكون جزء من تراثنا وحسب لا علاقة له بحل مشكلاتنا الإجتماعية  
والاقتصادية والسياسية؟... ولذا فإني أقترح أن تعاد هذه الأكفان إلى قبورها ويوارى  
التراب على هذه المشكلات الزائفة وكفها ما أحدثته في تاريخنا من اضطرابات وفتن  
وحروب وتشتت. اهـ<sup>(١)</sup>

للقند:

قوله: (الإغراق في القضايا اللاهوتية الغيبية):

إن الإيمان بالغيب يعتبر ركيزة من ركائز الإيمان بالله تعالى، إذ أن الله سبحانه وتعالى تعبدنا  
بذلك فلا يكون الإنسان مسلماً حتى يؤمن بالغيب، فلا بد إذن من الإيمان بما أخبر به  
سبحانه من المغيبات الواردة في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ الصحيحة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ  
أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

والغيب هو ما غاب عن الحس، وقد مدح الله عباده المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب فقال جل  
وعلا: ﴿الْم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ  
هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ٣٦-٣٨).

ولا يعني ذلك الدخول في أوهام وخيالات باطلة، وإنما ضابطها الإقتصار على ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة والتسليم لهما.

والعقيدة عند المسلم هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره وهي أركان الإيمان الستة التي يعقد المسلم عليها قلبه وضميره. وهذا الإيمان مجمل ومفصل، والاتجاه نحو تعلم العقيدة الصحيحة مفصلاً لا يعتبر هذا من الإغراق فيما لا طائل تحته والدخول فيما لا فائدة فيه، وذلك أنه كلما قويت عقيدة المسلم كلما ابتعد عن الأهواء والضياع واقترب من ربه سبحانه واستنارت له الطرق في هذه الحياة.

يقول الإمام اللالكائي (٤١٨ هـ) رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه النافع «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون. اهـ

فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الله عز وجل له الأسماء الحسنى وأنه متصف بصفات الجلال والكمال وأنه على العرش استوى وأن القرآن كلام الله عز وجل وأن أفعاله سبحانه لحكمة، وأنه على كل شيء قدير، وأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وغير ذلك من مسائل الإعتقاد المجملة.

وأما التفصيل ومعرفة الأدلة النقلية والعقلية وأقوال الناس ومعرفة الشبهات وردها فهذا من الفروض الكفائية التي لا بد من وجود من يقوم بها من الأمة.

وأما ما ذكره راشد فإنه استهانة بأمر العقيدة وتعلمها وزهد وتزهيد من شأنها، وهو - والله - من تحقير ما عظم الله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقد مكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا بمكة يدعو إلى التوحيد والعقيدة ويحذر من الشرك وأهله، ولما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله»<sup>(١)</sup>.

وهذا هو دأب الحركيين المنشغلين بالسياسة الذين همهم المناصب وليس لهم هم أن يُنجى الناس من النار بتعليمهم العقيدة الصحيحة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٢)، ومسلم برقم (١٩).

ولهذا يقول صِنوه في المنهج والفكر سلمان العودة: فجزء من هذا اليسر، اليسر في العقيدة بحيث تستطيع أن تشرح لأي إنسان عقيدة التوحيد في عشر دقائق أو نحوها!!<sup>(١)</sup>.

وهكذا تضيق صدورهم من تعلم العقيدة وتعليمها، فنسأل الله السلامة والعافية.

والذي نفس محمد بيده لو أقام المسلمون دعوة التوحيد والعقيدة لرأيته في عز ومكنة على أعدائهم وهو وعد رب العالمين، قال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقول راشد: (وكان من الطبيعي أن يظل العقل المسلم في متاهة تلك البحوث وأن لا يصل فيها إلى وفاق لتجاوزها لمجال العقل):

وهذا العقل الذي يعيش في متاهة هو من أمثال عقلك الذي ليس له دراية بالكتاب والسنة، وأما أهل السنة بحمد الله تعالى فإنهم مجمعون على ذلك والحق فيها عندهم واحد لا يشك فيه، يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ): فمما أجمعت الأمة من أمور الديانة ومن السنن التي خلافاها بدعة وضلالة: أن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وأسمائه له الأسماء الحسنى والصفات العلى... اهـ<sup>(٢)</sup> ثم شرع في ذكر عقيدة أهل السنة التي كثير من مسائلها ما زال راشد منها في شك.

---

(١) «هكذا علم الأنبياء» (ص ٤٤).

(٢) «كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» (ص ١٠٧).

وأما معرفة موقف المعتزلة من الصفات وموقف ابن رشد من الكون وابن سينا في النفس وخلودها وموقف الأشعري من الكسب والقضاء والقدر... فهو من باب قول أبي فراس الحمداني:

عرفت الشر لا للشـ \_\_\_\_\_ ر لـ كن لتوقيه

فمن لم يعرف الشر \_\_\_\_\_ من الناس يقع فيه

وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» الحديث<sup>(١)</sup>

وقول راشد: (لا علاقة له بمشكلتنا):

بل هو المشكل الرئيسي الذي سبب الذل والمهانة للأمة فلا بد من الرجوع إلى العقيدة الصافية وتعليم الناس التوحيد ونهي الناس عن الشرك وإقامة دين الله عز وجل حتى تقام لنا دنيا وتسلم لنا الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٠٦) ومسلم برقم (١٨٤٧).

## الفصل الرابع: تمجيد راشد لمذهب المعتزلة وثنائؤه على رؤوس الضلال: معبد

### الجهني، غيلان الدمشقي، وواصل بن عطاء الغزال

يقول راشد: الموقف الثاني: الاعتزال، كانت بدايات الاعتزال مع معبد الجهني ومع غيلان الدمشقي الذين كان حماسهما شديداً لحرية الإرادة الإنسانية ولشرعية التكليف والثواب والعقاب تبعاً لذلك. وكانت الخلفية السياسية واضحة وراء هذه الدعوة، إذ عدها بنو أمية الذين تبنا مبدأ الجبر تدعيماً لسلطانهم دعوة للثورة ضدهم فقبض على الرجلين وعُذبا عذاباً شديداً حتى استشهدا! أما المؤسس الحقيقي لمدرسة الاعتزال فهو واصل بن عطاء. ويسمى المعتزلة كذلك بأرباب الكلام، وأهل العدل والتوحيد، ودعاهم خصومهم بالقدرية لإيقاعهم تحت طائفة حديث رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة»<sup>(١)</sup> على اعتبار أنهم يقولون بخالقين: الله خالق للإنسان والإنسان خالق لأفعاله فأشبهوا بذلك القائلين بالاثنيانية من المجوس، أما هم فيرفضون هذه التسمية ويردونها على خصومهم. وتؤكد المعتزلة على الترابط الضروري في الكون وفي النفس والمجتمع بين الأسباب والمسببات فالأسباب مقتضية لتتائجها بما تملكه من خصائص التأثير الذاتي (الطباع) وبذلك كانت المعتزلة رائدة للتفكير العلمي عند المسلمين بما أكدته من أهمية العقل وبما

---

(١) الحديث جاء عن جمع من الصحابة: ابن عمر وأبي هريرة وجابر وأنس وعائشة وابن عباس وحذيفة وسهل ابن سعد، وجميع الطرق لا تخلو من مقال. قال الإمام ابن القيم: وأكثر ما يجيء في ذمهم فإنما هو موقف على الصحابة من قولهم. اهـ

انظر «العلل» للدارقطني (١٠٢/١٣) و«العلل المتناهية» (١/١٤٠ فما بعد) و«تهذيب السنن» (٦١/٧). وشبههم بالمجوس لأنهم يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره كما يعتقد المجوس في الأصلين النور والظلمة وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة.

أعطته من ثقل للواقع الموضوعي، ففي الأشياء والأفعال - عندها - صفات خاصة تجعلها حسنة أو قبيحة، وإن هذه الصفات الخاصة يمكن للعقل أن يدركها كما يمكن له أن يدرك الحكمة من خلق كل شيء ومن كل أمر ونهي (العلة الغائية) ذلك أن الله سبحانه حكيم فلا يفعل إلى الأصلح. اهـ<sup>(١)</sup>

ويقول أيضًا: وما كان للبشرية أن تتردى في هذه الفوضى القيمة وأن تحدث بها الكوارث والأخطار لو أتيح لمنهاج فكري إسلامي كمنهاج ابن تيمية أن يجد التربية الصالحة والمناخ الملائم للنمو في بيئة مؤمنة حقًا. لكن ليلاً من ظلمات التصوف الإشراقي والتجريد الهليني زحفت جحافل على أنوار الإيمان المحمدي وتداولت على حضارة الإسلام في صيغ مختلفة الأشكال متحدة الجوهر من الجهمية والأشعرية والمشائية وفلسفات وحدة الوجود والحلول فوجدت مرتعاً خصباً في سدول ليلها الداكنة، في سياسات التجزئة، والقهر، والإستغلال، وتغيب الجماهير عن ميادين الفاعلية الحضارية، فيسرت أسباب نموها وإعادة إنتاجها وتجزيرها في أعماق النفس والمجتمع، فكادت أصوات رجال التجديد والإصلاح أمثال واصل! وابن حزم وابن رشد وابن تيمية، كادت - لولا الرجاء في رحمه الله تأتي ولو بعد حين - أن تذهب أدراج الرياح. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: وكان أفدح تلك العناصر الغريبة التي داخلت الثقافة الإسلامية فأصابتها بالجمود وعطلت فاعلية المسلم: الفلسفة الجبرية... التي نقلتها إلى المسلمين عناصر من

---

(١) «القدر عند ابن تيمية» (ص ٤٤-٤٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٩٦).

الموالي كجهم بن صفوان والجعد بن درهم. وجد فيها المسلمون الذين أعياهم الجهاد وهدتهم الفتن والمظالم في العصر الأموي خير مستظل يفيئون إليه ويستريحون (أن كل ما حدث ويحدث هو من إرادة الله وتقديره) وهي كلمة حق أريد بها باطل.. فتلقفها الحكام والمحكومون.. ليستخرج كل منها ما يحتاجه لتبرير موقفه.. ولولا أن قيض الله (واصلاً!) وصحبه يذنبون عن الدين جرائم الإنحطاط والجمود لكان الخطب أفدح!.. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

تعتبر المعتزلة من أوائل الفرق التي انشقت عن جماعة المسلمين بزعامة واصل بن عطاء الغزال الذي خالف قول الأمة في مسألة مرتكب الكبيرة واعتزل حلقة التابعي الجليل الحسن البصري (١١٠ هـ) رحمه الله تعالى، وتبعه على ذلك عمرو بن عبيد، وهذا أشهر الأقوال في سبب تسميتهم بالمعتزلة.

وذلك أنهم ذكروا أن رجلاً دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل

---

(١) «مقالات» (ص ٥٩-٦٠).

إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزلنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزلة.<sup>(١)</sup>

وأصول المعتزلة خمسة:

١ - التوحيد.

٢ - العدل.

٣ - الوعد والوعيد.

٤ - المنزلة بين المنزلتين.

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فَأَمَّا الْعَدْلُ، فَسَتَرُوا تَحْتَهُ نَفْيَ الْقَدَرِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ الشَّرَّ وَلَا يَقْضِي بِهِ، إِذْ لَوْ خَلَقَهُ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِ يَكُونُ ذَلِكَ جَوْرًا!! وَاللَّهُ تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَجُورُ. وَيَلْزَمُهُمْ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْفَاسِدِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُهُ، فَيُرِيدُ الشَّيْءَ وَلَا يَكُونُ، وَلَا زِمُهُ وَصْفُهُ بِالْعَجْزِ! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا التَّوْحِيدُ فَسَتَرُوا تَحْتَهُ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، إِذْ لَوْ كَانَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ لَزِمَ تَعَدُّ الْقَدَمَاءِ!! وَيَلْزَمُهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْفَاسِدِ أَنَّ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَسَائِرَ صِفَاتِهِ مَخْلُوقَةٌ، أَوْ التَّنَاقُضُ!. وَأَمَّا الْوَعِيدُ، فَقَالُوا: إِذَا أَوْعَدَ بَعْضُ عِبِيدِهِ وَعِيدًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ وَيُخْلِفَ وَعِيدَهُ، لِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَلَا يَعْفُو عَمَّنْ يَشَاءُ، وَلَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُرِيدُ، عِنْدَهُمْ!!.

---

(١) «الملل والنحل» (٤٨ / ١) و«الفرق بين الفرق» (ص ٩٨) و«مجموع الفتاوى» (٧ / ٤٨٤).

وَأَمَّا الْمُنْزِلَةُ بَيْنَ الْمُنْزِلَتَيْنِ، فَعِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ!!.

وَأَمَّا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، فَهُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: عَلَيْنَا أَنْ نَأْمُرَ غَيْرَنَا بِمَا أَمَرْنَا بِهِ، وَأَنْ نَنْزِمَهُ بِمَا يَنْزِمُنَا، وَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَضَمَّنُوهُ أَنَّهُ يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَى الْأَيْمَةِ بِالْقِتَالِ إِذَا جَازُوا!!<sup>(١)</sup>

فهذه أصول فرقة المعتزلة التي يعدها راشد (رائدة التفكير العلمي عند المسلمين!) وذلك من خلال (ما أكدته من أهمية العقل!).

قال الإمام ابن أبي العز: وَعِنْدَهُمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ وَالْعَدَلَ مِنَ الْأُصُولِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي لَا يُعْلَمُ صِحَّةُ السَّمْعِ إِلَّا بَعْدَهَا، وَإِذَا اسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَدْلَةٍ سَمْعِيَّةٍ، إِنَّمَا يَذْكُرُونَهَا لِلْإِعْتِضَادِ بِهَا، لَا لِلْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، فَهُمْ يَقُولُونَ: لَا تُثْبِتُ هَذِهِ بِالسَّمْعِ، بَلِ الْعِلْمُ بِهَا مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعِلْمِ بِصِحَّةِ النُّقْلِ! فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُهَا فِي الْأُصُولِ، إِذْ لَا فَايِدَةَ فِيهَا عِنْدَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُهَا لِيُبَيِّنَ مُوَافَقَةَ السَّمْعِ لِلْعَقْلِ، وَلِإِيْنَاسِ النَّاسِ بِهَا، لَا لِلْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا! وَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ فِيهِ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الشُّهُودِ الزَّائِدِينَ عَلَى النَّصَابِ! وَالْمَدَدِ اللَّاحِقِ بِعَسْكَرٍ مُسْتَعْنٍ عَنْهُمْ! وَبِمَنْزِلَةِ مَنْ يَتَّبِعُ هَوَاهُ وَاتَّفَقَ أَنَّ الشَّرْعَ مَا يَهْوَاهُ!! كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ إِذَا وَافَقَ هَوَاهُ، وَيُخَالِفُهُ إِذَا خَالَفَ هَوَاهُ، فَإِذَا أَنْتَ لَا تُثَابُ عَلَى مَا وَافَقَتْهُ مِنَ الْحَقِّ، وَتُعَاقَبُ عَلَى مَا تَرَكَتَهُ مِنْهُ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا اتَّبَعْتَ هَوَاكَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.<sup>(٢)</sup>

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص ٥٢١-٥٢٢).

(٢) المصدر السابق.

وأما مسألة التحسين والتقبيح العقلي الذي تعتقده المعتزلة فإنهم متفقون فيما بينهم على أن الحسن والقبح ثابتان للأفعال إما لذواتها أو لصفة من صفاتها أو بالنظر إلى الأمور الاعتبارية وأن العقل يدرك ذلك فيها فيرتب الثواب على حسنِها والعقاب على قبيحها من غير افتقار إلى الشرع! وهذا قول باطل مبناه على تقديم العقل على النقل. والحق الذي عليه أهل السنة أن العقل قد يدرك في الأشياء الحسن والقبح دون ترتيب ثواب وعقاب على ذلك وأن ذلك راجع إلى الشرع.<sup>(١)</sup>

وأما معبد الجهني وغيلان الدمشقي ممن يتباكى عليهم راشد وأنها استشهدا فهما رأسا ثالث فرقة حصلت في الإسلام، بدعة القدريّة نفاة القدر الذين يعتقدون أن الله سبحانه لم يقدر الأشياء في القدم ولم يتقدم علمه سبحانه بها. فقد أخرج الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رحمه الله تعالى في أول كتابه «الصحيح» عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال

---

(١) انظر لبطلان قول المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح العقلي «آراء المعتزلة الأصولية، دراسة وتقويمًا» للدكتور علي بن سعد الضويحي (ص ١٦٤ فما بعد).

حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت. الحديث ومعبد<sup>(١)</sup> هو ابن عمير وقيل: ابن عبد الله ابن عكيم الجهني، نزيل البصرة وأول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، ونهى الحسنُ الناس عن مجالسته وقال: ضال مضل.

وغيلان الدمشقي<sup>(٢)</sup> قال الذهبي: غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ضال مسكين. وقد أخرج الآجري في «الشرعة»: أخبرنا الفريابي قال: نا عبد الله بن عبد الجبار الحمصي قال: ثنا محمد بن حمير، عن محمد بن مهاجر، عن أخيه عمرو بن مهاجر قال: بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان يقول في القدر فبعث إليه فحجبه أياماً، ثم أدخله عليه، فقال غيلان: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه أن لا تقول شيئاً قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا

(١) انظر ترجمته في «الميزان» (٦/ ٤٦٥)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٨٥)، «تهذيب الكمال» (١٠/ ٢٢٥)، «تاريخ البخاري الكبير» (٧/ ٣٩٩)، «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣٠٤).  
(٢) انظر ترجمته في «الميزان» (٥/ ٤٠٨)، «المغني» (٢/ ٥٠٤)، «الضعفاء والمتروكين» (٢/ ٢٤٧)، «الجرح والتعديل» (٧/ ٥٤).

شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿١﴾ [الإنسان: ١-٣] قال : اقرأ آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠-٣١] ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول: قد كنت أعمى فبصر-تني، وأصم فأسمعتني، وضالاً فهديتني، فقال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقاً، وإلا فاصلبه، فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن عبد العزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان: هذا قضاء وقدر، فقال: كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدر، فبعث إليه هشام فصلبه. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال الآجري في «الشرعة» (٢/ ٩٢١): أخبرنا الفريابي قال: نا هشام بن خالد الأزرق قال: حدثنا أبو مسهر قال: حدثني عون بن حكيم قال: حدثني الوليد بن سليمان مولى ابن أبي السائب أن رجاء بن حيوة كتب إلى هشام بن عبد الملك: بلغني يا أمير المؤمنين أنه وقع في نفسك شيء من قبل غيلان وصالح، فوالله لقتلها أفضل من ألفين من الروم والترك. قال هشام: صالح مولى ثقيف.<sup>(٢)</sup>

(١) إسناده حسن، عبد الله بن عبد الجبار الخبائري حسن الحديث.

رواه الآجري في «الشرعة» (٢/ ٩١٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٣٣٩)، واللائلكائي (٤/ ٧١٣-٧١٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٢٩).

(٢) فيه عون بن حكيم لم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وهو من أصحاب الأوزاعي، وهشام بن خالد حسن الحديث وبقيته رجاله ثقات.

قال الإمام الأجرى رحمه الله تعالى بعد سوق جملة من الآثار في القدرية وأصحابها: كان غيلان مصرا على الكفر بقوله في القدر، فإذا حضر عند عمر رحمه الله نافق، وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله تعالى آية للمؤمنين، إن كان كذاباً، فأجاب الله عز وجل فيه دعوة عمر، فتكلم غيلان في وقت هشام هو وصالح مولى ثقيف، فقتلها وصلبها، وقبل ذلك قطع يد غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه، فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما<sup>(١)</sup>، فهكذا ينبغي لأئمة المسلمين وأمرائهم إذا صح عندهم أن إنسانا يتكلم في القدر بخلاف ما عليه من تقدم أن يعاقبه بمثل هذه العقوبة، ولا تأخذهم في الله لومة لائم. اهـ<sup>(٢)</sup>

وأما واصل بن عطاء الذي وصفه راشد بأنه من رجال التجديد والإصلاح! وأن الله قيضه يذب عن الدين جرائيم الانحطاط والجمود! فهو واصل بن عطاء<sup>(٣)</sup> أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري الغزال، وقيل: ولاؤه لبني ضبة. وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال اعتزلا حلقة الحسن البصري لما قالوا: الفاسق لا مؤمن ولا كافر فسموا المعتزلة.

=

وهو في «الإبانة» لابن بطة (٣٤٣/٢)، و«شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٧١٧/٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٣٥٤/١٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١٧٠/٣)، و«أبو نعيم في حلية الأولياء» (١٧١/٥).

(١) فانظر - رعاك الله - الفرق بين النظرة السلفية والنظرة الحركية السياسية!!.

(٢) «الشرعية» (٩٢٩-٩٣٠).

(٣) انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» (١١٨/٧)، و«تهذيب الكمال» (١٤٥٨/٣)، و«تاريخ البخاري الكبير» (١٧١/٨)، و«تهذيب التهذيب» (١٠٤/١١)، و«سير أعلام النبلاء» (٤٦٤/٥).

قال الذهبي في ترجمة واصل بن عطاء من «الميزان»: وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل، ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم! اهـ.

وأما قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد<sup>(١)</sup>: فهو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري المعتزلي القدري.

قال حماد بن زيد: ما كان عندنا عمرو بن عبيد إلا عُرَّة.<sup>(٢)</sup>

وعن عاصم الأحول قال: جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه، فقلت: لا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض، فقال: يا أحول أو لا تدري أن الرجل إذا ابتدع فينبغي أن يذكر حتى يُحذر، فجئت مغتماً فقامت فرأيت عمرو بن عبيد يحك آية من المصحف فقلت له: سبحان الله، قال: إني سأعيدها، فقلت: أعدها، قال: لا أستطيع.

وعن حماد بن زيد قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف فلم يردوا عليه السلام.

وعن نعيم بن حماد قال: سمعت معاذ بن معاذ يصيح في مسجد البصرة يقول ليحيى القطان: أما تتقي الله! تروي عن عمرو بن عبيد! قد سمعته يقول: لو كانت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة!.

---

(١) ترجمته في «ميزان الإعتدل» (٣٢٩/٥)، و«تهذيب الكمال» (١٠٤١/٢)، و«تهذيب التهذيب» (٧٠/٨)، و«تاريخ البخاري الكبير» (٣٥٢/٦)، و«الجرح والتعديل» (١٣٦٥/٦)، و«البداية والنهاية» (٧٨/١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠٤/٦).

(٢) العُرَّة: العذرة، ومنه قول الناس (إنما أنت عُرَّة). «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣١٠/٢).

وعن حماد بن زيد قال: قلت لأيوب: إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه! فقال: كذب عمرو.

وعن يزيد بن زريع، حدثنا أبو عوانة غير مرة قال: شهدت عمرو بن عبيد أتاه واصل الغزال أبو حذيفة، فقال - وكان خطيب القوم - يعني المعتزلة. فقال له عمرو: تكلم يا أبا حذيفة، فخطب وأبلغ قال: ثم سكت. فقال عمرو: ترون لو أن ملكاً من الملائكة أو نبياً من الأنبياء يزيد على هذا!.

وعن عبيد الله بن معاذ عن أبيه أنه سمع عمرو بن عبيد يقول - وذكر حديث الصادق المصدوق<sup>(١)</sup> -، فقال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتة! ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته! ولو سمعته من ابن مسعود يقوله ما قبلته! ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته!! ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا!!.

فهؤلاء هم أئمة الضلال الذين يتحسر عليهم راشد ويتقطع قلبه من أجلهم كمدًا. لكن كما قال عليه الصلاة والسلام: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ

---

(١) وهو حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». رواه البخاري برقم (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤) ومسلم برقم (٢٦٤٣) واللفظ له.

مِنْهُ قَالَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ  
الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥١٢)، ومسلم برقم (٩٥٠) من حديث أبي قتادة بن ربعي رضي الله عنه.

## الفصل الخامس: حزب النهضة حركة صوفية بشهادة مؤسسه الغنوشي

قال راشد: لا شك أنه وقع تبادل تأثير، فجماعة السلفية طامنوا من سلفيتهم مثلي أنا! بمعاشرة الشيخ عبد الفتاح ولا شك فقد أصبح قدر من التصوف مقبول في الحركة، مثلاً القصائد الصوفية... فالشيخ عبد الفتاح حافظ على قصائده وكانت تمثل لونا من ألوان الثقيف في الحركة في مناسباتها، في الأفراح وفي المخيمات. كانت هذه المادة الصوفية مادة مقبولة. وأيضا الشيخ عبد الفتاح لم يكن عنده تصوف غالٍ، كان تصوفه تصوفاً سنياً! وكان من قبل مطلعاً على كتابات سيد قطب وجملة من الكتابات الإسلامية الحديثة. فكانت هناك لغة مشتركة يومئذٍ كان بعض الشباب الآخرين ينتمون للصوفية، لا مجال لذكرهم الآن لأنهم لم يحاكموا كانوا ينتمون للصوفية وابتعدوا عنها من دون تعسف ودون أن يصبحوا خصوصاً للصوفية. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: ففي نهاية السبعينات بدأت عملية مصالحة مع الحركة الصوفية وعدد من الصوفيين إما أنهم دخلوا الحركة أو تركوا مناكفتها وأصبحوا أصدقاء لها مثلاً ذكرت من الصوفيين الأول الشيخ عبد الفتاح ومجموعة أخرى من الشبان ولكن توالى عملية استقطاب الحركة لعناصر الصوفية ومن العناصر الصوفية الفاعلة المهمة جداً أحمد الأبيض ومحمد بن سالم كانا أيضاً في الطريقة المدنية، فالرحلة من التدين التقليدي سواء كان تدين جامع الزيتونة المشائخ أو التدين الصوفي، الرحلة لم تنقطع. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٥٠).

وقال أيضًا: لم يكن الأتراك فقط يصلون، كان المسجد كبيراً<sup>(١)</sup> وكانت لنا فسحة لنقيم الندوات ونحيي المناسبات كالمولد وسائر المناسبات. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: وأحسب إذن أن هذه الموجة السلفية العابرة هي موجة مباركة وما فيها من أشواك ليس إلا انعكاسًا لعنف السلطة وأنه مع مرور الزمن وانفتاح الوضع السياسي في البلاد أن المجتمع التونسي سيستعيد أبنائه كما استعاد موجة الصحوة الأولى لأن المجتمع التونسي ليس قابلاً لأي صورة من صور التدين والمجتمعات المغاربية عمومًا مرت عليها كل الصنوف ولكن استقرت على نمط معين من التدين الذي يلتقي فيه المذهب المالكي مع العقائد الأشعرية مع التربية الصوفية، وهذا الذي عبر عنه ابن عاشور<sup>(٣)</sup> في منظومته المعروفة وهي المعادلة التي تزوج بين عقيدة فيها قدر غير قليل من العقلانية مع الفكر المالكي والتربية والتزكية التي استقر عليها التدين المغاربي ستهضم كل صنوف التدين التي جاءت من الخارج وراهنّت على قلب هذه المعادلة.

فقال المحاور: هل هذا يعني أنكم ربما ستراهنون من أجل تقنين موجة التدين السلفية هذه على نداء لكم غير مباشر من قبل السلطة من أجل المصالحة؟

فقال: ... وبالتالي فإن هذا الكيان النهضوي هو الأقدر على الدفاع على هوية المجتمع التونسي والمحافظة على نمط تدينه الموروث وعلى تحقيق المعادلة التوافق بين الإسلام وبين منتجات الحداثة. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) كذا! والصواب (كبيرًا) خبر (كان).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٣).

(٣) تقدم التنبيه وأن الصواب (ابن عاشور).

(١) مقال بعنوان: «أشواك السلفية في تونس هي انعكاس لعنف السلطة» المصدر: موقع راشد الغنوشي.

النقد:

ومن خلال هذه النصوص يتبين موقف الحركة ومؤسسيها من التصوف وأن حزب النهضة حركة صوفية إضافة إلى الفكر الإخواني، فالمؤسس الثاني للحركة عبد الفتاح مورو صوفي والحركة تضم عددًا من دراويش الصوفية، والمؤسس الغنوشي عنده مادة من التصوف مقبولة ويقوم بإحياء الموالد والمناسبات الصوفية مع إلقاء القصائد الصوفية، بل سيراهن على تقنين التدين السلفي إلى التدين المغاربي الموروث الذي يجمع بين العقائد الأشعرية مع التربية الصوفية!!<sup>(١)</sup>.

وفيما يلي نبذة عن نشأة التصوف وبعض عقائدهم ونحرفاتهم:

#### • أصل التصوف واشتقاقه:

اختلف العلماء والصوفية أنفسهم في أصل اشتقاق التصوف على أقوال كثيرة جدًا<sup>(١)</sup> وأقرب هذه الأقوال قول من قال: إن الصوفية نسبة إلى الصوف وذلك أنه مما لا شك فيه أنه لا يصح ولا يستقيم اشتقاقها من حيث اللغة إلا من الصوف، وهو اختيار الكثيرين من

---

(١) وآتى له ذلك، فإن دونه خراط القتاد، فالدعوة السلفية - لا التكفيرية ولا الحزبية - في تونس سائرة - بحمد الله - تشق طريقها إلى الأمام، تدخل القلوب بدون استئذان وتهدم معالم الشرك والوثنية وجميع العقائد الباطلة، تستعيد تراثها الحقيقي تراث أصحاب رسول الله ﷺ الفاتحين والعلماء الربانيين من بعدهم من أمثال الإمام ابن أبي زيد القيرواني وسحنون بن سعيد ... لا تحني جبينها ولا يصددها عن ذلك تطلع إلى منصب ولا درهم ولا دينار - إن شاء الله تعالى -.

(١) انظر «التصوف المنشأ والمصادر» للشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى (ص ٢٥-٤٣).

الصوفية وغيرهم كالطوسي وأبي طالب المكي والسهرووردي وأبي المفاخر يحيى باخرزي وابن الجوزي وابن تيمية وابن خلدون من المتقدمين.<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام: والنسبة في (الصوفية) إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد.<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف فقال إن قوما يتخيرون الصوف يقولون أنهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدى نبينا أحب إلينا وكان النبي يلبس القطن وغيره أو كلاما نحوا من هذا.<sup>(٣)</sup>

وقال ابن خلدون: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب.<sup>(١)</sup>

#### • تعريف التصوف:

---

(١) المصدر السابق (ص ٤١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٦٩).

(٣) المصدر السابق (١١ / ٦-٧).

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص ٣٩٢).

ولا يقل الاختلاف في تعريف التصوف عن الإختلاف في أصله واشتقاقه، حتى قال الحامدي: الأقوال الماثورة في التصوف قيل: إنها زهاء ألفين.<sup>(١)</sup>

قال العلامة إحسان إلهي ظهير بعد عرض بعض هذه الأقوال: فهذه هي تعريفات التصوف والصوفية لدى أعلام الصوفية وأقطابهم أنفسهم، ونقلناها من كتبهم، تضاربت فيها أراء القوم، وتعارضت فيها أقوالهم، لا جمع بينهما ولا وفاق رغم ما ادعاه بعض المتأخرين، وحاولوا التوفيق ولكن دونه خرط القتاد، لأن كل تعريف مستقل عن التعريف الآخر، وحتى التعريفات العديدة التي صدرت عن شخص واحد تباعد بعضها عن بعض كل البعد وهذا التباعد ظاهر جليّ لكل من نظر فيها وقرأها قراءة تأمل وتدبر، وتحقيق وتعمق.

قلت: وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

#### • وقت ظهور التصوف:

وأما ظهور التصوف فإنه كان بعد القرون الثلاثة المفضلة، قال شيخ الإسلام: أما لفظ (الصوفية) فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك<sup>(١)</sup>. وبنحوه قال ابن الجوزي وابن خلدون.

#### • مراحل التصوف:

---

(١) «الإنسان والإسلام» لمحمد طاهر الحامدي نقلاً عن «التصوف المنشأ والمصدر».

(١) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٥).

والتصوف مر بمراحل يبينها ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» بقوله: كانت النسبة في زمن رسول الله إلى الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها. إلى أن قال: وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوها المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلّة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيان فيه فكأنهم تخailوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلل ومنهم من قال بالاتحاد وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا. اهـ

• مصادر التصوف:

وقد بين الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه «التصوف المنشأ والمصدر» (ص ٦٠ فما بعد) نقلًا عن المتصوفة أنفسهم أن الصوفية مستقاة من الرهبة النصرانية والفلسفة اليونانية والبوذية والتشيع المأخوذ من اليهودية، ولولا خشية الإطالة لنقلت بعض الأقوال التي تبين ذلك وفي الرجوع إلى المصدر المذكور غنية إن شاء الله تعالى. وفيما يلي بيان لبعض عقائد المتصوفة التي تبين انغماسهم في دركات الضلال:

١ - قولهم بعقيدة الحلول والاتحاد وأن الله عز وجل يحل أو يتحد بال مخلوقات، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا:

يقول ابن عربي: والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كله إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك. <sup>(١)</sup>

ويقول أيضًا: فما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله، وسبحاني كأبي يزيد البسطامي. <sup>(٢)</sup>

ويقول:

الرب عبد والعبد حق      ياليت شعري من المكلف  
إن قلت عبد فذاك حق      أو قلت رب أنى يكلف

---

(١) «فصوص الحكم» (ص ١٦٥).

(٢) «الفتوحات المكية» (١/ ٣٥٤).

ويقول ابن الفارض<sup>(١)</sup>:

وما كان لي صلى سواي، ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة<sup>(٢)</sup>

ويقول شاعرهم بهاء الدين البيطار:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة<sup>(٣)</sup>

٢- تفضيل الولي على النبي:

ولهذا نُقلت عنهم مثل هذه العبارات (معاشر الأنبياء، أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه) و(خضنا بحورًا وقفنا الأنبياء بسواحلها).

وقال أبو يزيد البسطامي: تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين!!<sup>(١)</sup>

---

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى في رسالته التي أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم في بلدة العيننة: وأما الاتحادي ابن عربي صاحب الفصوص المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلاً، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين؛ فإن ابن عربي وابن الفارض ينتحلان نحلاً تكفراً، وقد كفرهم كثير من العلماء العاملين. فهؤلاء يقولون كلاماً أخشى المقت من الله في ذكره، فضلاً عما انتحله. اهـ «مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (٣/ ١٠٨) الرسائل الشخصية. الرسالة الثامنة والعشرون.

(٢) «تائية ابن الفارض» البيت رقم (١٥٤) وتائيته كما قال شيخ الإسلام: لحم خنزير في طبق صيني!.

(٣) «صوفيات» (ص ٢٧).

(١) «لطائف المنن والأخلاق» للشعراني (١/ ١٢٥).

٣- عصمة الأولياء:

يقول عبد القاهر السهروردي: الشيخ للمريدين أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا لا يتكلم بهوى النفس. (١)

٤- بدعة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن:

ولهذا يقولون: العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر وباطن، وباطن الباطن. فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن. (٢)

٥- أكذوبة العلم اللدني:

ولهذا يقول ابن عربي الطائي: حدثني قلبي عن ربي، أو حدثني ربي عن قلبي، أو حدثني ربي عن نفسي بارتفاع الوسائط. (١)

٦- الصد عن طلب العلم الشرعي (علم الكتاب والسنة) وادعاء علم الكشف:

يقول ابن عربي: علماء الرسوم يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم. (٢)

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي (ص ٤٠٤).

(٢) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة (ص ٣٣٣).

(١) «لطائف المنن والأخلاق» للشعراني (١/ ١٤٥).

(٢) «رسائل ابن عربي» (ص ٤).

وقال الشعراني: وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين فهو صحيح عند أهل الكشف.<sup>(١)</sup>

ويذكر ابن الجوزي: أن شيخاً صوفياً رأى مريداً ويده محبرة، فقال له: أخفِ سواك.<sup>(٢)</sup>

٧- رفع التكاليف عن أوليائهم:

وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم.<sup>(٣)</sup>

٨- الغلو في رسول الله ﷺ:

يقول البوصيري<sup>(١)</sup>:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم  
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: قال ابن رجب وغيره: إنه لم يترك الله شيئاً ما دامت  
الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ. ونشهد أن من يقول هذا؛ ما شهد أن محمداً عبداً لله،

---

(١) «الميزان» (١/ ٢٣).

(٢) «تلبیس إبليس».

(٣) «مقالات الإسلاميين» (ص ٢٨٩).

(١) شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري (٦٠٨هـ - ٦٩٦هـ) نسبة إلى بوصير من قرى بني سويف بمصر أمه منها، وأصله من المغرب، صوفي هالك شاعر أغلب شعره في مدح النبي ﷺ والغلو فيه على الطريقة الصوفية، من أشهر قصائده البردة والهمزية والرائية. ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٣٩).

بل شهد أن محمداً فوق الله! كيف يصل بهم الغلو إلى هذا الحد؟! وهذا الغلو فوق غلو  
النصارى الذين قالوا: إن المسيح ابن الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة.<sup>(١)</sup>

وقال البوصيري أيضاً:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا إلى العدم

والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٩ - اعتقاد الصوفية شرعية دعاء غير الله عز وجل وعبادتهم للقبور:

ولهذا يقول البصري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا قل يا زلة القدم

١٠ - تقديس الشيوخ:

يقول ابن عربي:

ما حُرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم بها أدباً لله بالله

هم الأدلاء والقربى تؤيدهم على الدلالة تأييداً على الله

كالأنبياء تراهم في محارهم لا يسألون من الله سوى الله

فإن بدا منهم حال تولهم عن الشريعة فاتركهم مع الله

---

(١) «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (١ / ٨١).

ويقول محمد أمين الكردي: ومنها أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً! ولا يقول: لم فعل كذا؟ لأن من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح أبداً! فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن!!<sup>(١)</sup>

١١ - كثرة ادعاء الكرامات المزعومة والخرافات الكاذبة:

يقول الشعراني في «طبقاته»: ومنهم الشيخ إبراهيم العريان كان يطلع المنبر ويخطبهم عرياناً فيقول: السلطان، ودمياط، وباب اللوق، بين الصورين، وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس بسط عظيم.<sup>(٢)</sup>

وذكر الشعراني من كرامات سيده علي وحيش: كان الشيخ رضي الله عنه! يقيم عندنا في خان بنت الخطا<sup>(١)</sup> وكان كل من خرج - من الزناة - يقول له: قف حتى أشفع فيك قبل أن تخرج، فيشفع فيه. وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمار ويقول له: امسك لي رأسها حتى أفعل فيها!! فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي - خطوة وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه.<sup>(٢)</sup>

هكذا تكون (الكرامات!) عند هؤلاء الدجاجلة.

١٢ - إدعاء الزهد والعكوف في الزوايا:

---

(١) «تنوير القلوب» (ص ٥٢٨).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٢٩).

(١) يعني في مواخير البغاة! والعياذ بالله.

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٣١).

يقول ابن الجوزي: أما بناء الأربطة<sup>(١)</sup> فإن قوما من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنیان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: أنهم جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها.

والثالث: أنهم أفاتوا<sup>(٢)</sup> أنفسهم نقل الخطأ إلى المساجد.

والرابع: أنهم تشبهوا بالنصارى بإنفرادهم بالأديرة<sup>(٣)</sup>.

والخامس: أنهم تعذبوا<sup>(١)</sup> وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: أنهم جعلوا لأنفسهم علما ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة<sup>(٢)</sup> ومناخا للبطالة وأعلاما لإظهار الزهد وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة وقد لبس عليهم

---

(١) وهي ما تسمى الآن بـ (الزوايا).

(٢) فاته الأمر فواتاً وفواتاً: ذهب عنه.

(٣) الدير للنصارى خاصة يبنونه للرهبان خارج البلد يجتمعون فيه للرهبانية والتفرد عن الناس «أحكام أهل الذمة».

(١) كذا في المطبوع ولعل الصواب (تعزبوا).

(٢) الكوبة: النرد أو الشطرنج، وقيل: الطبل الصغير.

إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع. فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء البارد فأين جوع بشر؟! وأين ورع سري؟! وأين جد الجنيد؟! اهـ<sup>(١)</sup>

١٣ - إلتزامهم بالأوراد والأذكار المبتدعة: كتكرار لفظ الجلالة (الله، الله، الله) و(هو، هو، هو) وهو ذكر مبتدع ليس فيه النفي ولا الإثبات الواردين في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله). وغير ذلك من العقائد والأعمال الباطلة عند المتصوفة، هذه نبذة يسيرة منها تجدها وغيرها من ضلالات الصوفية في الكتب المؤلفة في نقد (التصوف).

#### • وهنا وقفة مع دور الصوفية الكبير في احتلال بلدان المسلمين:

مع ما أورثه التصوف بالمسلمين من ضعف وذل بسبب نشر الشوكيات والخرافات والجهل فإنه ساهم بقسط كبير في تثبيت الإحتلال في بلدان المسلمين.

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله تعالى: ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة!، ولقد علمت ما دين الصوفية؟! فما نشروا إلا أساطير حمقاء، وخرافات بلهاء، وبدعاً بلقاء شوهاء، ما نشروا إلا وثنية تؤله الحجر، وتعبد الرمم! ما نشروا دينهم إلا في حماية الغاصب المستعمر، فعدو الإسلام، يوقن تماماً أن البدع، هي الوسيلة التي تصل إلى الهدف دائماً، لكي يقضوا بها على الإسلام وأهله، فعلها قديماً، ويفعلها حديثاً. واقروا تاريخكم إن كنتم تمترون، أروني صوفياً واحداً قاتل في سبيل الله؟! أروني صوفياً واحداً جالد الاستعمار، أو كافحه، أو دعا إلى ذلك إن كل من نسب إليهم مكافحة المستعمر - وهم قلة - لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم، فلم يطعمهم السحت

---

(١) «تلبس إبليس» (ص ١٩٦).

من يديه، ولم يبح لهم جمع الفتات من تحت قدميه، وإلا وحين قهرت فيهم عزة الوطنية، ذل الصوفية، فقاتلوا حمية، لا لدين ثم اقرؤوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه: المسألة الشرقية: (ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسة للقيروان، أن رجلاً فرنسائياً دخل في الإسلام، وسمى نفسه: سيد أحمد الهادي، واجتهد في تحصيل الشريعة، حتى وصل إلى درجة عالية، وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد، يعتقدون فيه، فدخل (سيد أحمد) الضريح، ثم خرج مهولاً لهم بما سينا لهم من المصائب، وقال لهم: بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم؛ لأن وقوع البلاد صار بحثاً، فاتبع القوم البسطاء قوله، ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع، بل دخلها الفرنسيون آمنين<sup>(١)</sup> وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري، اجتمع زعماء الصوفية! أتدري لماذا؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء.<sup>(٢)</sup> (من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين، يغدقون على الصوفية الجاه والمال، فرب مفوض سام، لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر، ويقضي هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات. أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟)<sup>(٣)</sup>. انتهى كلام الشيخ عبد الرحمن الوكيل.

---

(١) «السألة الشرقية» (ص ٢١٢) لمصطفى كامل نقلاً عن «التصوف في الإسلام» للدكتور عمر فروخ (ص ١١).

(١) «الطبقات» للشعراني. ط. صبيح (١ / ١١).

(٢) ما بين القوسين من كلام الدكتور فروخ في كتابه «التصوف في الإسلام».

(٣) «هذه هي الصوفية» (ص ٢١٥-٢١٧).

وقال الشيخ عبد الرحمن أيضًا: سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢هـ والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً، ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه، لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عاماً إذ مات سنة (٥٠٥ هـ) فما ذرف دمعة واحدة، ولا استنفض همة مسلم؛ ليزود عن الكعبة الأولى، بينما سواه من الشعراء يقول:

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب  
وكم من مسجد، جعلوه ديراً على محرابه نصب الصليب  
دم الخنزير فيه لهم خلوف وتحريق المصاحف فيه طيب  
أهز هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي؟ كلا. إذ كان عاكفاً على كتبه يقرر فيها أن الجهادات تخاطب الأولياء!! ويتحدث عن الصحو والمحو. دون أن يقاتل أو يدعو حتى غيره إلى قتال!! وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية، فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال. أو دعا إلى قتال، أو سجل في شعره أو نشره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين، لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور!!<sup>(١)</sup>

ولقد لعبت الطريقة التيجانية دوراً كبيراً في ترسيخ أقدام فرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الإفريقية ففي سنة (١٧٨٠م) استطاعت امرأة فرنسية تسمى (أوريلي بيكار) أن تحترق الزاوية التيجانية وتتزوج من شيخها سيد أحمد، ولما هلك تزوجت أخاه سيدي علي

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١٦).

فأصبحت هذه المرأة مقدسة عند التيجانيين وأطلقوا عليها لقب (زوجة السيدين) وكانوا يقيمون بالتراب الذي تطؤه وقد استطاعت إدارة الزاوية التيجانية كما تحب فرنسا وكسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة ولذلك نعمت عليها فرنسا بوسام الشرف!.

وساعد التيجانيون الجيوش الفرنسية حتى أن الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة قال في خطاب أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة (عين ماضي) المركز الرئيسي- للطريقة التيجانية بتاريخ (٢٨ ذي الحجة ١٣٥٠هـ): إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً ومعنوياً وسياسياً، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والإفتخار ولكن على سبيل الإحتساب والشرف والقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا.<sup>(١)</sup>

يقول الرئيس فيلب فونداس المستعمر الفرنسي: لقد اضطر حكامنا الإداريون في إفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية.<sup>(٢)</sup>

فانظر - وفقك الله - مدى خطورة انتشار مثل هذه الفرق في بلدان المسلمين تنشر بينهم الجهل والبدع والشركيات وتقتل فيهم روح الإسلام وتميت بينهم السنن. وينطبق على هؤلاء المتصوفة سواء كان في حزب النهضة أو خارجه ما ذكره الشاعر أحمد شوقي في شعره:

---

(١) «مخازي الولي الشيطاني» (ص ١٢-١٣).

(٢) ذكره صاحب كتاب «مظاهر الإنحرافات العقيدية عند الصوفية» (٢/ ٩٨٠).

برز الثعلبُ يوماً	في شـعار الواعظينـا
فمشى في الأرضِ يهـذي	ويسبُّ الماكرينـا
ويقولُ: الحمدُ للـ	إلهِ العالمينـا
يا عباد الله، توبُّوا	فهو (كهفُ) <sup>(١)</sup> التائبينـا
وازهّدوا في الطَّير، إنَّ الـ	عيشَ عيشُ الزاهدينـا
واطلبوا اللّـديك يؤذَنُ	لصلاة الصُّبحِ فينـا
فأتى اللـديك رسـولُ	من إمام الناسـكينا
عرَضَ الأُمَرَ عليـه	وهو يرجو أن يلينـا
فأجاب اللـديك: عذراً	يا أضلَّ المهتدينـا!
بلَّغ الثعلبُ عنـي	عن جدودي الصالحينـا
عن ذوي التَّيجان ممـن	دخل البطن اللعينـا
أنهم قالوا وخيرُ الـ	قول قول العارفينـا:
«مخطيٌّ من ظنَّ يوماً	أنَّ للثعلبِ دينـا»

(١) إطلاق هذا اللفظ على الله عز وجل خطأ فاحش قبيح.

وأما ما يزعمه الغنوشي من أن (الشيخ عبد الفتاح لم يكن عنده تصوف غالٍ كان تصوفه تصوفاً سنياً) فهو الجهل والتلبيس، فمتى كان التصوف ينتمي إلى السنة؟! فإن التصوف والسنة لا يجتمعان كما لا يجتمع الشمس والقمر ولا الليل والنهار، بدليل أن السنة ممدوحة والتصوف قد ذممه، ومن اعتقد ما تقدم من عقائد الصوفية الباطلة لا يكون سنياً بحال، ومن حافظ على قصائده وأوراده التي هي مليئة بالغلو والشركيات كقصائد البوصيري وغيره فإن السنة بريئة منه.

وقول الغنوشي: (أن الشيخ عبد الفتاح كان من قبل مطلعاً على كتابات سيد قطب وجملة من الكتابات الإسلامية الحديثة): وهذا أيضاً لم يزد به وزداً إلا انغمساً في دركات الضلال فإن سيد قطب ليس من أهل السنة ولا من أهل العلم الذين يؤخذ عنهم وقد عاش حقبة من الزمن يتلمذ على عباس محمود العقاد ثم طه حسين وعضواً في حزب الوفد العلماني مدة خمسة عشر عاماً، وفي أمريكا كان عضواً في عددٍ من النوادي الكنيسية وعاكفاً على دراسة الفلسفات الغربية كما ذكره عن نفسه وأصدقائه الذين ترجموا له وليس له أي صلة بكتب التوحيد والسنة وعلماء التوحيد والسنة ولهذا شدّد عن الأمة في تفسير (لا إله إلا الله) وأوّل الصفات، وقرر عقيدة المعتزلة في القول بخلق القرآن وعقيدة الخوارج وتكفير المجتمعات الإسلامية، وطعن في الأنبياء والصحابة... وغيرها من العقائد الباطلة.<sup>(١)</sup>

---

(١) انظر ما سطره علماء السنة والتوحيد في الرد على ضلالات سيد قطب مثل كتاب «المورد العذب الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال» للشيخ عبد الله الدويش رحمه الله تعالى. ومجموعة من المؤلفات للشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى وهي:

- أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره.

- مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ.

=

بل وقرر عقيدة غلاة المتصوفة من أمثال ابن عربي وابن سبعين والتلمساني وابن الفارض في القول بوحدة الوجود، يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]: وما يكاد يفوق من تصور هذه الحقيقة الضخمة التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى، لعلها أضخم وأقوى. حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة. فالكينونة الواحدة الحقيقية هي الله وحده سبحانه؛ ومن ثم فهي محيطة بكل شيء، عليمه بكل شيء فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في قلب، فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله سبحانه؟ وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود - حتى ذلك القلب ذاته - إلا ما يستمد من تلك الحقيقة الكبرى؟ وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء؟ وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة.

فأما قبل أن يصل الى هذا الاستقرار، فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد وكفى!

=

- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم.
- نظرات في كتاب «التصوير الفني في القرآن الكريم» لسيد قطب.
- الحد الفاصل بين الحق والباطل.
- نظرة سيد قطب إلى أصحاب رسول الله ﷺ.
- ينبوع الفتن والأحداث الذي ينبغي للأمة معرفته ثم ردمه.
- أطوار سيد قطب في وحدة الوجود.
- سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية.

ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى ، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال إنه يرى الله في كل شيء في الوجود. وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود. وبعضهم قال: إنه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود . . وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال. إلا أن ما يؤخذ عليها - على وجه الإجمال - هو أنهم أهملوا الحياة بهذا التصور<sup>(١)</sup>. والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها ، بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة من احتفال وعناية وجهاد وجهد لتحقيق منهج الله في الأرض، باعتبار هذا كله ثمرة لتصوير تلك الحقيقة تصوراً متزناً، متناسقاً مع فطرة الإنسان وفطرة الكون كما خلقهما الله.<sup>(٢)</sup>

ويقول سيد قطب أيضاً في تفسير سورة الإخلاص: إنها أحدية الوجود .. فليس هناك حقيقة إلا حقيقته. وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده. وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية.

وهي من ثم أحدية الفاعلية. فليس سواه فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، في هذا أصلاً. وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضاً. فإذا استقر هذا التفسير، ووضح هذا التصور، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة، ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية، خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا

---

(١) لا أنهم قالوا بوحدة الوجود؟! هذا فقط ما يؤخذ عليهم عند سيد إمامهم للحياة أما وحدة الوجود فهي حقيقة يدين بها ويدعو إليها!.

(٢) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٤٧٩-٣٤٨٠).

الوجود إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلاً! فلا حقيقة لوجود إلا ذلك الوجود الإلهي. ولا حقيقة لفاعلية الإرادة الإلهية. فعلام يتعلق القلب بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته!

وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة، ومن التعلق بغير هذه الحقيقة.. فعندئذ يتحرر من جميع القيود، وينطلق من كل الأوهام. يتحرر من الرغبة وهي أصل قيود كثيرة، ويتحرر من الرهبة وهي أصل قيود كثيرة. وفيه يرغب وهو لا يفقد شيئاً متى وجد الله؟ ومن ذا يرهب ولا وجود لفاعلية إلا الله؟

ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها - وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه. ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله. لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله كذلك سيصحبه نفي فاعلية الأسباب. ورد كل شيء وكل حدث وكل حركة إلى السبب الأول الذي منه صدرت، وبه تأثرت. وهذه هي الحقيقة التي عَنِ القرآن عناية كبيرة بتقريرها في التصور الإيماني. ومن ثم كان ينحي الأسباب الظاهرة دائماً ويصل الأمور مباشرة بمشيئة الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وغيرها كثير. وبتنحية الأسباب الظاهرة كلها، ورد الأمر إلى مشيئة الله وحدها، تنسكب في القلب الطمأنينة، ويعرف المتجه الوحيد الذي يطلب عنده ما يرغب، ويتقي عنده ما يرهب، ويسكن تجاه الفواعل والمؤثرات والأسباب الظاهرة التي لا حقيقة لها ولا وجود! <sup>(١)</sup>

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٤٠٠٢ - ٤٠٠٣).

وقال في قصيدته «إلى الشاطئ المجهول»<sup>(١)</sup>:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي	حننتُ لمرآه إلى الضفة الأخرى
إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى	معالم للأزمان والكون تُستقرى
إلى حيث ( لا حيث ) تميز حدوده!	إلى حيث تنسى الناس والكون والدَّهرا
وتشعر أنَّ (الجزء) و(الكل) واحد	وتمزج في الحس البداهة والفكرا
فليس هنا (أمس) وليس هنا (غد)	ولا (اليوم) فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا (غير) وليس هنا (أنا)	هنا الوحدة الكبرى <sup>(٢)</sup> التي احتجبت سرا

وقال أيضًا في قصيدة عنوانها «عبادة جديدة»<sup>(٣)</sup>:

وأرى الألوهة فيك تُـو	حي بالعبادة في جلال
ما أنت إلا مظهرٌ	منها تُوشَّيه بالعبادة في جلال
فإذا عَبَدْتُكَ لم أكن	يا حُسْنُ مَنْ أَهْل الضَّلال
بل كنتُ محمود العقيد	دَّة في الحقيقة والخيال
أعْـنـو لمن تعنُّو له	كلُّ النفوسِ بلا مثال

---

(١) «ديوان سيد قطب» (ص ١٢٣).

(٢) الوحدة الكبرى: هي وحدة الوجود.

(٣) المصدر السابق (ص ٩٣).

مُتَفَرِّقًا فِي الْكُـونِ فِي شَتَى الْمَرَائِي وَالْخِلَالِ<sup>(١)</sup>

فَإِذَا تَرَكَّزَهَا هُنَا بَطَلَ التَّمَحُّلُ وَالْجِدَالُ

فكل هذه النصوص تنضح بعقيدة المتصوفة في القول بوحدة الوجود، فكيف تطلب العقيدة السنية بعد هذا من عند سيد قطب؟! فإن فاقده شيء لا يعطيه.

وأما بالنسبة إلى احتفال الغنوشي بالمولد وإحيائه فإنه من البدع التي ابتلي بها كثير من المسلمين والنبي ﷺ يقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(٢)</sup> والاحتفال بالمولد النبوي قام المقتضي لفعله في زمن النبي ﷺ ولم يوجد مانع من فعله ومع ذلك تركه عليه الصلاة والسلام ولم يفعله مع أن الزمان زمان تشريع، فحيثئذ يكون الترك سنة والفعل بدعة. مع ما يشمل هذا الإحتفال بالمولد من البدع والمنكرات وترديد القصائد المليئة بالشرقيات.

---

(١) فسر الخلال بقوله: الخلال: منفرج ما بين الشيئين (جاسوا خلال الديار): ساروا وترددوا بينها،

والمراد منتشر في كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

## الفصل السادس: جماعة التبليغ متواجدون داخل حزب النهضة

يقول الغنوشي: في هذه المناخات تأسس عمل جماعي من نواة صغيرة تشكلت من عدد من الشبان معظمهم كانوا طلبة منهم الشيخ عبد الفتاح مورو، الأخ صالح بن عبد الله، الفاضل البلدي، والتحق بهذه المجموعة الأولى بعد سنة، في سنة سبعين (١٩٧٠م) تقريباً الأخ صالح كركر، هذه المجموعة كان نشاطها في المساجد دعوة على طريقة جماعة التبليغ وهي أول تجربة تعرفت عليها أنا شخصياً خلال دراستي في فرنسا إذ قد عدت من سوريا بثقافة إسلامية ولكنها غير مصحوبة بتجربة عملية في العمل الإسلامي. كانت أول تجربة حركية عملية مع جماعة التبليغ في باريس سنة (١٩٦٩م) فتعلمت منهم مخاطبة عامة الناس. كنا نذهب للمقاهي، إلى الحانات في الحقيقة محاولين استنقاذ العمال المغاربة الذين لم يكن لديهم أي توجيه إسلامي. إخوة التبليغ أرسوا نواة في باريس للعمل الإسلامي أدركتها أنا عندما التحقت بباريس سنة (١٩٦٩م) وكان لنا مسجد صغير في (بل فيل) وهناك كانت لي أول تجربة في العمل الإسلامي وفي مخاطبة عامة الناس وتحويل النظريات الثقافية إلى واقع حركي. بهذه التجربة عدت إلى تونس.<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: عندما عدت إلى تونس إذن، عدت بهذا المزيج الثقافي مضافاً إليه تجربة التبليغ. بدأنا مبلغين ولكن بمضمون ثقافي يتجاوز التبليغ إلى رؤية شمولية وواصلنا على هذا النهج لمدة ثلاث سنوات إلى أن تعرضت لنا السلطة سنة (١٩٧٣م). اهـ.<sup>(٢)</sup>

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢٤١).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٦).

وقال أيضًا: في هذا المناخ بدأت نواة صغيرة من الشبان ذوي تجربة محدودة يدعون إلى الله سبحانه وتعالى إنطلاقاً من بعض المساجد مثل جامع سيدي يوسف ويطوفون على القرى المجاورة لتونس وحتى البعيدة على طريقة جماعة التبليغ.<sup>(١)</sup>

النتقد:

هذه النصوص من الغنوشي تبين بياناً واضحاً مدى ارتباط الحركة بجماعة التبليغ فكراً وعملاً وأن عدداً من أعضاء الحركة ومنهم الغنوشي (المؤسس) ينتمون إلى (جماعة التبليغ). وهذه الفرقة (جماعة التبليغ) فرقة ضالة خارجة عن منهج أهل السنة والجماعة وأصحابها يبايعون على أربع طرق من الطرق الصوفية وهي: الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية. وعندهم من البدع والضلالات التي أدانهم أهل العلم بها كثير، وقد حذر منهم أهل العلم وبينوا عوارهم ومن أحسن ما كتب في ذلك كتاب «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى. وقد ترجم لجماعة التبليغ الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني في كلمة موجزة تدل على ما هم عليه من الانحراف والضلال فقال: جماعة التبليغ صوفية عصرية.

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٤٢).

## فتوى محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن جماعة التبليغ

سئل - رحمه الله تعالى - :

ما رأيكم في جماعة التبليغ: هل يجوز لطالب العلم أو غيره أن يخرج معهم بدعوى الدعوة إلى الله؟

فأجاب: جماعة التبليغ لا تقوم على منهج كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وما كان عليه سلفنا الصالح. وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا يجوز الخروج معهم؛ لأنه ينافي منهجنا في تبليغنا لمنهج السلف الصالح. ففي سبيل الدعوة إلى الله يخرج العالم، أما الذين يخرجون معهم فهؤلاء واجبهم أن يلزموا بلادهم وأن يتدارسوا العلم في مساجدهم، حتى يتخرج منهم علماء يقومون بدورهم في الدعوة إلى الله.

وما دام الأمر كذلك فعلى طالب العلم إذن أن يدعو هؤلاء في عقر دارهم، إلى تعلم الكتاب والسنة ودعوة الناس إليها. وهم - أي جماعة التبليغ - لا يعنون بالدعوة إلى الكتاب والسنة كمبدأ عام؛ بل إنهم يعتبرون هذه الدعوة مفرقة، ولذلك فهم أشبه ما يكونون بجماعة الإخوان المسلمين. فهم يقولون إن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنة، ولكون هذا مجرد كلام، فهم لا عقيدة تجمعهم، فهذا ماتريدي، وهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا لا مذهب له. ذلك لأن دعوتهم قائمة على مبدأ: كتّل جمع ثم ثقّف، والحقيقة أنه لا ثقافة عندهم، فقد مرّ عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم. وأما نحن فنقول: ثقّف ثم جمع، حتى يكون التجميع على أساس مبدأ لا خلاف فيه. فدعوة جماعة التبليغ صوفيّة عصريّة، تدعو إلى الأخلاق، أما إصلاح عقائد المجتمع؛ فهم لا يحركون ساكناً؛ لأن هذا - بزعمهم - يفرق. وقد جرت بين الأخ سعد الحصين وبين رئيس جماعة التبليغ في الهند أو في باكستان مراسلات، تبين منها أنهم يقرّون التوسل والاستغاثة وأشياء كثيرة من هذا القبيل، ويطلبون

من أفرادهم أن يبايعوا على أربع طرق، منها الطريقة النقشبندية، فكل تبليغي ينبغي أن يبايع على هذا الأساس. وقد يسأل سائل: أن هذه الجماعة عاد بسبب جهود أفرادها الكثير من الناس إلى الله، بل وربما أسلم على أيديهم أناس من غير المسلمين، أفليس هذا كافياً في جواز الخروج معهم والمشاركة فيما يدعون إليه؟ فنقول: إن هذه الكلمات نعرفها ونسمعها كثيراً ونعرفها من الصوفيّة !! فمثلاً يكون هناك شيخ عقيدته فاسدة ولا يعرف شيئاً من السنّة، بل ويأكل أموال الناس بالباطل...، ومع ذلك فكثير من الفساق يتوبون على يديه...! فكل جماعة تدعو إلى خير لابد أن يكون لهم تبع ولكن نحن ننظر إلى الصميم، إلى ماذا يدعون؟ هل يدعون إلى اتباع كتاب الله وحديث الرسول - عليه السلام - وعقيدة السلف الصالح، وعدم التعصب للمذاهب، واتباع السنّة حيثما كانت ومع من كانت؟! فجماعة التبليغ ليس لهم منهج علمي، وإنما منهجهم حسب المكان الذي يوجدون فيه، فهم يتلونون بكل لون. انظر الفتاوى الإماراتية للألباني (ص ٣٨) السؤال رقم (٧٣)

## الفصل السابع: الدليل على أن الغنوشي حاطب ليل

يقول الغنوشي: ذكرت في نص من النصوص أن الحركة الإسلامية التونسية هي تمازج بين مجموعة من الألوان الثقافية كانت الحركة الإسلامية وفاقاً بين مجموعة من الألوان الثقافية الإسلامية. اهـ<sup>(١)</sup>

ووجه إليه السؤال التالي:

السؤال الثالث: في كتاب أصدره (مركز دراسات الوحدة العربية) بعنوان: «الحركة الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي» ذكرت أن هناك ثلاثة عناصر أساسية مكونة للظاهرة الإسلامية:

أولاً العنصر الإخواني، ثانياً العنصر الأشعري المالكي الذي يمثل الموروث الفقهي المحلي، والعنصر الثالث هو التقليد العقلاني المعتزلي، كيف تعايشت هذه العناصر التي تبدو متباينة على الأقل في ظاهرها؟ وأي العناصر تعتبرونه أرجح في صياغة هذه الظاهرة؟

فأجاب: ليس عندي ميزان أستطيع أن أزن به!!<sup>(٢)</sup> والذي أكدت عليه أن الظاهرة هي تفاعل بين هذه المكونات. اهـ<sup>(٣)</sup>

|النقد:

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢٤٨).

(٢) ونُسِّي المسكين الميزان الحقيقي الذي توزن به جميع الفرق والجماعات، ألا وهو الكتاب والسنة!.

(٣) المصدر السابق (ص ٢٤٩).

من خلال ما تقدم من فصول وبيان منهج الحزب وما تضمنه من أفكار وجماعات، وهذه النصوص عن الغنوشي يتبين أن (زعيم الحركة الإسلامية بتونس!) حاطب ليل<sup>(١)</sup> وساحب ذيل، لا يبالي ما أورده، ولا يلتفت إلى ما أنشده، جامعاً بين السمين والغث، حافظاً للمتين والرث، مثله كما قيل: مُشَرَّد عن الوطن، مُبعد عن السكن، يبكي الطلول والدَّمن يهوى ولا يدري لمن!.

يريد أن يجمع بين الاعتزال، والفلسفة اليونانية، والعقيدة الأشعرية، والفكر الصوفي، ودعوة جماعة التبليغ، ومنهج الإخوان المسلمين مع الأفكار الغربية...! فاختار من المذاهب أرداها ومن العقائد أوهاها... وبدا الجهل عليه متبرجاً!.

وكما قال أبو الطيب المتنبي:

مَّمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوَوْا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا  
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنٌ

بل ربما تصدى للجمع بين هذه الأفكار المنحرفة وبين العقيدة السلفية<sup>(٢)</sup> الصافية النقية وأنى له ذلك ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

ومثله كما قال أبو الحسن التَّهامي الشاعر في عجز بيته:

\* مُتَطَلَّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةٌ نَارٍ \*

---

(١) وحاطب الليل لا يعرف ما يحتطبه فيجمع ما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه، ولعل فيها أفعى تلدغه.

(٢) والغنوشي عنده خلط في مفهوم (السلفية) سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى -.

فالغنوشي يريد أن يكسب جميع هذه الفرق ويضمها تحت مظلة (حزب النهضة) لا تهمه  
تصفيه ولا تربية وإنما على القاعدة البنائية<sup>(١)</sup> الإخوانية (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا  
بعضاً فيما اختلفنا فيه!)، وكما قال طرفة بن العبد في المثل المعروف:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ      خَلَالِكَ الْجَوَّ فَيُضِي وَاصْفِرِي  
وَنَقَّرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي      قَدْ رَحَلَ الصَّيَّادُ عَنْكَ، فَابْشِرِي  
وَرُفِعَ الْفَخُّ، فَمَاذَا تَحْذَرِي؟      لَا بَدَّ مِنْ صَيْدِكَ يَوْمًا فَاصْبِرِي

---

(١) نسبة إلى حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

## الباب الخامس:

- الفصل الأول: دعوة الغنوشي إلى حرية الاعتقاد.
- الفصل الثاني: الغنوشي يستدل بكفر إبليس على حرية الاعتقاد والتعبير.
- الفصل الثالث: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.
- الفصل الرابع: الإسلام عند راشد نوغان: إسلام بالعقيدة وإسلام بالحضارة.
- الفصل الخامس: الغنوشي: المنافقون مشكلتهم نفسية وليست فكرية!
- الفصل السادس: نتيجة حرية الاعتقاد: دعوة الغنوشي إلى التسامح مع الكافرين ولو كانوا محاربين.
- الفصل السابع: الغنوشي يجيز للكافرين إقامة المعابد في بلاد الإسلام ودعوة المسلمين إلى الكفر.
- الفصل الثامن: الغنوشي يجيز للأقلية الكافرة في بلاد المسلمين إقامة المحاكم التي تحكم بينهم بغير ما أنزل الله.
- الفصل التاسع: الغنوشي من دعاة التقريب بين الأديان.
- الفصل العاشر: الغنوشي يصرح بنزع الصفة الشرعية لعقود أهل الذمة ويعتبرها قوية تاريخية غير ملزمة للأمة.
- الفصل الحادي عشر: ذكر الشروط العمرية.
- الفصل الثاني عشر: الغنوشي يلغي حد الردة قرباناً لصنم (حرية الاعتقاد)
- الفصل الثالث عشر: الغنوشي يدعي حظر الرق.
- الفصل الرابع عشر: كسر طاغوت: نزع الصفة الشرعية وإضفاء الصفة التاريخية على الأحكام الإلهية.

## الفصل لأول: دعوة الغنوشي إلى حرية الاعتقاد

دعا راشد في مواضع متعددة من كتبه إلى حرية المعتقد، والرأي، والتسامح، والمجتمع المدني... أجمل بعض مواضعها هنا لكثرتها، وسأنقل بعضها - إن شاء الله تعالى - أثناء الرد:

في كتابه «من الفكر الإسلامي في تونس» ص (١٠٥ - ١٠٦)، (١٠٩)

وفي كتابه «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» ص (٦ - ٧)، (٩ - ١٠)، (٢٥ - ٢٦)

وفي كتابه «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» ص (١٦ - ١٧)، (٢٢)، (٢٥ - ٢٦)،

(٣٤ - ٣٧)، (٧٤ - ٧٦)، (٩٤ - ٩٥)، (١١٣)، (١٣٨ - ١٣٩)، (١٤٣)، (١٦٢ - ١٦٣)،

(١٨٠)

وفي كتابه «الحريات العامة في الدولة الإسلامي» ص (١٠)، (٣٦ - ٤٦)، (٥٦)، (١٠٤)،

(٣٢٥ - ٣٢٦)، (٣٣٢)، (٣٤٥)

تنبيه: هذه المواضع ليست على سبيل الحصر فإن غيرها كثير.

التفصيل:

يقول راشد: وعلى اعتبار أن الدولة الإسلامية تقوم على رسالة أممية كان عليها أن تعمل على نشر الإسلام عن طريق (البلاغ المبين) فإذا قامت في طريق الدعاة قوى طاغوتية تستبد بشعوبها وتحول بينها وبين ممارسة حرياتهم ومنها حرية المعتقد كان على دولة الإسلام أن تزح تلك الكيانات المستبدة ولو باستعمال القوة لا لغرض فرض الإسلام على تلك الشعوب! وإنما لتمكينها من فرصة التعرف على الإسلام فتقبله عن بينة أو ترفضه عن بينة بدون إكراه. فهنا يضاف إلى معنى الجهاد معنى آخر هو القتال من أجل كسر القوى المهيمنة

في العالم وتمكين الشعوب من حق تقرير مصيرها بما فيه الموقف العقائدي. لقد كانت حركة الجهاد بكل معانيه ثورة ضد الاستبداد والاستغلال ودفاعاً عن مبدأ عظيم لم يعترف به العالم إلا في هذا القرن هو مبدأ حرية المعتقد والدعوة إليه، ولقد عاشت في ظل الدولة الإسلامية شعوب شتى ومذاهب شتى لم تحمل على التكرار لعقائدها أو لغاتها. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: التحديات القائمة أمام الصحوة: أما عن هذه المعوقات أو التحديات فكثيرة ويمكن اعتبار الجهل بالإسلام أعظمها سواء بين المسلمين وفيهم قطاع حتى من أبناء الصحوة الإسلامية أو من بين غير المسلمين.

الجهل بالإسلام ودعك من التجاهل، هو الذي ما يزال يورط كثيراً من الطيبين، مسلمين أو غير مسلمين! في مواقف مناقضة لطبيعة الإسلام من مثل النظر إليه على أنه خطر على كل المعاني والقيم التي ناضلت البشرية من أجلها كالحريات الخاصة والعامة، حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير... ومن مثل اعتبار الإسلام خطراً على السلم وحوار الحضارات والشعوب وتعاونها بقطع النظر عن عقائدها ومنع العدوان مطلقاً، عدوان الأفراد والدول والشعوب... إن عملاً عظيماً لا يزال القيام به يمثل أعظم خدمة للإسلام هو الدخول بالإسلام إلى العصر! كما ذكر الداعية الكبير السيد فضل الله..، وتلك هي مهمة المفكرين. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ١٠٩).

(٢) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٦-٧).

وقال أيضًا: إن عملاً عظيمًا ينتظر فعله لرفع التسلط الصهيوني الرهيب على الضمير الغربي الذي يتجه مركبه بدفع من الأخطبوط الصهيوني نحو الإنهيار أسوة بما فعلوا بالمعسكر الشرقي مستغلين ثوراته. إن جوهر هذا العمل إنجاز مهمة فك الارتباط بين الأخطبوط الصهيوني والحضارة الغربية وهو المطلوب إنجازه من طرف مفكري الإسلام والأحرار من مفكري الغرب حتى يتم اللقاء التاريخي على ساحة العدالة وحريات الشعوب وتعاونها على الخير وتبادلها الحر للمنافع بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب وهما عند التحقيق أقرب الحضارات إلى بعضها! اللقاء بين رسالات السماء وتراث حركات التحرر في العالم!... رجاؤنا عظيم أن يتصدر صوت الحكمة لدى قادة الغرب فيعترفوا بالإسلام كما اعترف هو بكل الرسالات! اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: وإذا كان الأمر كذلك فحري أن نلفت نظر العاملين في الحركة الإسلامية التي اعتمدت سبل التغيير السلمي إلى النصائح الآتية التي تمخضت عنها تجربة الحركة الإسلامية... عاشرًا: أن تتجنب الجمود على التقليد الفكري والمذهبي وتبحث على الإجهاد الدائم والتطوير المتواصل لفقهها السياسي مستفيدة من تجارب كل الشعوب متخذة هدفها الأعظم إتاحة الفرصة والظروف المناسبة لأكبر قدر ممكن من عباد الله - والناس كلهم عباد الله - أن يعبدوه في حرية وأمن وسلام بعيدًا عن كل إكراه وقسر، فالحرية هي الطريق إلى الجنة. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) المصدر السابق (ص ٩-١٠).

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٤٤-٣٤٥).

النقد:

إن لمثل هذه الدعوة الصريحة إلى حرية الاعتقاد وأن للإنسان أن يعتنق أي دين شاء مفسدٌ عظيمة ومصادمة لأصول إسلامية ثابتة ثبوت رواسي الجبال منها:

أولاً: النصوص الصريحة والمتكاثرة في ذم المشركين عموماً وأهل الكتاب خصوصاً والحكم بكفرهم وإشراكهم وضلالهم والإخبار بعبادتهم غير الله سبحانه وتعالى ولعنهم والحكم عليهم بالخلود في النار منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ \* لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٧-٧٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٣١].

قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»<sup>(١)</sup>

ثانيًا: تحريم محبتهم ومؤاخاتهم وعدم موالاتهم والدعوة إلى بغضهم وإقامة عقيدة الولاء والبراء، الحب في الله عز وجل والبغض في الله عز وجل:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٣٠)، ومسلم برقم (٥٢٩).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ \* هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨].

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله»<sup>(١)</sup>

ثالثاً: أن دين الإسلام واحد وأن هؤلاء الكافرين إما أن يسلموا وإما أن يعطوا الجزية وهم صاغرون وإما أن يُقاتلوا (الجهاد في سبيل الله) لتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٢٩) وحسنه الشيخ الألباني بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٠٧)، (٢/ ٧٣٥).  
(٢) رواه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أمير على جيش أو سرية أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» الحديث<sup>(١)</sup>

قال الإمام ابن القيم: واختلف الناس في تفسير (الصغار) الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية فقال عكرمة: أن يدفعها وهو قائم، ويكون الآخذ جالساً. وقالت طائفة: أن يأتي بها بنفسه ماشياً لا راكباً. ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف، ثم تجريده ويمتهن. وهذا كله مما لا دليل عليه، ولا هو مقتضى الآية، ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك.

والصواب في الآية أن (الصغار) هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية، فإن التزام ذلك هو الصغار.<sup>(٢)</sup>

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٣١).

(٢) «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٣-٢٤).

رابعاً: تحريم إقامة الكافرين في جزيرة العرب وتحريم دخولهم الحرم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعن إلا مسلماً»<sup>(١)</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ» فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمُدْرَاسِ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اسْلِمُوا تَسْلِمُوا» فَقَالُوا: قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ اسْلِمُوا تَسْلِمُوا» فَقَالُوا: قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ ثُمَّ قَالَهَا الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِإِلَهٍ شَيْئًا فَلْيَبِيعْهُ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»<sup>(٢)</sup>

قال الماوردي: وَأَجْلَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَهْلَ الذِّمَّةِ عَنِ الْحِجَازِ، وَضَرَبَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْهُمْ تَاجِرًا أَوْ صَانِعًا مَقَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَيَخْرُجُونَ بَعْدَ انْقِضَائِهَا فَجَرَى بِهِ الْعَمَلُ وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحُكْمُ فَمَنْعَ أَهْلَ الذِّمَّةِ مِنَ اسْتِيطَانِ الْحِجَازِ وَلَا يُمَكِّنُونَ مِنْ دُخُولِهِ وَلَا يُقِيمُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فِي مَوْضِعٍ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَإِذَا انْقَضَتْ صُرِفَ عَنْ مَوْضِعِهِ وَجَازَ أَنْ يُقِيمَ فِي غَيْرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ يُصْرَفَ إِلَى غَيْرِهِ.

(١) رواه مسلم برقم (١٧٦٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٧، ٦٩٤٤، ٧٣٤٨)، ومسلم برقم (١٧٦٥).

فَإِنْ أَقَامَ بِمَوْضِعٍ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عَزَّرَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُورًا. <sup>(١)</sup>

فهذه أصول الإسلام تعارض تمامًا القول بحرية الاعتقاد، فأين في الإسلام الدعوة إلى حرية الاعتقاد؟! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

وأما قوله: (لقد عاشت في ظل الدول الإسلامية شعوب شتى ومذاهب شتى لم تحمل على التنكر لعقائدها أو لغتها).

أولاً: هذا ليس بدليل من كتاب ولا سنة، وكون دولة لم تطبق حكم الله تعالى في هؤلاء الكافرين ليس حجة بوجه من الوجوه.

ثانياً: تقدم حكم الله تعالى في هؤلاء الكافرين، إما الإسلام وإما الجزية وهم صاغرون وإلا القتال، وسيأتي بيان الشروط العمرية التي وضعها عمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام ومضت عليها الأمة من بعده رضي الله عنه.

فحرية الاعتقاد تهدم هذا الأصل العظيم وهو إنزال الذل والصغار بكل كافر، فهي دعوة إلى المساواة المطلقة بين المسلمين وغيرهم.

وأما قوله: (حتى يتم اللقاء التاريخي على ساحة العدالة وحريات الشعوب وتعاونها على الخير وتبادلها الحر للمنافع بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، وهما عند التحقيق أقرب الحضارات إلى بعضها، اللقاء بين رسالات السماء)

---

(١) «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» (ص ٢٩٢).

وكان الغنوشي يرى أن استيراد الكفر وأن عيسى أو عزيزاً ابن الله أو أن الله ثالث ثلاثة من  
التعاون على الخير وتبادل المنافع! وكيف تكون حضارة الإسلام وحضارة الغرب أقرب  
الحضارات إلى بعضها والفرق بينهما فرق بين إيمان وكفر وفرق بين جنة ونار وفرق بين رحمة  
وغضب من الله عز وجل؟!!

## الفصل الثاني: الغنوشي يستدل بكفر إبليس على حرية الاعتقاد والتعبير

وتصل المرأة بـ (راشد!) في مواصلة التجني على النصوص وتحريفها إلى أن يستدل بكفر إبليس على حرية الاعتقاد، فيقول: ولقد كان إيراد القرآن الكريم في مواطن كثيرة الحوار بين الله سبحانه وملائكته وأنبيائه مشحوناً بدلالات التقديس حرية التعبير والرأي! وكذلك الحوار بين الله سبحانه وعدوه إبليس اللعين، فحتى صوت الشيطان لم يقع كبته ومنعه من الإدلاء بحجته!! والدفاع عن وجهة نظره! بل أسمع القرآن صوته وحجته بأبلغ بيان في مواطن كثيرة من القرآن!! اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

قوله: (الحوار بين الله سبحانه وملائكته وأنبيائه)، وقوله: (وكذلك الحوار بين الله سبحانه وعدوه إبليس اللعين)

القاعدة: أن الله عز وجل لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله.

ووصفه سبحانه بأنه (يُحاور) لم يرد في الكتاب والسنة، فلا يجوز إطلاقه عليه سبحانه إلا بنص.

ويوصف الله عز وجل بأنه يتكلم، ويقول، ويحدث، وينادي، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وأما الاستدلال بصوت إبليس لعنه الله على حرية التعبير والرأي والاعتقاد، فهذا - والله - من المماكسة بنصوص الكتاب والسنة، ألم يقل الله عز وجل: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]. والصغار بمعنى الذل.

ألم يقل الله عز وجل: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

ألم يقل الله عز وجل: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣].

ألم يقل الله عز وجل: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

فأين إذاً الدعوة إلى حرية الاعتقاد والرأي والتعبير؟!

يقول الإمام ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٢]: وهذا وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس، فإنه تقريرٌ لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق. وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من

حقوق غيرهم - اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مُهَاجِرِ رسول الله ﷺ، وأحبارهم الذين كانوا برَسُولِ الله ﷺ وصِفته عارفين، وبأنه لله رسولُ عالَمين. ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرار بنبوّته، والإذعان لطاعته، بَغِيًّا منهم له وحسدًا. فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدًا له وبغِيًّا، نظيرَ فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ﷺ ونبوّته، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدًا وبغِيًّا. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١/٥٤٤-٥٤٥).

### الفصل الثالث: ﴿لا إكراه في الدين﴾

يقول راشد: قد سبق البيان أن حرية العقيدة في الإسلام هي أساس الحريات والحقوق والأصل العام في هذا الصدد هو مبدأ حرية الاعتقاد الذي قطعت به بشكل حاسم آية ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة: ٢٥٦]. اهـ<sup>(١)</sup>

ويكثر راشد من الاستدلال بهذه الآية على حرية الاعتقاد.

لننقد:

اعلم - وفقك الله - أن مثل هذه الآيات التي يقدمها راشد قرباناً لصنم حرية الاعتقاد إنما هي توحيد خالص لله عز وجل لا تدل من قريب ولا من بعيد على ما يزعمه راشد.

فلا تحكم بأول ما تراه فأول طالع فجر كذوب

والأقوال في هذه الآية<sup>(٢)</sup> دائرة بين الخصوص أو النسخ. والخصوص: إما خاصة فيمن نزلت فيهم الآية، وإما خاصة في الكفار الذين تقبل منهم الجزية. والنسخ إنما هو بآيات فرض القتال.

---

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٢٢).

(٢) ذكر القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٦٨) ستة أقوال في معنى الآية، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٦)، وتفسير ابن جرير الطبري (٤/ ٥٤٦ فما بعد).

ولم يذكروا في تفسيرها أن للإنسان حرية الاعتقاد وأن يدين بدين غير الإسلام، وإنما إما أن يسلموا فينعموا بسعادة الدارين وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وإما أن يقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا.

فالحكمة العظيمة وهي إذلالهم إن لم يسلموا باقية إلى قيام الساعة مع ما فيه من إظهار عز الإسلام والمسلمين، وليس فيها تعارض مع آية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

قال الإمام ابن كثير: وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية. وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبى أحد منهم الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل. وهذا معنى الإكراه قال الله تعالى: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحریم: ٩] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] وفي الصحيح: «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل»<sup>(١)</sup> يعني: الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة.<sup>(٢)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/٤٤٦).

والذي رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى أنها خاصة بأهل الكتابين والمجوس وكل من جاز إقراره على دينه المخالف للإسلام وأخذ الجزية منه، وأنكر رحمه الله دعوى النسخ، فقال بعد أن ساق الأقوال في ذلك: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس. وقال: عنى بقوله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق، وأخذ الجزية منه، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخا. وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لما قد دللنا عليه في كتابنا «اللطيف من البيان عن أصول الأحكام»: من أن الناسخ غير كائن ناسخا إلا ما نفى حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما. فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي، وباطنه الخصوص، فهو من الناس والمنسوخ بمعزل. وإذا كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل أن يقال: لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك، وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوما فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه<sup>(١)</sup>، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه الآخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم كان بينا بذلك أن معنى قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية،

---

(١) فأين نسبة حرية الاعتقاد إلى الإسلام، ونبينا عليه الصلاة والسلام قد أكره قوماً على الإسلام وهذا النقل متواتر عن المسلمين جميعاً؟!.

ورضاه بحكم الإسلام. ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة بالحكم، بالإذن بالمحاربة. اهـ<sup>(١)</sup>

فتبين من خلال هذا العرض أنه لا دلالة في الآية إلى ما يذهب إليه هؤلاء من الدعوة إلى حرية الاعتقاد:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٤/٥٥٣-٥٥٤).

## فتوى الشيطان ابن عثيمين في الدعوى إلى حرية الاعتقاد

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: نسمع ونقرأ كلمة، (حرية الفكر)، وهي دعوة إلى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟.

فأجاب بقوله: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر، لأن كل من اعتقد أن أحداً يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ، فإنه كافر بالله - عز وجل - يستتاب، فإن تاب وإلا وجب قتله. والأديان ليست أفكاراً، ولكنها وحي من الله - عز وجل - ينزله على رسله، ليسير عباده عليه، وهذه الكلمة - أعني كلمة فكر - التي يقصد بها الدين: يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية، لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد، وهو أن يقال عن الإسلام: فكر، والنصرانية فكر، واليهودية فكر - وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية - فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس، والواقع أن الأديان السماوية أديان سماوية من عند الله - عز وجل - يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله تعبد بها عباده، ولا يجوز أن يطلق عليها (فكر).

وخلاصة الجواب: أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حر فيما يتدين به فإنه كافر بالله - عز وجل - لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ويقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن ديناً سوى الإسلام جائز يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفراً مخرجاً عن الملة. «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٩٩ -

(١٠٠) رقم الفتوى (٤٥٩)

## الفصل الرابع: الإسلام عند راشد الغنوشي: إسلام بالعقيدة وإسلام بالحضارة

(إنهم مسلمون لا بالعقيدة ولكن بالحضارة)

يقول الغنوشي: أما غير المسلمين<sup>(١)</sup> فهم أيضاً مواطنون في المجتمع الإسلامي فليسوا أجانب في هذا المجتمع، إنهم مواطنون ولكن لهم خصوصية، فهم مع المسلمين في العموم إذ قد ارتضوا بالأسلوب العام الذي ينتظم عليه أمر المجتمع ومدار التسليم بالمشروعية العليا لنظام الشريعة ورعاية مصالح الجميع على أساس المساواة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، إنهم مسلمون لا بالعقيدة ولكن بالحضارة ونظام الإسلام العام!!<sup>(٢)</sup> وروح التضامن والحماية وتلك هي المواطنة في الدولة الإسلامية. اهـ<sup>(٣)</sup>

النتقد:

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].  
والإسلام يطلق ويراد به الإسلام العام ويطلق ويراد به الإسلام الخاص.

والإسلام العام هو الذي خوطب به جميع الناس من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتعريفه بالمعنى العام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة

---

(١) من الملاحظ في كثير من المواضع إن لم يكن كلها أن رافة ورقة قلب راشد تمنعه من إطلاق الألفاظ الشرعية (المشركين)، (الكافرين)، فيرغب عنها بلفظ (غير المسلمين)!!.

(٢) علق الغنوشي في الحاشية عند هذا الموضع فقال: أثرت في إخواننا المسيحيين! في المشرق العربي مثل مكرم عبيد في مصر وبعض اللبنانيين عبارات جميلة مماثلة!!.

(٣) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٣٢).

والبراءة من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿يُحْكَمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الخليل إبراهيم: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١].

والإسلام الخاص هو الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ ونسخ جميع الشرائع قبله. فليس ثم إسلام يحصل بغير هذه الثلاث: الاستسلام، والإنقياد، والبراءة.

وكل هذه مبناها على قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

فكيف يدعي عاقل أن الإنسان قد يكون مسلماً بالحضارة والمواطنة؟! وأي توحيد وعقيدة وإيمان تكتسبه الحضارة والمواطنة؟! ولكن كرم الغنوشي واسع يتسع حتى الكافرين بل والمحاربين كما سيأتي بيانه بعد هذا.

وحتى الإسلام العام قد خرج منه اليهود والنصارى بما ابتدعوه في دين الله عز وجل وإشراكهم مع الله غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وعلم أن إبراهيم الخليل هو إمام الحنفاء المسلمين بعده كما جعله أمة وإماما وجاءت الرسل من ذريته بذلك فابتدعت اليهود والنصارى ما ابتدعوه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به وهو الإسلام العام ولهذا أمرنا أن نقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»

وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام وغلب عليها أحد ضديه فاليهود يغلب عليهم  
الكبر ويقل فيهم الشرك والنصارى يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٦٢٤).

## الفصل الخامس: الغنوشي: المنافقون مشكلتهم نفسية وليست فكرية!

سئل الغنوشي: في مجتمع المدينة لم يُسمح لفئة المنافقين بالتعبير عن الرأي أو معارضة السلطة! فأجاب: المنافقون كانوا أولي مصالح ولم يكن لهم نظرية متكاملة في الكون أو السياسة أو الأخلاق، لذا فقد رأوا في نموذج الإسلام ما يتجاوز ما عندهم من فكر ووسيلة حيث استقطب الناس فأكل الحسد قلوبهم فكادوا للإسلام لأنهم لم يتمكنوا من الوقوف أمامه بالحجة فلجؤوا إلى النفاق، ومشكلتهم هي مشكلة نفسية وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، وليسوا أصحاب مشكلة فكرية. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

هذا المنهج الذي يسلكه الغنوشي في تحريف الأدلة الشرعية وإعمال التأويل فيها بأسلوب بارد لا يعتمد لا على كتاب ولا على سنة يدل على مدى انغماس الرجل في الضلال والهوى والجهل، فهو بهذه الطريقة يحاول ردّ كل ما يعترضه من الأدلة الشرعية في سبيل ما يدعو إليه من (حرية الاعتقاد).

في هذا النص يصف المنافقين بأنهم أصحاب مشكلة نفسية (الحسد، نظرة غير متكاملة في الكون أو السياسة أو الأخلاق، أولي مصالح) وأنهم ليسوا أصحاب مشكلة فكرية (اعتقادية) حتى لا تتعارض مع حرية الرأي (الإعتقاد) وحرية التعبير.

وكذب - والله - فإن مشكلتهم الأولى هي إظهار الإسلام وإبطان الكفر، هي إظهار الخير وإبطان الشر، فهي مسألة عقديّة من الأساس، وقد وصفهم الله عز وجل بهذا في كتابه

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٣١٦).

الكريم في عدة مواضع قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]

وقال تعالى: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنكُم وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]، أي يخافونكم ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا.

وقال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ \* اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ١-٣].  
وغيرها من الآيات.

فجميع هذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن المشكل الرئيسي عند المنافقين اعتقادي، إبطان الكفر بالله عز وجل ورسوله ﷺ، وهذا لا يمنع وجود مشاكل أخرى عندهم كالحسد والخيانة والكبر وسوء الظن والجبن والبخل والتلون وغيرها، لكن يبقى المشكل الرئيسي الكفر بالله عز وجل.

فيضاف هذا الأصل - الذي هو خوف المنافقين من إظهار كفرهم وما يعتقدونه والإعلان به والدعوة إليه حتى لا يقتلوا - إلى ما تقدم من الأصول التي تتعارض مع (حرية الاعتقاد) وتدل على بطلان هذا الفكر.

وحتى الآية التي استدلت بها الغنوشي في هذا الموضع ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، هي رد عليه وليست دليلاً له. قال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: وأصل المرض: السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان. فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مَرَضًا، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم، الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد ولكن لما كان معلوماً بالخبر عن مرض القلب، أنه معنيٌّ به مَرَضٌ ما هم معتقدوه من الاعتقاد، استغنى بالخبر عن القلب بذلك والكفاية عن تصريح الخبر عن ضمايرهم واعتقاداتهم... فكذاك معني قول الله جل ثناؤه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ إنما يعني: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين، والتصديق بمحمد ﷺ، وبما جاء به من عند الله - مَرَضٌ وسقم. فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم.

والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنهم، كما وصفهم الله عز وجل، مُذَبَذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما يقال: فلان يمرض في هذا الأمر، أي يضعف العزم ولا يصحح الروية فيه. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك، تظاهر القول في تفسيره من المفسرين. اهـ<sup>(١)</sup>

(١) «تفسير ابن جرير» (١/ ٢٨٦-٢٨٨).

فالمرض اعتقادي وفكري لا كما يزعم الغنوشي أنهم أصحاب مشكل ليس بفكري.

## الفصل السادس: نتيجة حرية الاعتقاد: دعوة الغنوشي إلى التسامح مع

### الكافرين ولو كانوا محاربين

يقول الغنوشي: بينما ظل الغرب في ظلماته قرونًا طويلة يخوض حروبًا دينية طاحنة إلى أن عرف عبر المسلمين فضيلة التسامح الديني! وأقر على نحو محتشم مبدأ الحرية الدينية وإن كان عمق ذلك لا يزال محدودًا في الثقافة الغربية التي لم تعترف بالآخر إلا أن يكون من جنس العائلة كما هو شأن الأحزاب الكبرى في الديمقراطيات، أما الآخر المختلف دينًا وحضارة ولونًا فلا يزال منكورًا. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: إن شهادة التاريخ تؤكد أنه في ظل حكم الشريعة الإسلامية نشأ واتسع فضاء حضاري ازدهرت فيه حرية التفكير، والمناقشات، والعلوم، والفنون، والآداب، والعمارة، ليس بين المسلمين وحدهم وإنما وسط كل الجماعات العرقية والدينية والطوائف والمذاهب التي تألفت في ساحة رحبة لتساهم كلها في إشادة بنيان الحضارة الإسلامية... وظلت سجف الظلام مسدلة على أوروبا حتى قامت - متأثرة بالإرث الإسلامي ونموذجه الحضاري في التسامح - بثورتها الكبرى ضد التسلط الكنسي والإقطاع، فعرفت طعم الحضارة والحرية والتعددية. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «مقاربات في العلمانية ومجتمع المدني» (ص ٢٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٥-٢٦).

وقال أيضًا: وكان حجم التسامح مع الآخر مسلمًا أو غير مسلم، وحتى المحارب واسعًا جدًا!! فلم تعرف هذه التجربة الطويلة حرب إبادة واحدة ضد مجموعة عرقية أو دينية لسبب بسيط أن فكرة الإله المفارق رب العالمين تمنع ذلك.<sup>(١)</sup>

النقد:

إن من البديهي جدًا ومن المتوقع أن تكون الدعوة إلى التسامح مع الكافرين نتيجةً لحرية الاعتقاد عند من تلوث بالدعوة إليها من أمثال الغنوشي، لكن الذي تحار فيه العقول وتذهل عنده أفئدة أي مسلم – عنده مثقال ذرة من الغيرة على الإسلام وأهله – أن يشمل حد التسامح المحاربين!!

ولا تظن أخي المسلم أن مرادهم بالتسامح العفو الشرعي بالغض عن بعض الحقوق الدنيوية – لا الدينية – مقابل الدعوة إلى الإسلام، وجواز المن على الأسير<sup>(٢)</sup> والفداء، وإعطاء حقوق الذميين والمستأمنين، فهذا سار عليه رسولنا الكريم ﷺ وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم. وأما دعوة هؤلاء فهي دعوة إلى إعطاء الدنية في الدين وأن يسير المسلمون والكافرون على قدم المساواة وأن يهتك جناب الإسلام وتنتهك أصوله، والله عز وجل يقول: ﴿أَفَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم ٣٥-٣٦].

---

(١) المصدر السابق (ص ١١٣).

(٢) وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لثأمة ابن أثال: «ما عندك؟ يا ثأمة» فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثأمة» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. الحديث

ويقول تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

اعلم - علمني الله وإياك - أن أنفس الكافرين من حيث الحرمة أربعة أنواع:

- ١ - الذمي: وهو الذي يسكن في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم إلا أنه يبذل الجزية.
  - ٢ - المستأمن: وهو الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان لتجارة ونحوها من غير استيطان.
  - ٣ - المعاهد: هو الذي يسكن في بلده لكن بيننا وبينه عهد على أن لا نحاربه ولا يحاربنا.
- فهذه الثلاث أنفس معصومة ويجب الوفاء فيها بالعهد والأمان.

٤ - الكافر الحربي: وهذا لا حرمة له ودمه غير حرام.

فكأن راشداً يدعونا إلى أن نحك آيات الجهاد وقاتل المحاربين من المصحف، فإن هذا هو لازم هذه الدعوة إلى التسامح مع الكافرين بل المحاربين!

فإذا تبين هذا، فلا لدعوة التسامح مع الكافرين - مطلقاً - لأنها دعوة إلى المداينة والخنوع<sup>(١)</sup> والتزلف للكافرين وليست دعوة إلى إعطاء الحقوق الشرعية للذميين والمستأمنين والمعاهدين. قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

---

(١) وهو الخضوع والذل والضعفة.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير الآية: ودّهؤلاء المشركون يا محمد لو تليين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَّقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ وإنما هو مأخوذ من الدّهن شبه التليين في القول بتليين الدّهن. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قال الإمام الطبري: وليست اليهود، يا محمد، ولا النصارى براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك هو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديا نصرانيا، وذلك مما لا يكون منك أبدا، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة. وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل.<sup>(٢)</sup>

(١) «تفسير ابن جرير» (٢٣/ ٥٣٣) ط. دار التربية والتراث.

(٢) «تفسير ابن جرير» (٣/ ٤٨٤).

ومن منطلق التسامح مع الكافرين يقول الغنوشي: إن مهمة الفكر في مواجهة العاصفة مزدوجة: فهي من جهة توسيع أرضية الحوار والتلاقي بين كتائب أمتنا الرافضة للتسلط الدولي الصهيوني على أرضنا ومواردنا ومقدساتنا وأفكارنا وأرواحنا، والرافضة قبل ذلك للإستبداد الداخلي والعدوان على حقوق الإنسان مهما كانت المبررات والعناوين، والحوار أيضاً والتلاقي في الخارج والنضال المشترك مع أنصار الحرية وحقوق الإنسان حرية الشعوب! مهما اختلفت مذاهبهم ودياناتهم...! فهم حيثما كانوا أصدقائنا في الحاضر والمستقبل!! اهـ<sup>(١)</sup>

والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٠).

## الفصل السابع: الغنوشي يجيز للكافرين إقامة المعابد في بلاد الإسلام ودعوة

### المسلمين إلى الكفر

يقول الغنوشي: هل يدعون المسلمين إلى مذاهبهم؟ قد منع البعض ذلك لما فيه من فتنة المسلم عن دينه وإيقاعه في الردة وهو رأي أغلب المفكرين الإسلاميين ولم ير بأساً من ذلك البعض الآخر، وقد ذكرنا منهم العلامة المودودي والشهيد الفاروقي، ونحن مع هذا الرأي شريطة إلزام الجميع بالآداب العامة في الحوار.

ذلك أن في إقرار أحد على مذهبه يقتضي- ضرورة الاعتراف له بحق الدفاع عنه لإظهار محاسنه ومساوئ ما يخالفه، وذلك جوهر عمل كل داعٍ، استمالة الآخرين عن طريق إبراز محاسن دعوته ومساوئ ما عليه الآخر. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال تحت عنوان: (حرية ممارسة الشعائر الدينية!!): كفل الإسلام لأهل كل عقيدة إقامة المعابد وإقامة الشرائع بها في حدود رعاية الرأي العام! والذوق العام للأغلبية! تطبيقاً لمبدأ الحرية الدينية وعدم الإكراه. اهـ<sup>(٢)</sup>

وهو تابع في ذلك للمودودي الذي قال: سيكون لغير المسلمين في الدولة الإسلامية من حرية الخطابة والكتابة والرأي والتفكير والاجتماع ما هو للمسلمين سواء بسواء!! وسيكون عليهم من القيود والالتزامات في هذا الباب ما على المسلمين أنفسهم! فسيجوز لهم أن ينتقدوا الحكومة وعملها حتى رئيس الحكومة نفسه ضمن حدود القانون! سيكون لهم الحق

---

(١) «الحریات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٩).

في انتقاد الدين الإسلامي!!<sup>(١)</sup> مثل ما للمسلمين من الحق في نقض مذاهبهم ونحلهم!! ويجب على المسلمين أن يلتزموا حدود القانون في تقديم هذا كوجوب ذلك على غير المسلمين!! وسيكون لهم الحرية كاملة في مدح نحلهم وإن ارتد - أي المسلم - فسيقع وبال ارتداده على نفسه، ولا يؤخذ به غير المسلم، ولن يكره غير المسلمين في الدولة الإسلامية على عقيدة أو عمل يخالف ضميرهم!! وسيكون لهم أن يأتوا كل ما يوافق ضميرهم من أعمال ما دام لا يصطدم بقانون الدولة!!<sup>(٢)</sup>.

لننقد:

إن الله عز وجل حذر نبيه ﷺ أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزله سبحانه إليه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَا ذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]. فهذا رسول الله ﷺ أعلم الخلق بالله وأقواهم إيماناً يحذره ربه عز وجل أن يفتنه أهل الكتاب عن دينه الحق. فكيف يسمح للكافرين لا سيما في بلاد الإسلام يدعون إلى غير الإسلام، إلى الكفر والإلحاد؟!

---

(١) كيف ينتقد الدين الإسلامي والطعن في الإسلام إذا صدر من مسلم يعتبر ردة في حقه وخروجاً عن الإسلام، فكيف يترك غير المسلم يطعن في الإسلام؟!.

(٢) أبو الأعلى المودودي، «نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور»، دار الفكر ١٩٦٤م (ص ٣١٦) نقلاً عن «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٤١).

إن في هذا رغبة عن دين الله، عن ملة إبراهيم الحنيفية السمحة، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وكيف يسمح لهم بإشادة الكنائس والبيع وأماكن عبادة غير الله عز وجل؟! والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وكيف يعرض عوام المسلمين إلى الفتنة في الدين يدعون إلى الكفر، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ويقول تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

يقول الإمام ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قل) يا محمد، (هذه) الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاز إلى طاعته، وترك معصيته (سبيلي)، وطريقتي ودعوتي، (أدعو إلى الله) وحده لا شريك له (على بصيرة)، بذلك، ويقين علم مني. <sup>(١)</sup>

وسياتي في الشروط العمرية مزيد بيان لما ألزم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل الذمة من نصارى الشام، ومنها ألا يحدثوا ديرًا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا يجددوا

(١) «تفسير ابن جرير» (١٣/٣٧٨).

ما خرب ولا يظهروا شركًا ولا يظهروا صليًا ولا شيئًا من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع على تحريم بناء الكنائس وغيرها من معابد الكافرين في بلاد الإسلام.

وانظر فتوى في الكنائس لشيخ الإسلام ابن تيمية نقلها عنه ابن القيم في كتابه «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٦٧٧). و «مسألة في الكنائس» له رحمه الله، تحقيق وتعليق الشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل.

وفتوى مطولة ونافعة للسبكي في (منع ترميم الكنائس) ضمن «فتاواه» (٢/ ٣٦٩ فما بعد). والكتاب النافع في بابه جدًا «حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين» للعلامة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمه الله تعالى، تقرّظ فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

## الفصل الثامن: الغنوشي يجيز للأقليات الكافرة في بلاد المسلمين إقامة

### المحاكم التي تحكم بينهم بغير ما أنزل الله

ويذهب الغنوشي إلى أبعد من ذلك فيجيز للكافرين إقامة المحاكم التي تحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، فيقول: أما الأقليات غير المسلمة من مواطنيها فالشريعة بالنسبة إليهم ليست شيئاً آخر غير كونها قانوناً منظماً للجماعات السياسية. ويمكن للجماعات غير المسلمة في الدولة المسلمة أن تحتفظ بخصوصيات تشريعية تقوم عليها محاكم خاصة بهم، إذ يمكن أن تتعدد المنظومات القانونية في الدولة المسلمة. اهـ<sup>(١)</sup>

لننقد:

إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يحكم في أهل الكتاب وجميع أهل الملل بما أنزل جل وعلا في جميع الأحكام، فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

يقول الإمام ابن جرير: وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن الذي خصّه بشريعته. يقول تعالى ذكره: احكم، يا محمد، بين أهل الكتاب والمشركين بما أنزل إليك من كتابي وأحكامي في كل ما احتمكوا فيه إليك، من الحدود والجُروح والقَوَد والنفوس، فارجم الزاني المحصن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلماً، وافقأ العين بالعين،

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٠٤).

واجدع الأنف بالأنف، فإني أنزلت إليك القرآن مصدقاً في ذلك ما بين يديه من الكتب، ومهيماً عليه رقيباً، يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبله، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصن دون الرجم، وقتل الوضع بالشريف إذا قتله، وترك قتل الشريف بالوضع إذا قتله، فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا عن الذي جاءك من عند الله من الحق، وهو كتاب الله الذي أنزله إليك. اهـ<sup>(١)</sup>

فهذا هو الدين الكامل المهيمن على جميع الملل، وهو الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه والذي لا بد فيه من خضوع جميع الناس - مسلمين وكافرين - تحت حكمه وأمره ونهيه، فالمشركون مطالبون بأن يخضعوا إلى أحكام الشرع في الدماء والأعراض والأموال وجميع القضايا.

يقول الماوردي: وفي قوله ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، تأويلان أحدهما: أذلاء مستكينين، والثاني: أن يجري عليهم أحكام الإسلام.<sup>(٢)</sup>

وقد حكم فيهم النبي ﷺ بحكم الإسلام في حياته، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ على النبي ﷺ يهودي محملاً مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٨/ ٤٩١-٤٩٢).

(٢) «الأحكام السلطانية» (ص ٢٥٣).

الحد قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ﷺ «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه» فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] يقول اتوا محمدا ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار كلها. (١)

فانظر - رعاك الله - كيف لم يرض منهم رسول الله ﷺ تحريفهم لكتاب الله عز وجل وحكمهم بغير ما أنزل الله، والغنوشي يريد منهم إقامة المحاكم!

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ قِيلَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ أَفْلَانُ أَفْلَانُ؟ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا فَأَخَذَ الْيَهُودِيُّ فاعْتَرَفَ فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَرَضَّ رَأْسَهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ. (٢)

ثم إن إقامة المحاكم غير الإسلامية فيها تضييع لإقامة الحدود وعدم انتقام حرمان الله تعالى، فإن النبي ﷺ كان كما قالت عائشة رضي الله عنها: مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِّلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ

(١) رواه مسلم برقم (١٧٠٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤١٣)، ومسلم برقم (١٦٧٢).

إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا. (١)

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٠).

## الفصل التاسع: الغنوشي من دعاة التقريب بين الأديان

تقدم في ترجمة راشد الغنوشي أنه أحد مؤسسي حلقة الأصالة والتقدم التي تُعنى بالحوار الإسلامي المسيحي والتي تضم عددًا من كبار المفكرين الإسلاميين<sup>(١)</sup> والأوروبيين والأمريكيين.

النقد:

إن هذه المؤتمرات والندوات التي تعقد تحت شعارات مختلفة هي في حقيقتها دعوة إلى التقريب أو الوحدة بين الإديان.

ووقع التستر من وراء لفظ (الحوار) لأنه لفظ فضفاض يخفي وراءه حقيقة هذه المؤتمرات، وما دعوة حرية الاعتقاد والتسامح مع الكافرين والدخول بالإسلام إلى العصر بتجديده أو تطويره إلا من ثمارها.

وسواء عبر بالحوار أو التقريب أو الوحدة بين الأديان فإن كلها تصب في مصب واحد وأسماء لمسمى واحد وذلك لمن خبر أصحابها وما يُلقى في هذه المؤتمرات من محاضرات وكلمات.

وهذه المؤتمرات التي تُعنى بمثل هذا الحوار هي محدثة وليست السبيل الشرعي الذي كان يُدعى من خلاله أهل الكتاب إلى الإسلام ومقاصد أصحابها هدم الإسلام أو تميحه.

---

(١) كذا جاء في الترجمة، وقد تقدم التنبيه على كلمة (الفكر الإسلامي).

ومن عرف أن دين الله واحد وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأن محمداً ﷺ رسوله إلى العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين وأن من لم يؤمن به فهو كافر بالله العظيم «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup> وأن كتابه المنزل إليه ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]. ظهر له بجلاء بطلان الدعوة إلى التقريب أو الوحدة بين الأديان من أسسها وأساسها وانكشفت له جميع شبهاتها وعرف أنها جمع بين النقيضين، بين كفر وإيمان، بين حق وباطل.

وهذا (الحوار) الذي يخوض فيه هؤلاء ليس هو المنهج القرآني والنبوي في مخاطبة ودعوة أهل الكتاب وذلك أنه لبس للحق بالباطل وإعطاء الدنية في الدين بالدعوة إلى الاعتراف بالآخر (أهل الكتاب) كقسيم للإسلام، والدعوة إلى (الحرية الاعتقادية)، و(الرابطية الوطنية)، وموالاتة الكافرين، والتنصل من أحكام أهل الذمة، والتهوين من شأن الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، والتلاعب بألفاظ الدين والإيمان، والدعوة إلى الانخراط في العالم الغربي من بابه الواسع، والدعوة إلى إيقاف الجهاد والدعوة إلى الله تعالى، والتلبس بأن أهل

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٥٣).

الكتاب اليوم مشمولون بـ (الإسلام العام)، والمداهنة في الدين، وتسوية أهل الإيمان بأهل الشرك وعباد الأوثان، وإبراز التسامح الديني، ومساواة كتاب الله بما كتبوه بأيديهم وحرفوه، وإضلال الناس وفتنتهم في الدين، وهدم الولاء والبراء من قلوب المسلمين.<sup>(١)</sup> وانظر - رعاك الله - إلى خطاب الله عز وجل وخطاب رسوله ﷺ لأهل الكتاب، خطاب صريح مباشر دون مداهنة ولا مجاملة ولا تنازل ولا خضوع ولا خنوع، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

(١) انظر تفصيل ذلك كله في كتاب «دعوة التقريب بين الأديان. دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية» للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي.

وجاء في الحديث الطويل المتفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كتب كتاباً إلى هرقل عظيم الروم يدعوه فيه إلى الإسلام ونصه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ<sup>(١)</sup> ﴿وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»<sup>(٢)</sup>

والخلاصة أن الفرق شاسع وكبير بين هذا الخطاب الإلهي والنبوي وبين دعوة (حوار!) هؤلاء، وأن دعوة التقريب بين الأديان دعوة هدامة للإسلام وأصوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة : ٣٢].

---

(١) أي الفلاحين، قال الخطابي: أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له لأن الأصاغر أتباع الأكابر. انظر «الفتح» (١/ ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

## الفصل العاشر: الغنوشي يصرح بنزع الصفة الشرعية لعقود أهل الذمة ويعتبرها

### قضية تاريخية غير ملزمة للأمة

يقول الغنوشي: كما تجب للإنسان ضمانات العيش، والتربية، والصحة، وإقامة الأسرة، والحماية من الجور والمشاركة في الشؤون العامة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ومن ذلك حقه في اختيار عقيدته والتعبير عنها والدعوة لها!! والانتقال في الأرض وإقامة الجماعات السلمية ومقاومة المظالم والشور، وهي كلها منضبطة بأحكام تفصيلية أو بأصول ومقاصد، كالعدل والمساواة والمصلحة، يمكن أن تتأسس عليها صور لا متناهية من الإجهادات والمجتمعات وهي بالنسبة للمسلم دين وثقافة وبالنسبة لغير المسلم من مواطني الدولة الإسلامية ثقافة يتمتع في إطارها بالعدل والمساواة وسائر حقوق المواطنة، وحتى ما اصطلح عليه الفقهاء في العصور القديمة بـ (أهل الذمة) من تمييز بين المسلم وغير المسلم هو تمييز اقتضته أوضاع ظرفية غير ملزمة للأمة مصطلحاً ومضموناً! لا سيما مع حصول الاندماج في عصر الدولة الحديثة كما نص على ذلك فقهاء محدثون كبار! اهـ<sup>(١)</sup>

سئل الغنوشي: الذي نعيه هو أن الإسلام لم يسمح في النهاية بتواجد منهج الآخر في الجزيرة، بل لم يعط الحق للإنسان العربي أن يظل مشركاً والإسلام عامل النصارى واليهود من خلال التاريخ كقنات أقلية ليس لهم كامل حقوق المواطنة. فكانوا يميزون بملابسهم ولا يحق لهم تسلم المناصب الحساسة في الدولة أو دخول الجيش بل يجب أن يتصفوا بالذلة

---

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ١٣٨-١٣٩).

والصغار عند دفعهم الجزية كما ورد في الحديث الذي يأمرنا أن نضيقهم في الطريق<sup>(١)</sup>  
نضطرهم إلى الضيقة؟

فأجاب الغنوشي: هذه الصورة تنفر الناس وتلك النصوص ينبغي أن ينظر بها أولاً من حيث السرد التاريخي والرواية والسند فإن ثبت صحتها وجب تأويلها على النحو الذي ينسجم مع ما ثبت في المجتمع المدني الذي نعرفه من خلال الممارسة وليس من خلال النصوص. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: وليس مصطلح (أهل الذمة) نفسه لازم الإستعمال في الفكر السياسي الإسلامي ما تحقق الاندماج بين المواطنين وقامت الدولة على أساس المواطنة أي المساواة حقوقاً وواجبات. اهـ<sup>(٣)</sup>

النقد:

إن أهل الذمة هم الكفار الذين يسكنون بلاد الإسلام ممن تصح منهم الجزية فيؤدونها إلى المسلمين، قال العلامة ابن القيم: أهل الذمة: عبارة عمن يؤدي الجزية. وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله.<sup>(٤)</sup>

(١) قال النبي ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتهم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» والحديث صحيح لا مطعن فيه، رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٣١٦).

(٣) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٩).

(٤) «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٤٧٥-٤٧٦).

ويواصل الغنوشي سلسلة تحريفاته لأصول الشريعة وخضوعه في القول، فيصرح بنزع الصفة الشرعية لـ (عهود أهل الذمة) واعتبارها اصطلاحاً فقهيّاً اقتضته أوضاع ظرفية!! مع أنه قد ثبتت مشروعية عقد الذمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما في الكتاب فيقول تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال الإمام ابن جرير: ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعاً عنها. <sup>(١)</sup>

وأما من السنة فحديث بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١١/٤٠٦).

نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا  
ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن  
فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا  
تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»<sup>(١)</sup>

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لعامل كسرى في وقعة ناهوند: أَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ  
رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَخَدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ.<sup>(٢)</sup>

وشهد عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله ﷺ أخذها - يعني الجزية - من مجوس هجر.<sup>(٣)</sup>

وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ  
إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ  
بْنُ الْحَضَرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ  
صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. الحديث<sup>(٤)</sup>

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣١٥٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣١٥٨)، ومسلم برقم (٢٩٦١).

وفي قصة اليهودي الذي فضل موسى عليه السلام على نبينا محمد ﷺ فلطمه الأنصاري فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟! الحديث<sup>(١)</sup>

وعن جويرية بن قدامة التميمي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قلنا: أوصنا يا أمير المؤمنين، قال: أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم، ورزق عيالككم.<sup>(٢)</sup>

قال الحافظ ابن حجر: (ورزق عيالككم): أي ما يؤخذ منهم من الجزية والخراج.<sup>(٣)</sup>

فهكذا سار أصحاب رسول الله ﷺ من بعده على مشروعية عقد الذمة.

وقد انعقد الإجماع على مشروعية عقد الذمة وأخذ الجزية ممن تصح منه، اليهود والنصارى والمجوس، قال الإمام الشافعي: ولا أعرف في الرهبان خلاف أن يسلموا أو يؤدوا الجزية أو يقتلوا، ورهبان الديارات والصوامع والمسكن سواء. اهـ.<sup>(٤)</sup>

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: وأجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية في الجملة.<sup>(٥)</sup>

وقال الإمام ابن القيم: أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس.<sup>(٦)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤١٤)، ومسلم برقم (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/٣٢٢).

(٤) «الأم» للشافعي (٤/١٩٧).

(٥) «المغني» لابن قدامة (١٢/٦٥٦).

(٦) «أحكام أهل الذمة» (١/١).

قال الماوردي: يجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليُقرّوا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقان:

أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم. ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين.<sup>(١)</sup>

فإذا ثبت مشروعية عقد الذمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو الذي سار عليه الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، فأين جعلها قضية تاريخية وليست مسألة شرعية دينية؟!

وعقود أهل الذمة وإن كانت غير موجودة الآن في بلدان الإسلام وذلك لما آل إليه المسلمون من الضعف وسببه البعد عن دينهم إلا أن مشروعيته قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويأتي من وفقه الله من ولاة الأمور إلى إحيائها، وأما إلغاؤها ونزع الصفة الشرعية منها فهو من السفسطة<sup>(٢)</sup> واللعب بأصول الشريعة الإسلامية.

وأما قول الغنوشي: (كما نص على ذلك فقهاء ومحدثون كبار) فيتحداه أهل السنة أن يأتي بعالم سني واحد نص على نزع الصفة الشرعية لعقود أهل الذمة ووصفها بأنها قضية تاريخية، وإنما أسلافك في هذا الميدان هم أفراخ المعتزلة الجدد، العقلانيون العصريون الضالون المضلون، الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها إلا أن يتداركه الله عز وجل بتوبة ورحمة منه وفضل، من أمثال: محمد سليم العوا، وعبد الكريم زيدان، والرافضي محمد حسين فضل الله، ومحمد عمارة، وسعود المولى، ويوسف القرضاوي، وفهمي هويدي....

ومن يكن الغراب له دليلاً يمرّ به على جيف الكلاب

---

(١) «الأحكام السلطانية» (ص ٢٥٤).

(٢) السفسطة: الكذب المموه.

## الفصل الحادي عشر: ذكر الشروط العمرية

قال العلامة ابن القيم: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: حَدَّثَنِي أَبُو شَرَحْبِيلَ الْحِمَصِيُّ عِيسَى بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو الْيَمَانِ وَأَبُو الْمُغِيرَةِ قَالَا: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: كَتَبَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ: إِنَّا حِينَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا طَلَبْنَا إِلَيْكَ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا عَلَى أَنَّا شَرَطْنَا لَكَ عَلَى أَنْفُسِنَا... وَذَكَرَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ قَالَ: كَتَبْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ صَالَحَ نَصَارَى الشَّامِ وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ فِيهِ أَلَّا يُجِدُّوا فِي مَدِينَتِهِمْ وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا دِيرًا وَلَا كَنِيسَةً وَلَا قِلَائَةً وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ، وَلَا يُجِدُّوا مَا خُرِبَ، وَلَا يَمْنَعُوا كَنَائِسَهُمْ أَنْ يَنْزِلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُطْعَمُونَهُمْ، وَلَا يُؤْوُوا جَاسُوسًا، وَلَا يَكْتُمُوا غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَعْلَمُوا أَوْلَادَهُمُ الْقُرَّانَ، وَلَا يُظْهِرُوا شِرْكًَا، وَلَا يَمْنَعُوا ذَوِي قَرَابَاتِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ يُوقَرُوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَقُومُوا لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِهِمْ إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِالْمُسْلِمِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ وَلَا يَتَكَنَّنُوا بِكُنَاهُمْ، وَلَا يَرْكَبُوا سِرْجًا وَلَا يَتَقَلَّدُوا سَيْفًا، وَلَا يَبِيعُوا الْخُمُورَ، وَأَنْ يَجْزُوا مَقَادِمَ رُءُوسِهِمْ، وَأَنْ يَلْزَمُوا زِيَّيَهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا، وَأَنْ يَشُدُّوا الزَّانِرَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَلَا يُظْهِرُوا صَلِيبًا وَلَا شَيْئًا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُجَاوِرُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَوْتَاهُمْ، وَلَا يَضْرِبُوا بِالنَّاقُوسِ إِلَّا ضَرْبًا خَفِيًّا، وَلَا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَضَرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُخْرِجُوا شَعَانِينَ، وَلَا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ مَعَ مَوْتَاهُمْ، وَلَا يُظْهِرُوا النَّيرَانَ مَعَهُمْ، وَلَا يَشْتَرُوا مِنَ الرَّقِيقِ مَا جَرَتْ فِيهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ. فَإِنْ خَالَفُوا شَيْئًا مِمَّا شَرَطُوهُ فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ، وَقَدْ حَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمُعَانَدَةِ وَالشَّقَاقِ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ ثَعْلَبٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي الْعِزَّارِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَالْوَلِيدِ بْنِ نُوحٍ، وَالسَّرِيِّ بْنِ مُصَرِّفٍ يَذْكُرُونَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ قَالَ: كَتَبْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ صَالَحَ نَصَارَى أَهْلِ الشَّامِ... فَذَكَرَ نَحْوَهُ. اهـ<sup>(١)</sup>

والقصة رواها أيضًا البيهقي في السنن (٢٠٢/٩) وهي لا تثبت من أجل يحيى بن عقبة بن أبي العيزار. قال البخاري: منكر الحديث، قال أبو حاتم: يفتعل الحديث، قال الدارقطني: ضعيف، قال النسائي: ليس بثقة، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج به بحال.

وحاول السبكي كما في فتواه في «منع ترميم الكنائس» «فتاوى السبكي» (٣٩٨-٤٠٠/٢) في كلام طويل الدفاع عن يحيى بن عقبة وعن القصة، وذكر أن الحافظ عبد الله بن زبُر جمع فيها جزءً.

والقصة ضعفها العلامة الألباني رحمه الله تعالى في «الإرواء» (١٠٣-١٠٤/٥)<sup>(٢)</sup>

ثم ذكر رواية البيهقي عن أسلم قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد أن اختموا رقاب أهل الجزية في أعناقهم. قال الشيخ الألباني: وإسناده صحيح.

ورواية البيهقي (٢٠٢/٩) عن حرام بن معاوية قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن أدبوا الخيل، ولا يُرفعن بين ظهرانيكم الصليب، ولا يجاورنكم الخنزير.

(١) «أحكام أهل الذمة» (٦٥٧-٦٦٣).

(٢) وانظر «التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل» (ص ٧٠-٧١).

قال الشيخ الألباني: ورجاله ثقات غير حرام بن معاوية، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٢١ / ١) وأورده ابن أبي حاتم (٢٨٢ / ٢ / ١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وكان الشيخ يشير إلى صحة المعنى والشروط في أثر عمر رضي الله عنه الأول.

وعلى كل حال ثبتت القصة أو لم تثبت، فقد نص الأئمة على تلقي هذه الشروط بالقبول وجواز إنفاذها. وهي مقتضى الصغار في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال العلامة ابن القيم بعد ذكر هذه الشروط: وَشُهُرَةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ تُغْنِي عَنْ إِسْنَادِهَا، فَإِنَّ الْأَئِمَّةَ تَلَقَّوْهَا بِالْقَبُولِ وَذَكَرُوهَا فِي كُتُبِهِمْ وَاحْتَجُّوا بِهَا، وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُ الشُّرُوطِ الْعُمَرِيَّةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَفِي كُتُبِهِمْ، وَقَدْ أَنْفَذَهَا بَعْدَهُ الْخُلَفَاءُ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِهَا.

ثم قسم رحمه الله كتاب عمر إلى ستة فصول وشرحها شرحاً موسعاً:

الفصل الأول: فِي أَحْكَامِ الْبَيْعِ وَالْكُنَائِسِ وَالصَّوَامِعِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ.

الفصل الثاني: فِي أَحْكَامِ ضِيَافَتِهِمْ لِلْمَارَّةِ بِهِمْ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

الفصل الثالث: فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِضَرَرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ.

الفصل الرابع: فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَغْيِيرِ لِبَاسِهِمْ وَتَمْيِيزِهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَرْكَبِ وَاللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ.

الفصل الخامس: فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِإِظْهَارِ الْمُنْكَرِ مِنْ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ مِمَّا يُهْوَى عَنْهُ.

الفصل السادس: فِي أَمْرِ مُعَامَلَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ بِالشَّرِكََةِ وَنَحْوِهَا.

وقال أيضًا رحمه الله: وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة، بين العلماء من الأئمة المتبوعين، وأصحابهم، وسائر الأئمة، ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل طائفة فيها. اهـ<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فاتفق عمر رضي الله عنه، والمسلمون معه وسائر العلماء بعدهم ومن وفقه الله تعالى من ولاية الأمور على منعهم من أن يظهروا في دار الإسلام شيئًا مما يختصون به، مبالغة في أن لا يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها؟!<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: في شروط عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام وشارطهم بمحضر من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وعليه العمل عند أئمة المسلمين لقول رسول الله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وقوله: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» لأن هذا صار إجماعا من أصحاب رسول الله ﷺ الذين لا يجتمعون على ضلالة على ما نقلوه وفهموه من كتاب الله وسنة نبيه، وهذه الشروط مروية من وجوه مختصرة ومبسوطة. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٦٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٦٩).

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٥١).

وقال أيضًا: وهذه الشروط ما زال يجددها عليهم من وفقه الله تعالى من ولاية أمور المسلمين كما جدد عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خلافته وبالع في اتباع سنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان من العلم والعدل والقيام بالكتاب والسنة بمنزلة ميزه الله تعالى بها على غيره من الأئمة وجددها هارون الرشيد وجعفر المتوكل وغيرهما وأمروا بهدم الكنائس التي ينبغي هدمها كالكنائس التي بالديار المصرية كلها ففي وجوب هدمها قولان: ولا نزاع في جواز هدم ما كان بأرض العنوة إذا فتحت. ولو أقرت بأيديهم لكونهم أهل الوطن كما أقرهم المسلمون على كنائس بالشام ومصر ثم ظهرت شعائر المسلمين فيما بعد بتلك البقاع بحيث بنيت فيها المساجد: فلا يجتمع شعائر الكفر مع شعائر الإسلام كما قال النبي ﷺ: «لا يجتمع قبلتان بأرض» ولهذا شرط عليهم عمر والمسلمون رضي الله عنهم أن لا يظهروا شعائر دينهم. اهـ<sup>(١)</sup>

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]: أي: ذليلون حقيرون مهانون. فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء، كما جاء في «صحيح مسلم»، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ، من رواية عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب، رضي

---

(١) المصدر السابق (٢٨ / ٦٥٤).

الله عنه، حين صالح نصارى من أهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا. ثم ساق الأثر.<sup>(١)</sup>

فهذه نصوص الأئمة تدل على تلقي الشروط العمرية بالقبول وعلى مشروعيتها إنفاذها، وأن من وفقه الله عز وجل من الأمراء قد عمل بها وأنفذها. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون : ٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٧٧/٧).

## الفصل الثاني عشر: الغنوشي يلغي حد الردة قرباناً لصنم (حرية الاعتقاد)

إنه لما كانت (حرية الاعتقاد) دعوة باطلة مخالفة للإسلام وما يدعو إليه من استسلام جميع الناس لتوحيد رب العالمين، انبرت أصول الشريعة الإسلامية للداعين إلى (حرية الاعتقاد) فخطف أبصارهم ضوءها وصم آذانهم صوتها فما استطاعوا لها جواباً، فاستعاذوا من (التسليم) لما أنزله رب العالمين وشرعه المبين، ولم يجدوا لهم ملاذاً - كعادتهم - إلا (التحريف) و(التغيير) و(التبديل)!. ومن تلك الأصول التي انبرت تذود عن حياض العقيدة الإسلامية (مسألة الردة) التي أفضت مضاجع عباد (حرية الاعتقاد) فلم يهدأ لهم بال ولا ذاقت أعينهم طعم نوم حتى قدموها قرباناً لصنم (الحرية) طلباً للولاء (العلمانية) وبراءً من (الشريعة الإسلامية)!!

يقول راشد: ومن الإشكاليات التي تثار حول حرية العقيدة مسألة الردة... جريمة الردة: هل هي جريمة عقيدية تتمثل في الخروج من الدين بعد الدخول فيه، وذلك يستشكل مع حرية الاعتقاد المكفول!...<sup>(١)</sup>

ويطرح الغنوشي خلافاً مزعوماً فيقول: والخلاف دائر حول مسألتين: هل الردة جريمة سياسية تمثل في الخروج عن نظام الدولة، وبالتالي يترك للإمام معالجتها بما يناسبها من التعازير - أي الجرائم غير المنصوص على عقوبة معينة فيها - أم هي جريمة عقيدية تدخل ضمن جرائم الحدود التي هي حق الله فلا مناص للإمام من إقامة الحد فيها؟<sup>(٢)</sup>

---

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٣٥).

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٤١).

ثم بعد عرض الأقوال في المسألة، قول جمهور العلماء، قول عدد من المفكرين السياسيين، قول إعلان حقوق الإنسان!!<sup>(١)</sup> يأتي راشد فيرجح قائلاً:

وخلاصته: إن الردة جريمة لا علاقة لها بحرية العقيدة التي أقرها الإسلام! وأنها مسألة سياسية قُصد بها حياطة المسلمين وحياطة تنظيمات الدولة الإسلامية من نيل أعدائها وأن ما صدر من النبي عليه السلام في شأن الردة إنما هو باعتبار ولايته السياسية للمسلمين! وبذلك تكون عقوبة المرتد تعزيراً لا حداً. وأنها جريمة سياسية تقابل في الأنظمة الأخرى بجريمة الخروج بالقوة على نظام الدولة ومحاولة زعزعته وتعالج بما يناسب حجمها وخطرها من معالجات.<sup>(٢)</sup> ثم ذكر غثاءً من الكلام لا يستحق التعليق عليه.

النقد:

تعريف الردة: الردة لغةً: بمعنى الرجوع والتحول، قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]: يعني رجعا. ومن ذلك قيل: استردّ فلان حقه من فلان، إذا استرجعه منه، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]، وفيه: ﴿يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الروم: ٤٣]، قال ثعلب: يعني يوم القيامة؛ لأنه شيء لا يُردّ.<sup>(٣)</sup>

واصطلاحاً: المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر.<sup>(٤)</sup>

---

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٣٦-٣٧).

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٤٣).

(٣) انظر «لسان العرب» مادة (ردد)، و«تفسير ابن جرير» (٣/ ٦٦٦).

(٤) انظر «المغني» لابن قدامة (١٢/ ٨٦).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

تعريف الكفر: الكفر لغة: التغطية والستر، وسمي الفلاح كافراً لأنه يستر البذر ويغطيه في الأرض، كما يسمى الليل كافراً لأنه يغطي ما على وجه الأرض بظلامه، قال الشاعر:

يعلو طريقة متنه متواترا في ليلة كَفَرَ النجوم غمامها

ولهذا يقال سمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه كله. <sup>(١)</sup>

والكفر شرعاً: ضد الإيمان فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة وإن كان الكافر المكذب أعظم كفراً وكذلك الجاحد المكذب حسداً مع استيقان صدق الرسل. <sup>(٢)</sup>

والكفر نوعان: كفر أكبر مخرج من الملة، وهو على أقسام.

والنوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج عن الملة.

حكم المرتد والمرتدة: قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ \* إِلَّا

(١) انظر «لسان العرب»، و«غريب الحديث» لأبي عبيد، و«المصباح المنير» للفيومي.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٣٣٥).

الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١﴾ [آل عمران : ٨٦ - ٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة : ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة : ٢١٧].

وهذا الحكم المذكور في هذه الآيات شامل للحكم الأخروي والديني، فحكم عليه بأنه كافر في الدنيا والآخرة، أما من حيث الجزاء فلم تبين هذه الآيات إلا الجزاء الأخروي وهو الحكم عليه بالخلود في النار وحبوط الأعمال ولعنة الله عز وجل، وأما الجزاء الديني كحد من حدود الله فقد بينته السنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من بدل دينه فاقتلوه»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠١٧، ٦٩٢٢).

وفي قصة أبي موسى رضي الله عنه لما قدم عليه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له: أنزل وإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوْتَقٌّ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ قَالَ: اجْلِسْ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ. <sup>(١)</sup>

وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد. <sup>(٢)</sup>

وهناك أحكام تترتب على الردة كأن يعود مال المرتد فيئاً لبيت مال المسلمين، وأنه لا يورث، ولا يورث، وأنه إذا مات على رده فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وغيرها من الأحكام تطلب من كتب الفقه والتي يتبين من خلالها خطر الردة على الفرد والجماعة.

إذا تبين هذا، فلي مع كلام الغنوشي وقفات:

١ - زعمه أن هناك بين (مسألة الردة) وبين (حرية الاعتقاد) تعارض وإشكال، وهذا باطل وإنما نتج الإشكال عند من اعترف بـ (حرية الاعتقاد) وأما الإسلام الذي يرى بطلانها وأنها كفر وردة فلا إشكال.

٢ - اصطناع خلاف في مسألة مجمع عليها مع علمه بالإجماع، فإنه قال: ذهب جمهور العلماء إلى اعتبار الردة حدًا ملزمًا جاء النص عليه في السنة وأجمع عليه المسلمون. <sup>(١)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٣)، ومسلم برقم (١٧٣٣).

(٢) انظر «المغني» لابن قدامة (١٢ / ٨٦)، و«الإجماع» لابن المنذر (ص ١٧٤)، و«مراتب الإجماع» لابن حزم (ص ٢١٠).

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٣٦).

٣- جعله (المفكرين السياسيين) و(إعلان حقوق الإنسان) قسيماً لقول جمهور العلماء  
وما أجمع عليه المسلمون!! ومعلوم أن (المفكرين السياسيين) ليسوا بعلماء مجتهدين  
فلا يعتبر بوفاقهم ولا بخلافهم في الإجماع، فهم أمة حمقاء، وأمة تقاس بالعوام  
فضلاً عن (إعلان حقوق الإنسان) الصادر من الكافرين، والله عز وجل يقول:  
﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
[النساء: ١١٥]. وهؤلاء ليسوا بمؤمنين.

مع العلم أن كلا الطرفين مسبوق بإجماع فلا تجوز مخالفته.

٤- زعمه أن (مسألة الردة) مسألة سياسية لا تعلق لها بالعقيدة مع أن كل أحد يقرأ  
تعريف (الردة) وأنها رجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، ولم يقل أحد أن الردة  
الخروج على الدولة الإسلامية، ومعلوم أن المبيح لدم المرتد هو خروجه من الإسلام  
ودخوله في الكفر، قال شيخ الإسلام: فالمرتد يقتل لكفره بعد إيمانه وإن لم يكن  
محارباً<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً: ويقتل من قاتل منهم - يعني المرتدين - ومن لم يقاتل،  
كالشيخ الهرم والأعمى والزمن باتفاق العلماء، وكذا نساؤهم عند الجمهور<sup>(٢)</sup>.  
وقال أيضاً: وأما المرتد فالمبيح - يعني لدمه - عنده - يعني الإمام أحمد - هو الكفر  
بعد الإيمان وهو نوع خاص من الكفر، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٩٩/٢٠).

(٢) المصدر السابق (٤١٤/٢٨).

يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعه من الخروج عنه.<sup>(١)</sup>

وأما ما ذهب إليه أبو حنيفة أن الكفر مطلقاً إنما يقاتل صاحبه لمحاربتة، فمن لا حراب فيه لا يقاتل، ويسوى بين الكفر الأصلي والطارئ، فلا يُقتل المرتد لعدم الحراب منه، ولهذا يأخذ الجزية من غير أهل الكتاب وإن كانوا وثنيين. فهو قول باطل مخالف للنص الصريح عن رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» ولما أجمع عليه المسلمون من وجوب قتل المرتد محارباً كان أو غير محارب، وقد أجاب شيخ الإسلام عن مذهب أبي حنيفة بقوله: إن الاعتبار عند النزاع بالرد إلى الله وإلى الرسول، والكتاب والسنة دال على ما ذكرناه من أن المرتد يقتل بالإتفاق وإن لم يكن من أهل القتال إذا كان أعمى أو زمنياً أو راهباً، والأسير يجوز قتله بعد أسره وإن كان حرا به قد انقضى.<sup>(٢)</sup>

٥- زعمه أن ما صدر من النبي ﷺ في شأن الردة إنما هو باعتبار ولايته السياسية للمسلمين!! وهذا فيه طعن في النبي ﷺ وأن ما يصدر عنه ليس بشريعة غير ملزم، وهو القائل ﷺ: «فإني لا أقول فيهما - يعني في الغضب والرضا - إلا حقاً»<sup>(٣)</sup> ويلزم منه إلغاء هذا الحديث وعدم العمل به مع أن أهل العلم قد أجمعوا على العمل به، وعمل به أصحاب رسول الله ﷺ من بعده.

---

(١) المصدر السابق (٢٠/١٠٢).

(٢) المصدر السابق (٢٠/١٠٠).

(٣) إسناده صحيح. أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وأحمد (٦٥١٠)، والحاكم (١/١٠٥)، والدارمي (٤٩٠)، وابن أبي شيبة (٩/٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ثم إننا نسلم بصدور هذا الحكم من النبي ﷺ وهو يحكم المسلمين جميعاً ومن سلطة سياسية عليا، لكن ما الذي يلغي الصفة الشرعية لهذا الحكم، والسياسة من الدين ولا فصل بين الدين والسياسة، فهلا أعلنتها علمانية صريحة!!

٦- زعمه أن عقوبة المرتد تعزيراً لا حداً وتعالج بما يناسب حجمها، وهو في هذا مخالف للنص وللإجماع، ومعلوم ما يُخشى على من خالف النص والإجماع القطعي -الذي لا يعلم له منازع ولا يمكن فيه النزاع لوجود مستند الإجماع النص الصحيح الصريح «من بدل دينه فاقتلوه»- عن علم وعمد من الكفر والهلاك. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

٧- زعمه أن (الردة) جريمة سياسية تقابل في الأنظمة الأخرى بجريمة الخروج بالقوة على نظام الدولة ومحاولة زعزعته! وقد تقدمت الإجابة عن هذا، لكن الذي نريد بيانه هنا أن الردة نوعان: ردة فردية، وردة جماعية، وهذه الأخيرة قد تجمع بين الخروج من الإسلام إلى الكفر وبين الخروج على الدولة الإسلامية ويمكن أن يمثل لها بالردة الجماعية التي حصلت في أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ إذ شملت هذه الردة الجزيرة العربية ما عدا الحرمين والطائف. لكن يبقى الحكم في كلا الردين القتل وأن المبيح لدمه الكفر بعد الإيمان، خرج على الدولة أو لم يخرج، وقد تقدم.

والخلاصة: لو أن راشداً الغنوشي نزع كلمة (شيخ) و(مفكر إسلامي)<sup>(١)</sup> و(زعيم الحركة الإسلامية بتونس) وأعلنها علمانية صريحة لأراحنا من لعبه بأصول الشريعة الإسلامية وغشه لعقول المسلمين، وقد أنصف الشاعر إذ يقول:

تصدر للتدريس كل مهوسٍ      بليدٍ تسمى بالفقيه المدرس  
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا      بيت قديم شاع في كل مجلس  
لقد هزلت حتى بدا من هزالها      كُلاها وحتى سامها كل مفلس  
والله المستعان.

---

(١) وقد تقدم التنبيه على هذا اللفظ.

## الفصل الثالث عشر: الغنوشي يدعي حظر الرق

قال الغنوشي: إن المعنى الأصلي لكلمة الحرية في لغة العرب وفي استخداماته في العصور الإسلامية المتقدمة، لا يكاد يخرج في رأي صاحب «مقاصد الشريعة» عن كونه معنى مضاداً للرق والعبودية، فالحر هو المقابل العبد. ولأن (الشارع متشوف للحرية) كما هي العبارة الماثورة عن العلماء، فإنه وإن لم يحظر الرق بقرار حاسم بسبب أن نظام العالم كان قائماً عليه يومئذ فإنه قد عمل على تخفيف ينابيعه وقطع دابره جرياً على عادته في التدرج. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: وأيضاً فيما يتعلق بإشكالية الرق فقد جاء الإسلام بالحرية والعتق ولم يأت بالرق الذي كان وضعاً عالمياً سائداً عمل الإسلام على تصفيته بالتدرج كما هي عادته، وذلك تحقيقاً لمقصد من مقاصد الشريعة عبرت عنه كلمة تداولتها السنة الفقهاء (إن الشارع متشوف إلى الحرية). اهـ<sup>(٢)</sup>

النقد:

الرق بالكسر، لغة: الملك والعبودية، ورق صار في رق... وعبد مرقوق ومرق ورقيق وجمع الرقيق أرقاء وقال اللحياني: أمة رقيق ورقيقة من إماء رقائق فقط وقيل الرقيق اسم للجمع واسترق المملوك فرق أدخله في الرق واسترق مملوكه وأرقه وهو نقيض أعتقه.<sup>(٣)</sup>

---

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ١٦-١٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٧).

(٣) «لسان العرب» مادة (رقق).

وشرعاً: عجز حكمي يقوم بالإنسان بسبب الكفر<sup>(١)</sup>. بمعنى أن الشارع حكم على هذا الإنسان بعدم نفاذ تصرفه بسبب كفره بالله لا بسبب عدم حسن التصرف كما في الصبي والمجنون. فالمانع من نفوذ التصرف في الرقيق مانع حكمي، والمانع في الصبي والمجنون من ذلك مانع حسي.<sup>(٢)</sup>

والرق حق لله تعالى ابتداءً يثبت جزاءً على الكفر به، ولذا لا يثبت على المسلم ابتداءً، ثم صار حقاً للسيد بقاءً بمعنى أن الشارع جعله ملكاً بغير نظر إلى معنى الجزاء والعقوبة حتى أنه يبقى رقيقاً وإن أسلم.<sup>(٣)</sup>

وقد حث الشرع على العتق وهو تحرير الرقبة وتخليصها من الرق، والأصل فيه الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣]، وقال تعالى: ﴿فَكَ رَقَبَةٍ \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ \* يَتَبَيَّأُ ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣ - ١٥].

قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup> وأجمعت الأمة على صحة العتق وحصول القربة به.

---

(١) «فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب» (١ / ١١).

(٢) «التحقيقات المرضية» (ص ٥١)، و«حاشية الباجوري على شرح الشنشوري على متن الرحبية» (ص ٥٥).

(٣) «التحقيقات المرضية» (ص ٥١).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٥١٧)، ومسلم برقم (١٥٠٩).

والعتق من أفضل القرب إلى الله تعالى لأن الله تعالى جعله كفارة للقتل والوطء في رمضان والأيمان وجعله النبي ﷺ فكاً لمعتقه من النار ولأن فيه تخلصاً للأدمي المعصوم من ضرر الرق وملك نفسه ومنافعه وتكميل أحكامه وتمكنه من التصرف في نفسه ومنافعه على حسب إرادته واختياره. <sup>(١)</sup>

وزعم الغنوشي (أن الإسلام حظر الرقة تدريجياً وأنه كان واضحاً عالمياً سائداً عمل الإسلام على تصفيته بالتدرج) كذب على الله ورسوله، فهذا كتاب الله وسنة رسوله يدلان عليه ولم يأت نص واحد في نسخه، وهذه كتب الفقهاء تخر بأحكام الإسترقاق والعتق والتدبير والمكاتب... ولم يقل أحد من العلماء بحظره ونسخه فإن الإسترقاق باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ما رُفعت رايات الجهاد في سبيل الله تعالى، والسبب في عدم وجود الإسترقاق في هذا العصر هو ما آل إليه أمر المسلمين من الضعف بسبب تسلط الكافرين وكيد المنافقين وبعد المسلمين عن دين ربهم الذي يورث لهم العز والمكنة. وليس هذا خاصاً بمسألة (الرق) فكثير من الأحكام الشرعية انعدمت لهذا السبب كأحكام أهل الذمة من جزية وغيرها، وجهاد الطلب... ولم يقل أحد أن صفتها الشرعية زالت ولم تبق إلا الصفة التاريخية التي ينظر إليها كتاريخ أمة واصطلاح وضع اقتضته طبيعة ذلك المجتمع انقضى وولّى... بل ما زالت هذه الأحكام تَحِنُّ إلى حلقة العالم وسيف المجاهد وعدل السلطان... ولا تزال بحمد الله في الأرض بقية على الحق قائمة بأمر الله تبذل الأسباب في رجوع عز المسلمين.

---

(١) «المغني» (١٢ / ٢٥٤).

ومن الأدلة أيضًا على بطلان ما يزعمه راشد من حظر الرق أن الله عز وجل علق على الرق أحكامًا هي باقية إلى قيام الساعة في أبواب الجهاد والكفارات والزكاة والفضائل وغيرها، فجعل العتق - على سبيل المثال - كفارة للعتق والوطء في رمضان والأيمان، ولو قلنا بحظر الرق - على ما زعم - للزم إلغاء كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة عليها.

ومن الأدلة أيضًا ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي صدر به الإمام مسلم رحمه الله «صحيحه»، وفيه: «فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها قال: أن تلد الأمة ربتها» الحديث.

وقوله في الحديث: (أن تلد الأمة ربت) وفي موضع آخر (ربها): أي مولاتها، قيل معناه: أن يكثر أولاد السراي حتى تكون الأم كأنها أمة لابنتها لما كانت ملكًا لأبيها، وقيل: يحمل على أنه يكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان، حتى يملك المشتري أمه وهو لا يعلم، لكثرة تداول الأملاك لها.<sup>(١)</sup>

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على بقاء الإسترقاق ووجود (الرق) بل وكثرته إلى حين ظهور أشراط الساعة.

وما تشبث به راشد وهي العبارة المتداولة على ألسنة الفقهاء (إن الشارع متشوف إلى الحرية) لا تدل بحال على حظر (الرق) وغاية ما تدل عليه أن الشرع حث على العتق وجعله من أفضل القربات وفكًا لمعتقه من النار فهو مستحب في حق المعتق ولم يوجبه عليه إلا في

---

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٢٠٥).

حالات معينة منها: في الكفارات، أو القوة وهي السّراية، أو ملك ذي الرحم...<sup>(١)</sup> ثم إن الشرع حث على عتق من يَتَنَفَّع بالعتق، أما الكافر الذي لا خير فيه، ومن يُخَاف عليه المُضِيُّ- إلى دار الحرب أو الرجوع عن دين الإسلام أو الفساد بسرقة أو قطع طريق أو الزنا، فحكوا في عتقه الكراهة، وإن غلب على الظن إفضاؤه إلى هذا كان محرماً<sup>(٢)</sup>، وقد قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ» فعلق الإعتاق والثواب المترتب عليه كون المعتق (مسلمًا)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، فعلق وجوب أو استحباب المكاتبه<sup>(٣)</sup> على العلم بوجود الخير في المكاتب، والكافر لا خير فيه، فبقاؤه على الرق والخضوع لسيده أولى.

فتبين بهذا بطلان ما يذهب إليه الغنوشي من حظر الرق وأن الذي دلت عليه الأدلة مشروعية (الإسترقاق) وأن أحكامه باقية إلى قيام الساعة.

ولنا وقفة بعد هذا - إن شاء الله - مع (كسر طاغوت: نزع الصفة الشرعية وإضفاء الصفة التاريخية على الأحكام الإلهية).

---

(١) وإن كان في السراية وملك ذي الرحم يُعتَق عليه وإن لم يُعتَق هو بنفسه.

(٢) انظر «المغني» (١٤ / ٢٥٥).

(٣) فإنهم اختلفوا، هل الأمر في الآية ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ للوجوب أو للإستحباب؟.

## الفصل الرابع عشر: كسر طاغوت: نزع الصفة الشرعية وإضفاء الصفة

### التاريخية على الأحكام الإلهية

إن من خلال ما تقدم يتبين مدى تلاعب الغنوشي بأصول الشريعة الإسلامية ومحاولة طمسها، كل ذلك مدهنة وتملقاً ومجارة للغربيين، ولسان حاله يقول<sup>(١)</sup>:

إن الشرائع أَلَقْتُ بَيْنَنَا إِحْنًا      وأودعتنا أفنانين العداوات  
إلا أن أصول الشريعة أعيتهم بوضوحها وصراحتها وقوتها، وذلك أن الله عز وجل وعد بحفظ دينه وصيانتها من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، قال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذكر شامل للقرآن وللسنة، إذ أن السنة تبين القرآن وتفسره، ومن حفظ المبيّن حفظ المبيّن.

ومن تلك الأساليب البائسة التي يسلكها الغنوشي وغيره لتحريف وتبديل أصول الشريعة نزع الصفة الشرعية لتلك الأصول وإضفاء الصفة التاريخية عليها، فهي عبارة عنده عن ظروف أو اصطلاح اقتضته طبيعة ذلك المجتمع العربي (ليس الإسلامي!) وأن ما صدر عن رسول الله ﷺ إنما ذلك باعتبار سلطته السياسية العليا وليس بتشريع ولا دين ملزم!! والأمثلة على ذلك تقدمت، كمسألة الردة، وعقود أهل الذمة، والرق، وستأتي مسألة القرشية في الإمامة العظمى.

وهذا مسلك خطير يُستخف به عقول المسلمين، وتُمرر عليهم من خلاله الشبهات، وإذا علم المسلمون أن الله عز وجل أكمل الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

---

(١) البيت للمعري.

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿[المائدة: ٣]﴾، وأن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان وكل عصر من الأعصار لا يتبدل ولا يتغير بتغيرهما، وأنا لسنا بحاجة إلى ما عند الغربيين الكافرين، وأن ديننا الإسلام كامل وشامل لا نقص ولا عيب فيه بوجه من الوجوه، وأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله تعالى، وجميع ما يصدر عنه وحى من الله وتشريع ملزم، وأنه ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر به فمصلحته راحة وما نهى عنه فمفسدته راحة بلا شك، وأنه ﷺ ما من خير إلا دل الأمة عليه وما من شر إلا حذرنا منه، انكشفت عندهم - إن شاء الله - جميع شبهات ودعوات هؤلاء المغرضين، الذين يشترون بدين الله ثمنًا قليلًا والله من وراء القصد نعم المولى ونعم النصير.

ومما يبين خطورة هذا المسلك أنه قد تناولت أيادي أناس إلى تطبيقه على القرآن الكريم، فأحيوا عقيدة المعتزلة في القول بخلق القرآن لينزعوا عن كتاب الله عز وجل صفة القداسة والصفة الإلهية ويضعفوا عليه (الصفة التاريخية) ثم من خلاله يتمكنون من إعمال (النقد التاريخي) في القرآن الكريم!!

يقول الرافضي محمد حسين فضل الله الملقب بـ (آية الله!) <sup>(١)</sup>: ويتساءلون - يريد علماء النصارى - بعد ذلك هل يمكن أن نطبق النقد التاريخي على القرآن الكريم كما نطبقه على الكتاب المقدس ليكون الحوار حرًا في الدائرة العلمية الدقيقة؟

---

(١) رافضي هالك ولد في النجف سنة (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٣ م)، ودرس فيها على كبار علماء الشيعة إذاك. هاجر إلى لبنان سنة (١٣٨٧ هـ - ١٩٧٦ م) أسس في بيروت (المعهد الشرعي الإسلامي) وهو حوزة شيعية خرجت العديد من علماء الشيعة في لبنان، وقف مع الثورة الإيرانية بقيادة الخميني وانخرط في دوامة الحرب الأهلية في لبنان، ويعد المرجع الروحي لـ (حزب الله) في لبنان. من مؤلفاته «أسلوب

نلاحظ في ذلك أن علماء المسلمين دخلوا في مناقشات علمية في مفاهيم القرآن، أكثر حدة وقساوة على الإيمان من المناقشة في الجانب التاريخي فيه. وذلك في المسائل المتعلقة بالإيمان كالتجسيم والجبر ونحو ذلك، فانطلقوا في خط التأويل للظواهر في المسائل التي تختلف مع العقل القطعي، أو الحجة الفكرية، مما يجعل مناقشة التاريخ القرآني ممكنة في المنهج العقلي الإسلامي، والذي يعتمد إلى التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن، على أساس القواعد العربية البلاغية العامة.<sup>(١)</sup>

ثم يعرض إلى مدى إمكانية مناقشة التاريخ الإسلامي فيقول (آية الله!): إن الحوار لا بد أن يركز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكل منهما ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول مثل (الإبنية المتجسدة) أو (التثليث المادي المتعدد)، أو نحو ذلك مما يقول

=

الدعوة في القرآن»، «قضايا على ضوء الإسلام»، «الحوار في القرآن»، «الإسلام ومنطق القوة»، «في خطى كربلاء». انظر كتاب «آية الله السيد محمد حسين فضل الله داعية حوار... أم ذمية» عماد شمعون (ص ١٥-٢٥) نقلاً من كتاب «دعوة التقريب بين الأديان دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية». قلت: وقد أثنى عليه الغنوشي ووصفه بـ (الداعية الكبير!) في كتابه «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٧).

(١) «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي» آية الله السيد محمد حسين فضل الله (ص ١٠٩)، و «العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحضارة والمستقبل» (ص ٥٠-٥١) نقلاً عن المصدر السابق.

بعض المسيحيين عنه بأنه لا يمثل منهم العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لوناً من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون فلا يجوز لهم أن يلزموهم به كما لو كان يمثل الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقيدي.<sup>(١)</sup>

وهكذا يتوالى تقرير هذا المسلك الخطير على نفس النمط، فيقول طريف الخالدي<sup>(٢)</sup>: أرى من بين تلك المشكلات التي يجب الخوض فيها من جديد مسألة: (خلق القرآن)، فالقول بخلق القرآن يعني أن القرآن تاريخي وهذا أمر مهم جداً يتيح لنا أن ننظر من خلاله إلى الإسلام كظاهرة تاريخية لا كنظام أزلي!! كنص ينبغي أن نعيد فهمه باستمرار على ضوء آخر ما استجد من العلوم البشرية وآخر ما وصلنا إليه من فهم لتاريخ الحضارة الإسلامية!

ثم يقول متابعاً: وهنا نعود فنلتقي مع اللاهوت المسيحي لنؤكد ونشهد إذا كان الإسلام بالفعل خاتم الأديان فهو لا يختتم حقاً إلا بالمسيحية أي أن كماله مشتق من كمالها كما تجلى ذلك في تاريخ الحضارة العربية. وإذا ألقينا نحن المسلمين نظراً على اللاهوت المسيحي لنرى ماذا يفرقنا عن بعضنا البعض، نرى أن التثليث على عكس ما قد يتصوره البعض، هو أهون العوائق بيننا!!<sup>(٣)</sup> أما أصعب العوائق فيما بيننا فهو على عكس ما قد يظنه البعض، مسألة

---

(١) «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي» آية الله السيد محمد حسين فضل الله (ص ١٠٩)، و «العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحضارة والمستقبل» (ص ٥٠-٥١) نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) «اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي» طريف الخالدي نقلاً عن المصدر السابق.

(٣) وكيف يكون الكفر بالله أهون العوائق بين المسلمين والنصارى؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا \* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٩، ٩٠].

صلب المسيح فالصليب طريق الخلاص في المسيحية جمعاء عربية كانت أم غربية ونفي الصليب واضح وصريح في القرآن ولكنني أرى أن حتى هذا العائق لا يشكل في الواقع عائقاً حقيقياً<sup>(١)</sup>. فالمسلم أيضاً يحمل معه (صليبه)<sup>(٢)</sup> الذي يؤدي به إلى الخلاص كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]<sup>(٣)</sup>.

(١) كيف لا يكون عائقاً وهو كفر بما أخبر الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

(٢) وهذا من الهراء والهذيان والمس الشيطاني!!.

(٣) يقول الإمام ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وكل إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ مثل لما كانت العرب تتفعل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيراً، أو كان سعداً يورده جنات عدن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ثم قال: فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوق، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنائيات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يده، وإن كان الذي جر عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾. «التفسير» (١٤/ ٥١٨-٥٢١). قلت: إذا كان نفي الصليب واضح وصريح في القرآن كما يقول (الخالدي) فلم هذا

التفسير الباطني لآيات الكتاب؟!

فالحذر الحذر أيها المسلمون من هذا المسلك الخطير الذي يستعمله هؤلاء في هدم معاقل الدين وطمس معالمه وكونوا على بصيرة بما يحاك للإسلام ويكاد لأهله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠].

## الباب السادس:

- الفصل الأول: الغنوشي يستقسم بأزلام الديمقراطية.
- الفصل الثاني: الفروق بين الشورى والديمقراطية.
- الفصل الثالث: الغنوشي: تارك الشورى مثل تارك الصلاة.
- الفصل الرابع: دعوة الغنوشي إلى التحزب والتعددية الحزبية.
- الفصل الخامس: دعوة الغنوشي للإسلاميين إلى دخول المجالس البرلمانية.
- الفصل السادس: دعوة الغنوشي إلى إنشاء الجمعيات الحزبية.

## الفصل الأول: الغنوشي يستقسم بأزلام الديمقراطية

قال راشد: وإذا كان الجهاز الديمقراطي المذكور قد عمل في إطار (القيم المسيحية!) فأنّج المسيحيات الديمقراطية، وفي إطار الفلسفة الاشتراكية فأنّج الديمقراطيات الاشتراكية، وفي إطار (القيم اليهودية!) <sup>(١)</sup> فأنّج الديمقراطية اليهودية، وفي سياق البوذية والهندوسية فأنّج ديمقراطيات هي الأعظم مثل الهند واليابان.. فهل مستحيل أن يعمل في إطار قيم الإسلام ليتّج الديمقراطية الإسلامية؟ <sup>(٢)</sup> نحن مع هذا التوجه، ونرى فيه خيراً عظيماً لا لأمة الإسلام المكبلة بنيران الاستبداد فحسب - وحتى ظلال الحكم الإسلامي مع استبعاد

---

(١) القيم لغة: الاستقامة. قال كعب بن زهير:

فهم صرفوكم حين جُزُئتم عن الهدى      بأسيا فهم حتى استقمتم على القيم  
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]. ﴿دِينًا قِيمًا﴾ قال الإمام ابن جرير: يقول مستقيماً. وقال ابن كثير: أي قائماً ثابتاً. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].  
قال الراغب: فالقيمة ههنا اسم للأمة القائمة بالقسط المشار إليهم بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]. مفردات القرآن (ص ٦٩١).

إذا تبين هذا فلا يجوز تسمية كفر وشرك النصرانية واليهودية (قيماً!) فإن الإسلام هو الدين الوحيد المستقيم الثابت المقوم لأمر معاش العباد ومعادهم.

(٢) والجواب الحق: نعم مستحيل لأن الإسلام والديمقراطية نقيضان: لا يجتمعان في قلب امرئ مسلم ولا يرتفعان بل يجب وجود أحدهما دون الآخر فإما الإسلام وإما الكفر.

الجهاز الديمقراطي كما هي تجربة السودان وأفغانستان لم تقدم للإسلام خيرًا بقدر ما كانت كَلًّا عليه<sup>(١)</sup> - إنما للبشرية كلها. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: مطلوب من أبناء الصحو الإسلامية أن يؤصلوا مبادئ الحرية والشورى والديمقراطية بكل أبعادها في أرض الإسلام ومنظوره وأن يتعاونوا مع كل القوى المناهضة للإستبداد والمدافعة عن حقوق الإنسان والديمقراطية من كل ملة! داخل العالم الإسلامي وخارجه. فالإستبداد شر كله وليس هناك من نعمة بعد الهداية أفضل من الحرية وهذه طريقة تلك. اهـ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضًا: ونظرًا لأن معنى التعددية لم يترسخ في فكرنا المعاصر فقد استحدث بعض الإسلاميين مشاكل وهمية، مثل العلاقة بين الديمقراطية والإسلام، مع أن الديمقراطية كأسلوب هي أحسن أداة وأفضل هدية قدمها العصر لتطبيق مفهوم الشرع. اهـ<sup>(٤)</sup>

وقال: وأسوأ ما في الأمر أن المسلمين أو قل طائفة شاذة منهم بدل أن تحمد هذا التطوير المهم الذي أنجزه الغرب في موضوع الشورى بما نقله من مستوى المبدأ النظري والموعظة

---

(١) فالغنوشي يرى أن الحكم الإسلامي كُلُّه وثقيل وأعشى الإسلام!! وفي الواقع أن الغنوشي هو الكلُّ على الإسلام وأهله، أينما توجهه لا يأت بخير، والله المستعان.

(٢) «الحرريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٨٥).

(٣) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٧-٨).

(٤) المصدر السابق (ص ٢١).

الخلقية<sup>(١)</sup> إلى أنظمة للحكم والإدارة بدل أن يحمّدوا ذلك معلّنين: هذه بضاعتنا ردت إلينا كما فعلوا مع أشياء أخرى طورها الغرب في الطب والزراعة والنقل والتصنيع تراهم قد استوحشوا تلك الآليات المنظمة للشورى معلّنين الحرب على الديمقراطية.<sup>(٢)</sup>

وقال: عند الحديث عن الإسلام والديمقراطية نجد ثمة وهمًا يشترك فيه للأسف بعض الإسلاميين وبعض الغربيين إذ يلتقي موضوعيًا بعض الإسلاميين وبعض خصوم الإسلام على أن الإسلام ضد الديمقراطية وهذا من أعجب الغرائب. ويستند موقف الإسلاميين غير المختصين في العلوم السياسية إلى مجرد تلقينات تصنف الأشياء تصنيفًا بسيطًا، مفاده أن الحكم الإسلامي هو (حكم الله) وأن الديمقراطية هي (حكم الشعب) إذا فهمنا نقيضان، فالديمقراطية كفر وشرك. اهـ<sup>(٣)</sup>

وقال: ونحن الإسلاميين نرفض بشدة فتاوى أنظمة الأقليات المستبدة التي بلغ بها الإستهتار بشعوبها وإيغالها في النفاق!<sup>(٤)</sup> إلى حد إصدار الفتاوى بتحريم النظام الانتخابي بدعوى رفض الابتداع وتقليد الغرب متغافلين أن الحكمة ضالة المؤمن وأنه حيث المصلحة والعدل فثم شرع الله، وأن الديمقراطية آلية ممتازة لتجسيد الشورى في إطار قيم الإسلام،

---

(١) والشورى مبدأ إسلامي عملي يقوم على تنظيم الدولة الإسلامية وتطبيق حكم الله في الأرض، وليس نظريًا وموعظة فحسب.

(٢) المصدر السابق (ص ٧٣-٧٤).

(٣) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ١٥٤).

(٤) وهذا رمي بالنفاق وتكفير لكل من يقول بتحريم النظام الانتخابي والديمقراطي، ولا غرابة أن يصدر هذا من الغنوشي فإنه قد رضع لبان الخارجية صغيرًا من خلال كتب سيد قطب والبنا....

وأن جوهر دعوات المصلحين منذ قرنين هو تقييد سلطة الحاكم بالقانون، مما اعتبره المصلحون سر تقدم الغرب وتأخرنا. وسنرى كيف يمكن للإسلام أن يستوعب النظام الديمقراطي الغربي فيحفظ للمسلمين والبشرية إيجابيته في ما قدمه للفكر السياسي من إضافة حقيقية تتمثل في تحويل مبدأ الشورى الذي جاء به الإسلام أي اشتراك الأمة في الحكم وانبثاقه عن إرادتها وقوامتها على حكامها وتحويله من مواعظ ومبادئ عامة إلى جهاز للحكم مثلما فعل العقل الغربي مع تراثنا في الهندسة والجبر إذ حولهما إلى تقنية منظورة وذلك بعد من أبعاد الثورات العلمية والعنصرية الغربية: القدرة على تحويل الأفكار والقيم إلى آلات، فهل نرفض هذه التقنيات الصناعية والسياسة لمجرد أنها صُنعت في الغرب؟ أم نقول هذه بضاعتنا ردت إلينا، والحكمة ضالة المؤمن... وحيث المصلحة ثم شرع الله. اهـ<sup>(١)</sup>

والنصوص عن الغنوشي في ذلك كثيرة جداً.

النقد:

تعريف الديمقراطية:

الديمقراطية إحداث غربي معناها: حكم الشعب نفسه بنفسه.

نشأة الديمقراطية:

إن (الديمقراطية) مبنى ومعنى نشأت في تربة الكفر والإلحاد، وترعرعت في منابت الشرك والفساد. فمن اليونان القديم حيث كان الإلحاد والشرك أعتى بكثير مما كان في الجزيرة

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٨٣-٨٤).

العربية قبل البعثة وإلى روما وهي مصنع الظلم ومأوى العُتاة، نشأت هذه اللفظة هناك في تلك الأجواء تحمل كل سمومها وفسادها، وانبتات جذورها عن فكرة الإيمان، وتربة الإحسان، وري العقيدة. ولم تستطع أن تثبت وجودها في العالم الغربي إلا بعد أن تم فصل الدين عن الدولة في داخل دولهم<sup>(١)</sup> وظل الدين أداة استغلال للتبشير والاستعمار خارج حدودهم. فصارت الديمقراطية في العالم الغربي مبتوتة الصلة عن الله، عن الإيمان، عن العقيدة، عن الدين. وامتدت في حياتهم نظامًا يحمل كل معاني الحياة المادية البحتة، ومعاني النظم المتفلتة. لقد قدمت مع أول مسيرتها للغافلين بريق الحرية المطلقة الموهومة، والعدالة المتفلتة المضطربة.. ثم أخذت الأيام تنزع عنها قناعًا بعد قناع، وستارًا بعد ستار، حتى انتشرت الجريمة في المجتمع الديمقراطي نفسه انتشارًا لم تعرفه المجتمعات الكافرة، فلم يعد الإنسان يأمن على حياته أو ماله أو عرضه. وأصبحت تجد إعلانات التحذير في الفنادق والشوارع ووسائل المواصلات وفي كل مكان. لقد حملت الديمقراطية في داخلها عناصر موتها وهلاكها، مغلفة بالبريق الخادع والزخرف الكاذب.<sup>(٢)</sup>

والغنوشي يؤمن بهذه الحقيقة في نشأة (الديمقراطية) وأنها غريبة المصدر والمنشأ، ولا يستطيع أحد من الناس أن ينكر هذه الحقيقة، إلا معاند مكابر في البدييات والمسلمات التي حكايتها تغني عن الاحتجاج لها وإقامة البراهين عليها.

---

(١) أما في الإسلام: السياسة من الدين، ولا فصل للدين عن الدولة.

(٢) «الشورى لا الديمقراطية» لعبدنان علي رضا النحوي (ص ٣٥-٣٦).

وغاية ما يزعمه الغنوشي أن (الديمقراطية) تطوير من الغرب (الكافر) لمبدأ الشورى الإسلامية!.

قال الغنوشي: إن النظام الديمقراطي ليس بناءً مصطنعاً من طرف منظرين أو قانونيين أو مفكرين سياسيين، إنه نتيجة تطور تاريخي بعيد المدى، استُمدت كثير من مبادئه وقيمه من تجارب الحكم وتطورات الفكر التي عرفتها أوروبا في القرون الوسطى وما بعدها خلال النهضة والإصلاح، ومن التراث الحضاري الإنساني، ولا تزال تتطور بطريقة تدريجية أحياناً (في انجلترا) وثورية (في فرنسا) أحياناً أخرى حتى أصبحت أساساً لنظام جديد مستفيدةً من عناصر قديمة بما يتفق مع منطقها، وقد تأثرت بما تحقق من تطور علمي وانعكاسه على نمو الإنتاج وعلى تقدم وسائل النقل، وما تأدى إليه هذا الأخير من اكتشافات لعوامل جديدة جلبت معها تكدس ثروات عظمت في أوروبا، بما اختلت معه موازين القوى لصالحها. ولم يكن هذا التطور في بنية الحكم ووسائل الإنتاج منفصلاً عن اتصال الأوروبيين خلال حجهم وحروبهم الصليبية بالمسلمين، مما كان له أبلغ الأثر في انقلاب البنيات والقيم الاجتماعية، كان النظام الديمقراطي الحر ثمرة كل ذلك. لقد كان لاتصال أوروبا بالعالم الإسلامي وقع الصدمة النفسية التي ساهمت في إيقاظها من غفوة الإقطاع وغيوبة الدين الكنسي ودكتاتورية الملوك والأرستقراطيين. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٧٠).

فإذا كانت الديمقراطية حادثة النشأة وغربية المصدر - مع ما سيأتي بيانه من تصادمها كلياً مع الإسلام والشورى - بطل حينئذ ما يزعمه الغنوشي من أن (الديمقراطية) بضاعتنا ردت إلينا.

### الخصائص الأساسية للنظام الديمقراطي:

يقول محمد شاعر الشريف في كتابه «حقيقة الديمقراطية» (ص ١٤): يتميز النظام الديمقراطي بمجموعة من الخصائص الأساسية التي لا قيام له بدونها، بحيث يصدق القول على كل نظام لا توجد فيه إنه نظام غير ديمقراطي، وأبرز هذه الخصائص الأساسية وأظهرها أمران هما:

١ - سيادة الشعب أو الأمة.

٢ - الإقرار بحقوق الأفراد وحياتهم وضمانها.

يقول الغنوشي: والخلاصة: أن النظام الديمقراطي شكل ومضمون. شكل يتمثل في إعلان مبدأ سيادة الشعب وأنه مصدر كل سلطة وهي سيادة يمارسها عبر جملة من التقنيات الدستورية والإجراءات العملية التي تختلف في جزئياتها بين نظام وآخر، ولكنها تكاد تتفق على مبادئ المساواة والانتخاب وفصل السلطات والتعددية السياسية وحيات التعبير والتجمع والتنقيب والإقرار للأغلبية بالتقرير والحكم، وللأقلية بحق المعارضة من أجل التداول، وانتهى تطورها إلى الإقرار للمواطن بجملة من الضمانات الاجتماعية. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٧٢).

## ١ - فما معنى سيادة الشعب؟

السيادة هي تلك السلطة العليا التي تملك حق التشريع والتي لا تعرف بجانبها أو فوقها فيما تنظم من علاقات سلطة عليا أخرى، فهي سلطة تسمو فوق الجميع وتفرض نفسها على الجميع بما تملك من سلطة الأمر والنهي العليا.<sup>(١)</sup>

وهنا يثور السؤال: من هو صاحب هذه السيادة؟ من هو صاحب السلطة العليا، الآمرة، الناهية، المشرعة، التي تعلو فوق جميع السلطات؟!

لقد أجابت الأنظمة الديمقراطية على هذا السؤال بوضوح تام وصراحة كاملة وقالت: إن صاحب السيادة هو الشعب أو الأمة، فيقال على هذا: السيادة للشعب أو للأمة، ويقال في تعبير مرادف: الشعب مصدر جميع السلطات أو الأمة مصدر جميع السلطات والمراد بالسلطات هنا:

١ - السلطة التشريعية: ومهمتها تشريع الأحكام والقوانين وتعديلها وإلغاؤها ومراقبة تنفيذها.

٢ - السلطة التنفيذية: ومهمتها القيام بتنفيذ القانون العام أو الإرادة الشعبية.

٣ - السلطة القضائية: ومهمتها القضاء في كل ما يعرض عليها على وفق الأحكام والقوانين التي تصدرها السلطة التشريعية.

---

(١) «الحاكم وأصول الحكم» (ص ٦٩).

فالشعب أو الأمة هو مصدر جميع هذه السلطات، وهذا يعني أن الحكم بمدلوله الشامل للتشريع والقضاء والتنفيذ إنما هو للشعب أو الأمة.

ومؤدى ذلك أن كلمة: السيادة للشعب تعني أن الحكم للشعب، أو حكم الشعب أو سلطة الشعب. وقد مر بنا أن ذلك هو تعريف الديمقراطية أيضًا، فماذا يعني هذا؟! يعني أن مبدأ سيادة الشعب هو الركيزة الأساسية في الفكر الديمقراطي والعمود الفقري في الأنظمة الديمقراطية، لأنك إذا عرفت الشيء بجزء منه أو بأحد أركانه دل ذلك على أهميته وعظمه، ومعنى ذلك أيضًا أنه لا ديمقراطية بغير سيادة للشعب.<sup>(١)</sup>

فلم يتركوا الله عز وجل شيئًا!! وهو القائل سبحانه: وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَنْقُصُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

---

(١) «حقيقة الديمقراطية» (ص ١٤-١٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وأمرنا بعباد الله أن يتحاكموا إلى ما صنعتها أيادي البشرية واستحسنته عقولهم الضئيلة من خلال عد الأيدي المرفوعة في البرلمانات والرؤوس المهزوزة، وكأن دين الله عملية حسابية وليس أحكامًا تشريعية!! والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

فأساس هذه الفكرة كفر وردة عن الإسلام، وتطلب لدين جديد ﴿أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فالحكم الديمقراطي بمقتضى تعريف الديمقراطيين له يلاحظ فيه أمران:

الأمر الأول: استبعاد حق الله الذي له الحكم كله أصلاً، وبأمره تأتي سلطة كل من له سلطة من بعده. وبسبب هذا يكون الحكم الديمقراطي مبيناً للحكم الإسلامي، لأننا قد عرفنا سابقاً أن الحكم الإسلامي قائم على أن الأصل في الحكم إنما هو الله وحده.

الأمر الثاني: عدم إقرار الحكم الديمقراطي بأحكام الشرع ووجوب تنفيذها أولاً، وهي الأحكام الشاملة لأحكام الله وأحكام رسوله ﷺ واستنباطات المجتهدين من فقهاء المسلمين الذين يستنبطون أحكام الشرع بالاجتهاد الذي أذن الله لهم به.<sup>(١)</sup>

فظهر أن الديمقراطية مبينة تماماً للإسلام، فهي حكم طاغوتي لا يستند إلى شرع ولا دين.

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٠-٢١).

## ٢- الإقرار بحقوق الأفراد وحياتهم وضمانها:

الأمر الثاني من الخصائص الأساسية للنظام الديمقراطي هو الإقرار بحقوق الأفراد وحياتهم وضمانها، وبهذا الشعار الزائف لمع بريق الديمقراطية ووجد له رواجاً في بلدان المسلمين لا سيما في البلدان التي تعيش ظلم حكامها واستبدادهم، فاعتنقها ضعاف النفوس وطبلوا وصفقوا لها وبحت أصواتهم في تأييدها والدعوة إليها، دون نظر في أصلها ومصدرها والآثار المترتبة عليها، فافتتنوا بالشعارات ونصبوا الرايات.

(فصل الدين عن الدولة)

(الدين لله والوطن للجميع)

(الوطنية والقومية العربية)

(السلطة للشعب.. حكم الشعب)

(رأي الأغلبية)

(العلمانية)

(مساواة المرأة بالرجل.. ورفع الحجاب عنها)

فغرههم السراب.. وجانبوا الصواب.. وما تلك إلا حكمة رب الأرباب.

ومن هنا نخرج على بعض تلك الحقوق المكفولة في النظام الديمقراطي وما ترتب عليها من آثار:

١- ففي مجال الاعتقاد يحق لكل فرد في النظام الديمقراطي أن يدين بما شاء من العقائد والملل والنحل والأفكار، ولا تثريب عليه في ذلك، ولا فرق -في النظام الديمقراطي- أن يدين المرء بدين أصله الوحي الإلهي، أو يدين بعقيدة أو فكرة من وضع البشر واختلافهم، كما أنه يجوز -في ظل هذا الحق أو هذه الحرية- أن يغيّر المرء دينه أو عقيدته أو ملته أو نحلته كيفما شاء، وليست هناك أدنى قيود عليه في ذلك، بل لو شاء أن يكون له في كل يوم عقيدة تخالف عقيدته السابقة لكان له ذلك، وهذا الحق عندهم من الحقوق التي لا يجوز تقييدها أو تخصيصها بل هو حق مطلق، وفي هذا المجال لا تسلب عن جريمة الردة أو عن حدّها، فالردة حق من الحقوق التي يجب كفالتها وحرية متاحة للجميع!

٢- وإذا تركنا مجال الاعتقاد، وانتقلنا إلى مجال الأخلاق، فإننا نجد -في ظل النظام الديمقراطي- كل الرذائل والموبقات الخلقية أصبحت حقوقاً وحرّيات: فالزنا حق من الحقوق أو حرية من الحريات، وممارسة الأفعال الفاضحة علناً وفي الشوارع حق أيضاً من حقوقهم، وحرية متاحة للجميع، وكذلك اللواط ومواقعة الرجال بعضهم بعضاً لا غضاضة فيه ولا تحريج عليه، بل هو حق مكفول مصان بقوة القانون.

٣- وإذا ما انتقلنا إلى مجال الاقتصاد، وجدناه يقوم على أساس المذهب الفردي، الذي يعطي الفرد حرية مطلقة في الكسب والتملك والثراء بلا قيود ولا ضوابط ولا أخلاق، فالربا والاحتكار وغير ذلك من الطرق المشابهة وسيلة شريفة ومشروعة لكسب المال، والفرد حر حرية مطلقة أيضاً في إنفاق المال المكسوب ولو كان ذلك على الفساد والرذيلة، وليست هناك أهداف أو غايات اجتماعية محمودة يتم تحقيقها من وراء تملك المال، فليس للفقير أو المسكين أو المحتاج أدنى حق في مال الغني.

٤ - وإذا ما انتقلنا إلى الصعيد الدولي أو العالمي لنرى نظرة الدولة الديمقراطية وتعاملها مع الشعوب والدول الأضعف منها، نجد أنها نظرة لا أخلاق فيها ولا أمانة ولا حق ولا عدل ولا حرية؛ ولو كانت الأخلاق أو الأمانة أو الحق أو العدل أو الحرية عناصر أصيلة في النظام الديمقراطي لظهر ذلك في تعامل الأنظمة الديمقراطية مع الشعوب والدول الضعيفة.

فمثلاً: الدول الغربية التي استعمرت الدول العربية وأكلت خيراتها ونهبت ثرواتها وقتلت أبناءها كانت ومازالت دولاً ديمقراطية ترفع شعار الديمقراطية وتتغنى به، فهل كان في الديمقراطية خلق أو أمانة أو عدل أو حق أو حرية أو غير ذلك مما يتشدد به دعاة الديمقراطية يحجز تلك الدول الديمقراطية عن الفتك بدول أضعف منها بغير ذنب ولا جريرة؟!

ولننظر الآن من يقف من دول العالم وراء دولة اليهود التي تقتل المسلمين في فلسطين وفي غيرها، ومن يعطيها السلاح الذي تقتل به وتحتل وتغتصب أرض المسلمين، ومن يعينها على ذلك ويقدم لها المعونات الإقتصادية والهبات المالية!! أليس الذين يفعلون ذلك هم الذين يرفعون شعار الديمقراطية؟! <sup>(١)</sup>

وأما في الإسلام فإن جميع الحقوق والحريات المكفولة مقيدة بشريعة الله عز وجل وأحكامه، لا توجد حرية مطلقة في الإسلام أبداً، فجميعها مقيد بما يضمن للأفراد والجماعات المصالح ويدفع عنهم المفساد، فإن رسول الله ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر به فمصلحته راجحة للفرد والجماعة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة للفرد

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٧-٣٣) بتصرف.

والجماعة، وجماع ذلك وجماعه التمسك بدين الله والتقيد بأحكامه تضمن جميع الحقوق والحريات وتكفل - بإذن الله - الضروريات والحاجيات والكماليات.

يقول العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى: في النظام الإسلام حرية القول، وحرية الرأي، وحرية التعلم والتعليم وحرية الكسب والإنفاق، وحرية السكن والانتقال والسفر، والحرية الشخصية الفردية، وهذه الحريات يتمتع بها كل من يؤمن بالنظام الإسلامي، بيد أنه لا توجد في الإسلام الحرية المطلقة غير المقيدة في كل ما ذكر وفي غيرها، بل جميع الحريات مقيدة بقيود الشريعة الإسلامية التي نظمت للناس حياتهم، حتى غايرت حياتهم حياة الحيوانات الأخرى. اهـ

إذا تبينت الأصول التي تقوم عليها الديمقراطية، ظهر بجلاء تصادمها جذرياً مع الإسلام، وأنها حكم طاغوتي إلحادي كفري لا يقر بأحكام الله ولا بوجوب تطبيقها والتحاكم إليها، وبطلت عندها دعاوى المغرضين في محاولة التوفيق - وفي الأصح التلفيق - بين الإسلام والديمقراطية، وإلباس الديمقراطية لبوساً إسلامياً، فالإسلام دين الله عز وجل والديمقراطية صنع البشر، فهما نقيضان لا يجتمعان في قلب امرئ مسلم ولا يرتفعان، بل يجب وجود أحدهما دون الآخر، إما الإسلام وإما الكفر.

فإذا بطلت في الديمقراطية الأصول والأساس، وانكشف - إن شاء الله - الإلتباس، فلا نحتاج إلى طرُق تفاصيلها ودخول دياجيرها وبيان ما فيها من ظلمات ومفاسد، استغناءً بالإجمال عن التفصيل والقناعة بالقليل عن الكثير، لضيق المقام ومن لم ينتفع بقليل القول لم يستفد بكثيره. ومن تلك التفاصيل التي أعرضنا عنها:

- نظرية العقد الاجتماعي التي بنوا عليها القول بأن السيادة للشعب.

- أساليب تحقيق الديمقراطية في الواقع.
  - الأسس التي تنطلق منها الحقوق والحريات في النظام الديمقراطي.
  - الفصل بين السلطات.
  - مبدأ حكم الأغلبية.
  - النظام النيابي.
  - أنواع الدساتير الوضعية.
  - مبدأ شرعية المعارضة في النظام الديمقراطي.
  - القضايا المنحرفة التي حملتها الديمقراطية إلى ديار الإسلام كالماسونية والعلمانية والإشراكية والشيوعية.
  - العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية.
  - الديمقراطية بين النظرية والتطبيق.
  - وسائل الديمقراطية في محاربة نظام الإسلام.
  - طبقات المتكلمين بلفظ الديمقراطية.
- ولا بد من التنبيه أن كفرنا بطاغوت الديمقراطية وبراءتنا منها ومن أهلها ودعوة الناس إلى ذلك، لا يعني ذلك محبتنا للنظم المستبدة التي تظلم شعوبها وتحتكر الثروة وتنزل بالناس ألوان العذاب وتفتح له أبواب السجون وتعد لهم المشانق، وإنما نؤمن وندعوا الناس إلى الإيمان بالنظام الإسلامي الذي يحكم بمن أنزل الله ويحكم شرع الله ويطبق شمولية الإسلام، وأنه الوحيد القادر على تنظيم الحياة والعدل بين العباد، بعيداً عن جميع الأفكار الدخيلة والمنحرفة وذلك أن الإسلام قد برئ من أي ظلم يقع في دنيا الله تبارك وتعالى،

والمسؤول عن ذلك هو الإنسان الذي لم يحكم شرع الله عز وجل سواء كان حاكمًا أو  
محكومًا، فطغى وتجبر واستبد وظلم، ولم يردعه وازع الإيمان ونداء السنة والقرآن.

## الفصل الثاني: الفروق بين الشورى والديمقراطية

إن من الوسائل المسلوكة لنشر الديمقراطية في أوساط المسلمين وإقناعهم بها إلباسها لباساً إسلامياً، وأن الديمقراطية هي الشورى أو أنها التطبيق العصري لنظام الشورى في الإسلام وهو مسلك معروف لدى أرباب الانحراف لعلمهم وتيقنهم أن المسلمين عندهم قناعة بالإسلام لا يتحركون إلا بالإسلام، ولا يقبلون إلا ما كان إسلامياً، فيلبسون الحق بالباطل ويزخرفون القول مستخفين بعقول المسلمين ومستهينين بأصول الدين.

إن الشورى في تعريفها العام هي: إبداء الرأي للمنصوح بطلب أو بدون طلب. وقد مدح الله عز وجل المؤمنين الذين يتشاورون في الأمر، فقال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَالَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٦ - ٣٨].

فجعل سبحانه التشاور من خصال المؤمنين، وهو خبر يراد به الإنشاء عام لجميع المؤمنين سواء كانوا من مسؤولي الدولة أو من غيرهم، يدل على التعاون بين المسلمين والتواضع لبعضهم البعض.

والشورى بمعناها الخاص: هي أن يجتمع مجموعة من أهل الحل والعقد ومن العلماء ومن ذوي الخبرة والسياسية وهم الذين يديرون أحوال الناس على نهج الكتاب والسنة يتشاورون فيما بينهم، وهي غير ملزمة على الصحيح.<sup>(١)</sup>

---

(١) بنحو هذا عرفها الشيخ مقبل بن هادي رحمه الله في كتابه «تحفة المجيب» (ص ٢٢٣).

وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حَدَثَ، تطييباً لقلوبهم؛ ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا: يا رسول الله، لو استعرضت بنا عُرْضَ البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى بَرَكِ الغَمَادِ لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب، فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون.

وشاورهم -أيضا- أين يكون المنزل؟ حتى أشار المنذر بن عمرو المعنق ليموت، بالتقدم إلى أمام القوم، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهُورُهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السَّعْدَان: سعدُ بن معاذ وسعدُ بن عُبَّادة، فترك ذلك.

وشاورهم يوم الحُدَيْبِيَّةِ في أن يميل على ذَرَارِي المشرَكين، فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

وقال عليه السلام في قصة الإفك: «أَشِيرُوا عَلَيَّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْمِ ابْنِوَا أَهْلِي وَرَمَوْهُمْ، وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبْنُوهُمْ بِمَنْ -والله- مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا».

واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة، رضي الله عنها. فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها. (١)

فمدح الله سبحانه الشورى وأهلها، وأبانت الأدلة الشرعية بطلان الديمقراطية وأنها كفر وردة عن الإسلام، فالعلاقة بين الشورى والديمقراطية كالعلاقة بين الكفر والإيمان، فلا سبيل إلى الجمع بينهم ولا إلى إلصاق الديمقراطية بالشورى خصوصاً والإسلام عمومًا، فالديمقراطية تحمل مدلولاً ومعنى فسرهما بذلك أصحابها وأهلها حين وضعوها ودعوا إليها مع ما تحمله من مضامين ومعاني، فليس للغنوشي ولا لغيره أن يحملها معاني إسلامية رفضها أصحابها ودعاتها وليس له أن يقول إن الديمقراطية من الإسلام أو هي الإسلام ما دام دعاتها ينكرون الإسلام ويحاربونه.

وحاصل ما ذكر من الفروق بين الشورى والديمقراطية:

- أن الشورى أساساً جزء من نظام متكامل قائم على الإيمان بأن السيادة للشرع المنزل من عند الله العلي الكبير على خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين محمد بن عبد الله ﷺ: فالأمر كله لله، والحكم كله لله، والتشريع كله لله . والديمقراطية مذهب قائم على الإيمان بأن السيادة للبشر- المخلوقين المربوبين، فالأمر كله لهم، والحكم كله لهم، والتشريع كله لهم: الحلال ما أحلّوه، والحرام ما حرّموه، الطيب ما استحسنته أهواؤهم والخبيث ما استقبحتته نفوسهم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٤).

- والشورى: انطلاقاً من نظام الإسلام القائم على سيادة الشرع لها نطاق محدد لا تتعداه. فهي شورى مقيدة بالأحكام الشرعية لا تخرج عليها ولا تخالفها.
- وأما الديمقراطية فالأمر فيها مطلق، ويمكن للناس -بناء عليها- أن يتناقشوا وأن يتباحثوا، وأن يقرروا في النهاية ما لا يمكن أن يخطر على فكر رجل مسلم، وليس حكاية زواج الرجل برجل مثله منا ببعيد!
- والشورى في النظام الإسلامي ليست حقاً لكل الناس على اختلاف قدراتهم واستعداداتهم وميولهم، وإنما للشورى أهلها وهم الثقات العدول أهل الاختصاص والخبرة في كل ما تطلب فيه المشورة.
- بينما النظام الديمقراطي لا يفرق في ذلك بين العالم والجاهل، وبين الحكيم والسفيه، بل كل من استطاع أن يحصل على أكبر عدد من أصوات الناخبين -حتى ولو كان ذلك بطريق الكذب والخداع- فهو من أهل الشورى الذين يُعتد بقولهم، ولهم حق تشريع القوانين.
- والشورى معيار الصواب فيها اتباع الدليل أو القواعد الشرعية وتحقيق مصلحة الأمة الإسلامية.
- بينما النظام الديمقراطي يجعل الكثرة -أيّاً كانت- هي معيار الصواب.
- إن الشورى الإيمانية قضية ربانية ووحى من عند الله. والديمقراطية إنتاج بشري في تربة الكفر والفساد.
- إن الشورى نظام إيماني تحمله رسالة السماء إلى الإنسان في كل العصور والديمقراطية صورة بشرية لأجيال محدودة.

- إن الشورى نظام ينمو في أحضان الإيمان، وتربة الطهر، ومنابع الخير. والديمقراطية تنمو لتقدم الجريمة وتمهد للضياع.

- إن الشورى نظام متماسك القواعد متكامل الأسس لا يحتاج إلا إلى صدق الممارسة والإيمان وقوة العلم وترباط الأمة حتى تنمو الممارسة البشرية مع نمو الخير والبركة ويستكمل تفاصيله من خلال الممارسة البشرية مع نمو الخير والبركة، ويستكمل تفاصيله من خلال الممارسة والتطبيق. والديمقراطية تجربة بشرية تحمل الأصباغ والطلاء والزخارف لتغري وتخدّر، وتحمل في طياتها بذور الشر والفساد حتى يظهر الشر والفساد وتتلاشى الزخارف والأصباغ بعد سنين أو قرون.

- إن الشورى توقظ في المؤمن كل شعور المسؤولية وأحاسيس الأمانة وجدية العمل حين تربطه بعقيدة ونهج وخطّة وقواعد وإيمان بالله واليوم الآخر وحين تتحرك فيه النية. فلا يقبل الله عمله إلا بنية صادقة ولا يقبل الله عمله إلا إذا استقام على العقيدة والنهج. والديمقراطية تنفث فيه الحَدَرَ والسكر وتطرحه في وادٍ سحب أو فلاة تائهة. ولكن الديمقراطية مع سيئاتها تلك قد استوعبت طاقة أبنائها وجهد علمائها وعرق جنودها ودهاء شياطينها لقرون طويلة حتى استطاعوا أن يتقنوا الأصباغ والزخارف في بلادهم على الأقل، فرضي الناس أو معظم الناس بهذا النظام بعد أن فُصل عن الدين وفُصلوا هم عن الدين على حمى الشهوة وهدير الرغبة.

أما الشورى مع عظمة خيرها وامتداد بركتها وعظمة نظامها فإن أبنائها وجنودها وعلمائها لم ينهضوا بها ليقدموا للعالم كله الصورة المشرقة العظيمة للشورى. إنهم لم ينهضوا ليقدموا عظمة القواعد الربانية التي تقوم عليها الشورى وعظمة الأسس الإيمانية التي تبنى عليها الشورى وعظمة النظام المتماسك المتكامل الذي يمثل نظرة

الشورى في الإسلام. إنهم لم ينهضوا كذلك ليمضوا في ممارسة إيمانية نامية لتلك القواعد والأسس والنظام حتى تصدق الممارسة الإيمانية في (عمل صالح يستوعب الجهود المؤمنة والطاقات المؤمنة لتقدم للبشرية الصورة التطبيقية العملية مستكملة التفاصيل التي ما زلنا نبحث عنها!..)

«حقيقة الديمقراطية» (ص ٦٩-٧٠)، «الشورى لا الديمقراطية» (ص ٤٠-٤٢).

### الفصل الثالث: الغنوشي: تارك الشورى مثل تارك الصلاة

قال الغنوشي في مقال منشور على موقعه بعنوان «تارك الشورى مثل تارك الصلاة»: الفقهاء

تجادلوا في إيمان تارك الصلاة ولم يتجادلوا في إيمان تارك الشورى! اهـ

وقال أيضًا: شطر آخر لا يزال يجتر في غير خجل حديثاً عن قيادة لا تستشير إلا لمجرد

الإستئناس، إذ الشورى بحسب فهمه السقيم معلمة وليست ملزمة! <sup>(١)</sup>

للنقد:

اختلف أهل العلم هل الشورى ملزمة أو ليست ملزمة؟ والذ تعضده الأدلة هو القول بعدم

إلزامها مع تفضيل المشاورة واستحبابها، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل

عمران : ١٥٩]، فقله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ صارف الأمر في قوله:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ من الوجوب إلى الإستحباب، ويدل على ذلك أيضًا جواز مخالفة

الإمام لما أشار به أهل الشورى، فإذا جاز مخالفتهم وقد أشاروا، فمن باب أولى عدم

مشاورتهم في الأمر إذا صح عزمه عليه الأمر.

قال الإمام ابن جرير الطبري: قوله جل وعز: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يعني: فإذا

صحَّ عزمك بتثبيتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نأبىك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما

أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك، أو خالفها

﴿وتوكل﴾، فيما تأتي من أمورك وتدع، وتحاول أو تراول، على ربك، فثق به في كل ذلك،

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٧٢).

وارض بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم ﴿فإن الله يحب المتوكلين﴾، وهم الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه.<sup>(١)</sup>

فهذا يدل على أن للأمر إذا عزم على الأمر أن يتوكل على الله ويمضي فيه.

وقد استدل العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى في رسالته «حقيقة الشورى في الإسلام» بأربعة مواقف حازمة من السنة ومن فعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه تدل دلالة واضحة أن الشورى ليست ملزمة.

**الموقف الأول:** موقف رسول الله ﷺ في صلح الحديبية عندما قبل عليه الصلاة والسلام الشروط القاسية من قريش التي قدمها سهيل بن عمرو مبعوث قريش، فأتى عمرُ رسول الله ﷺ فقال: أأست برسول الله؟ قال: «بلى»، قال؟ أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟! قال: «أنا عبد الله ورسوله لن أخالفه ولن يضيعني».<sup>(٢)</sup>

فرسول الله ﷺ رفض مشورة عمر رضي الله عنه ونفذ الصلح متوكلاً على الله.

**الموقف الثاني:** موقف رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، فلم يستشر رسول الله ﷺ أصحابه وأخفى أمرها ولم يعلم أمر الغزو غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتماناً لأمرها، فإن الحرب خدعة. هذان موقفان من رسول الله ﷺ يدلان على أن الشورى ليست ملزمة.

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٦/ ١٩١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣١، ٢٨٣٢)، ومسلم برقم (١٧٨٤).

الموقف الثالث: موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تنفيذ جيش أسامة إلى الروم، إذ أن المدينة النبوية أصبحت بعد وفاة النبي ﷺ في وضع خطير جداً، فقد ارتدت بعض القبائل، ومنعت بعض القبائل الزكاة، فأصبحت المدينة مهددة، فطلب الصحابة تأخير جيش أسامة إلى حين تحسن الأوضاع، فأبى رضي الله عنه وأصر على تنفيذه، وكان مما قاله: (والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة).

(والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة)

(ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذت جيش أسامة)

(ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة)، والقصة معروفة في التواريخ.

الموقف الرابع: موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما أصر على قتال أهل الردة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا تُؤَيِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا قَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. <sup>(١)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم برقم (٢٠).

فكل هذه أدلة على عدم وجوب الشورى والأخذ بها، وإن كان الأفضل لا سيما في النوازل الرجوع إليها.

قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ انتبه لقوله (أمرهم) يعني الأمر العام يكون بينهم شورى لكن إذا تبين لولي الأمر وجه المصلحة فلا حاجة للشورى، والشورى يحتاج إليها إذا كان هناك إشكال، وإلا فإذا تبين ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.<sup>(١)</sup>

وما يذهب إليه الغنوشي من أن تارك الشورى مثل تارك الصلاة غلو ومجازفة في حق الشورى ورفع لها إلى مراتب أركان الإسلام!!

---

(١) «شرح كتاب السياسة الشرعية» (ص ٤٥٣).

## الفصل الرابع: دعوة الغنوشي إلى التحزب والتعددية الحزبية

قال الغنوشي: حركة النهضة: تعتبر أبرز وأقدم ممثلي الحراك الإسلامي في تونس والأسبق إلى التبنى الكامل للخيار الديمقراطي والمطالبة بتعددية لا تستثني تياراً سياسياً مهما كانت خلفيته الايدلوجية ما توسل إليها بطرق الإقناع.

جاء في البيان التأسيسي لهذه الحركة أنها: ترفض مبدأ الإنفراد بالسلطة (الأحادية) لما يتضمنه من إعدام لإرادة الإنسان وتعطيل لطاقات الشعب ودفع البلاد في طريق العنف وفي المقابل إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية. وحجتهم أن المذهبية الإسلامية التي استوعبت في داخلها اليهود والنصارى هي من المرونة بحيث تستوعب داخل إطارها الشيوعيين والعلمانيين<sup>(١)</sup> إذ لم يكونوا أكفر من اليهود والنصارى!!<sup>(٢)</sup>

ونقل كلاماً لمصطفى مشهور نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين مقراً له فقال الغنوشي: أما الشيخ مصطفى مشهور فقد حسم الأمر بفتواه التي أفسحت للمسيحيين مجال الانتماء إلى الأحزاب الإسلامية وهذا نصها تحت عنوان: «التعددية الحزبية»: (إن الإسلام مع التعددية الحزبية وحرية الرأي ولا يكره أحداً على الدخول في الدين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ويرسم حدود المعاملة مع غير المسلمين في حدود العدل والأمن وحصولهم على حقوقهم كاملة لهم ما لنا وعليهم ما علينا). والإخوان المسلمون يؤمنون بالتعددية وهم

---

(١) هكذا يدعون محاربة العلمانية والشيوعية، ثم هم يعترفون بالعلمانيين والشوعيين ويمهدون لهم الطريق ويتعاونون معهم، بل يفعلون ذلك مع اليهود والنصارى!!

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٢٨٤).

موجودون منذ عام ١٩٢٨م ولم تنسب له إساءة واحدة لأي مسيحي أو يهودي بسبب عقيدته!!<sup>(١)</sup> بل هم يقبلون بوجود مسيحيين ضمن الحزب الإسلامي، يؤمنون بأن الإسلام هو أقوى ضمان للوحدة الوطنية.

ولعلنا نذكر مقولة مكرم عبيد (أنا مسيحي عقيدة مسلم وطناً)<sup>(٢)</sup> لقد أقر الإسلام وجود الإيمان والكفر!!<sup>(٣)</sup> والتعايش مع غير المسلمين، ولقد عاش المسيحيون ولا يزالون في كثير من بلاد المسلمين في أمن وأمان وحفظ الإسلام حقوقهم وأموالهم وأماكن عبادتهم. ثم تطرح الفتوى بالإضافة إلى ذلك أمام المسيحيين خياراً آخر إلى جانب خيار الدخول في حزب إسلامي أن ينشئوا حزباً مسيحياً انطلاقاً من مبدأ المواطنة.

إلى أن قال الغنوشي تأييداً لهذه الفتوى: إن هذه الوثيقة وإن لم تمض مع المنطق الذي اعتمدته إلى النهاية، منطق المصلحة وإعمال هذا المبدأ في معالجة أوضاع غاية في التنوع والتعقيد بما لا يصادم - قطعاً - ثوابت الدين، فقد مثلت خطوة مهمة على طريق تطور الفكر السياسي الإسلامي في اتجاه القبول بالتعددية الكاملة دونما أية وصاية، وهو الموقف التي أعلنته الحركة الإسلامية في تونس منذ عام ١٩٨١م حتى جاءت فتوى الشيخ مصطفى مشهور

---

(١) سبحان الله! إلى هذه الدرجة يصل الخوف بالإخوان المسلمين على مشاعر اليهود والنصارى، كل ذلك على حساب العقيدة الإسلامية!!

(٢) وتقدم أن هذا لا يغني من الحق شيئاً، وأنه بهذا التلاعب لا يزال كافراً بالله العظيم، من حطب جهنم إن مات على ذلك.

(٣) وهذا أيضاً من الضلال المبين والكذب على الله ورسوله، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

لتستكمل الطريق وتقر بديمقراطية تعددية ذات ميزان واحد ينطلق من قاعدة المواطنة المشتركة على أساس أن مجتمعاتنا الإسلامية الحديثة خلافاً للمجتمعات الإسلامية القديمة لم تتأسس المشروعية فيها على منطق الفتح، الأمر الذي كان يسمح للطائفة المسلمة مهما كان حجمها ضئيلاً شرعية أن تحكم وإنما تأسست على مبدأ التحرير من الغزو الأجنبي، هذا التحرير الذي أعطى لكل المشاركين فيه بقطع النظر عن معتقداتهم حقوق المواطنة على قدم المساواة. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: ومن مقتضيات التصور الإسلامي في العقيدة والحكم توفر حرية المعارضة وهو باب عظيم في الإسلام يؤطره مبدأ النصيحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك ما يضمن حرية التعبير والنقد والمعارضة وإقامة الأحزاب دون حاجة إلى ترخيص من الدولة، وكذا إنشاء الصحف وما في معناها من وسائل التعبير والمعارضة السلمية. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: كما يتولد عن حالة الجمود صعوبات داخل الحركة الإسلامية. منها قضية التعددية التي لا يزال يصعب القبول بها داخل الحركة الإسلامية كاملة غير منقوصة، أي دون إقصاء لأي كان يجابه صعوبات تقل أو تكثر من حزب لآخر وكثيراً ما تكون خلفية الرفض عدم التفريق بين كيان الحزب وكيان الأمة أو الدولة الواحدة الناطقة باسم الأمة عندما كانت موحدة (الجماعة) فكل حزب يعتبر نفسه هو الجماعة التي أشار إليها النبي ﷺ في قوله المأثور: «عليكم بالجماعة» على حين أن المقصود بكلمة الجماعة في الحديث هي الأمة

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٨٧ - ٢٨٨).

(٢) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٤١).

الإسلامية ككل، فالمطلوب ترسيخ القبول بالتعدد الفكري والثقافي. فالقرآن الكريم تعددت تفاسيره ولا زال المجال مفتوحاً لفيض من التفاسير، وحتى قراءاته متعددة من سبع إلى عشر قراءات<sup>(١)</sup> وهذا يعني أن الإسلام قائم في الأصل على فكرة التعددية في إطار الوحدة. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: فإذا تحقق لنا نظام يعترف بالحریات العامة فينبغي على الحركة الإسلامية أن تمارس حقها كطرف سياسي معترفة بغيرها من الأطراف السیایة الأخرى مقدمة إختياراتها للنموذج الإجتماعي الذي تريد. فتخوض المعارك الإنتخابية وتضع مواطن أقدام لها في البرلمان ومؤسسات المجتمع كبلديات وتشارك في الحكم ولو جزئياً لتدريب أفرادها على إدارة المؤسسات وعلى قيادة الجماهير وتعبئتها وتوعيتها بأهداف الحركة الإسلامية. اهـ<sup>(٣)</sup>

النقد:

إن التحزب والحزبية في دين الله عز وجل حرام، وذلك أن دين الإسلام واحد والحق واحد لا يتعدد، فواجب على كل مسلم أن يتمسك بالحق حيث كان ومن أي شخص جاء، فلا يجوز حينئذ التفرق في دين الله إلى أحزاب وجماعات يوالى ويعادى عليها، وإنما الحرص على جمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة، وقد نهانا الله تعالى عن التفرق إلى أحزاب فقال

---

(١) وقياس التعددية الحزبية على تعدد تفاسير القرآن وتعدد قراءاته قياس باطل، نظيره ما أخبر به الله عز وجل من الأقيسة الباطلة ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف : ٧٧]، ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة : ٢٧٥]، يُنظر فيها إلى الصورة المجردة في الظاهر، والوصف غير المؤثر!!

(٢) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٢٠-٢١).

(٣) المصدر السابق (ص ١٢٨-١٢٩).

عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم : ٣١ ، ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون : ٥٣].

قال النبي ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وافترت النصرانية على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: فمن هي يا رسول الله؟ قال: «الجماعة».<sup>(١)</sup>

والناس في الحزبية على قسمين: قسم هم حزب الرحمن متمسكون بكتابه وسنة نبيه مجتمعون على ذلك ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٢٢].

وقسم هم حزب الشيطان وجنده مخالفون للكتاب والسنة، مفارقون لها ومجتمعون على مفارقتها، فكل من خالف سنة رسول الله ﷺ ومنهجه الذي سار عليه فهو حزبي.

(١) صحيح بشواهده. انظر «الصحيحة» رقم (٢٠٣، ٢٠٤، ١٤٩٢).

وقد سمي الله عز وجل الأمم الماضية أحزابًا، وسمى من تجمع لعداء النبي ﷺ وصحبه أحزابًا، وأنزل في شأنهم سورة تتلى إلى قيام الساعة تسمى بسورة (الأحزاب).

فالتحزب ولاء وبراء ضيق، ولاء للباطل وأهله وبراء من الحق وأهله. فالتعصب للأفكار المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة والموالاتة والمعاداة عليها تحزب وإحداث في الدين، والنبي ﷺ يقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ولا يشترط في التحزب التنظيم، فكل اجتماع على الباطل تحزب حصل تنظيم أو لم يحصل، وإذا زادوا في اجتماعهم التنظيم والبيعة والسرية والمخالفات ازدادوا شرًا وعتوًا بحسب ما عندهم من مخالفات، فالتصوف تحزب، والتشيع تحزب، وجماعة التبليغ حزيون، وجماعة الإخوان المفلسين حزيون، وهكذا.

ودعوة الغنوشي إلى التحزب وإنشاء الأحزاب والحث على ذلك دعوة إلى مخالفة الكتاب والسنة، ودعوة إلى الجاهلية الأولى وإلى الحمية الجاهلية التي بعث النبي ﷺ بإزالتها، وقد خطبهم عليه الصلاة والسلام يوم عرفة وقال: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»<sup>(١)</sup> فألغى عليه الصلاة والسلام العصبية الجاهلية .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمعها عبد الله بن أبي فقال قد فعلوها والله

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام: فهذان الاسمان المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماههما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبل وفي هذا، وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى ثم مع هذا لما دعا كل منهما طائفة منتصرا بها أنكر النبي ﷺ ذلك وسماها دعوى الجاهلية حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم ليبين النبي ﷺ أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته.<sup>(٢)</sup>

والدعوة إلى التحزب دعوة إلى تفريق الأمة وتمزيقها، فمن كان معهم في حزبهم فهو منهم - وإن كان صاحب مخالفات - ومن لم يكن معهم فيعتبرونه ضدهم وعدوهم، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».<sup>(٣)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم برقم (٢٥٨٤).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٤١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧١٥).

وعن عرفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام: وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم<sup>(٢)</sup> سواء كان على الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والإئتلاف ونهيا عن التفرقة والإختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى: وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقة على كل ما يريده وموالاته من يواليه ومعاداة من يعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً مالياً ومن خالفهم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٢).

(٢) فكيف بمن يحارب أهل الحق ويعاديهم، ليس لهم ذنب سوى عدم دخولهم في الحزب وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؟!

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/٩٢).

عدواً باغياً بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله.<sup>(١)</sup>

والواقع شاهد على ولاء هذه الأحزاب وبراءها الضيق، لا تألوا جهداً في منابذة الحق وأهله، مع ما عندها من مخالفات شرعية من بيعة وخروج وتسول وتصوير ودخول البرلمان والمشاركة في الانتخابات وغيرها كثير كثير.

---

(١) المصدر السابق (٢٨ / ١٥).

## الفصل الخامس: دعوة الغنوشي الإسلاميين إلى دخول المجالس البرلمانية

قال الغنوشي: إذن فلا بد من تنظييات ودراسات ومجالس، ومما لبثت تأثيرات الثقافة الوافدة أن أخذت تفصح عن نفسها في هذا المجال من طرح الأسئلة المحورية: هل للإسلام نظام للحكم أصلاً؟ ما معالمة إن وجد؟ ما علاقته إلى مؤسسات الحكم الغربي كالبرلمان مثلاً؟ وانتهى إجماع المصلحين إلى تأكيد أصالة نظرية الحكم الإسلامي وأن خصوصيته لا تمنع تفاعله مع كل جديد أخذاً وعطاءً، من ذلك مسألة تشكيل هيئات الحكم كاهيئة التشريعية... ويؤكد خالد محمد خالد: إن المفهوم الحديث للشورى التي زكاها الإسلام هو الديمقراطية البرلمانية... أن ينتخب الشعب نواباً عنه يمثلون إرادته ومشيئته. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: فإذا تحقق لنا نظام يعترف بالحريات العامة فينبغي على الحركة الإسلامية أن تمارس حقها كطرف سياسي معترف بغيرها من الأطراف السياسية الأخرى مقدمة اختياراتها للنموذج الاجتماعي الذي تريد. فتخوض المعارك الانتخابية وتضع مواطن أقدام لها في البرلمان ومؤسسات المجتمع كالبليات وتشارك في الحكم ولو جزئياً لتدريب أفرادها على إدارة المؤسسات وعلى قيادة الجماهير وتعبئتها وتوعيتها بأهداف الحركة الإسلامية. اهـ<sup>(٢)</sup>

للنقد:

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٢٧).

(٢) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٢٨-١٢٩).

إن هذه المجالس النيابية التي يدعو راشد الإسلاميين إلى خوض غمارها هي مجالس طاغوتية تحكم بغير ما أنزل الله وتحكم غير شرع الله تعالى، سوغوا لأنفسهم التشريع من دون الله عز وجل، والله سبحانه يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وهذه المجالس النيابية برنامج مدبر لتثبيت الأنظمة الديمقراطية وليست الشورية، وقد تقدم الفرق بين الديمقراطية والشورى، وجميع ما تقدم في الفرق بينهما ينسحب هنا في هذا الموضوع في الفرق بين مجلس النواب ومجلس الشورى، فلا يصح حينئذٍ إلباس هذه المجالس النيابية لبوساً إسلامياً وهي تحكم القوانين الوضعية دون الشريعة الإسلامية.

وهذه المجالس النيابية يتساوى فيها المسلم والكافر<sup>(١)</sup> والله عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم ٣٥-٣٦].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

---

(١) يقول الغنوشي: لا مانع شرعياً في دولة إسلامية توجد فيها أقليات - يعني غير مسلمة - أعطت ولاءها للدولة الإسلامية أن تحظى طوائفها بالتمثيل في الهيئة الشورية: مجلس الشورى - مجلس النواب عندهم - اهـ «الحريات العامة» (ص ١٣١).

وقال أيضاً: ولقد تقدمت مناقشة هذا الوجه للرد على اشتراط الإسلام في كل أعضاء الهيئة الشورية، والكتابات المذكورة تؤكد وجهة النظر التي دافعنا عنها وهي إمكانية عضوية غير المسلمين في الهيئة الشورية - زعم - اهـ المصدر السابق (ص ١٤٠).

ويتساوى فيها العالم والجاهل، والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ويتساوى فيها الذكر والأنثى<sup>(١)</sup> والله عز وجل يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].

وفي مشاركة الإسلاميين في هذه المجالس النيابية وإن زعموا محاولة الإصلاح والتغيير مفسد عديدة منها:

- الرضا بواقع هذه المجالس النيابية وحكمها بغير ما أنزل الله.
- المساومة بدين الله عز وجل وأحكامه الثابتة وأدلتها الواضحة على حساب عد المقاعد في البرلمان.
- عدم سلوك النهج النبوي في الإصلاح والتغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- تضييع أقسام التوحيد الثلاثة في هذه المجالس (توحيد الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات).
- الإنشغال بالعلم الشرعي والسياسة غير الشرعية.
- تضييع منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.
- التشبه بالكفار.
- السكوت عن المحرمات.

---

(١) قال الغنوشي: نحن لا نرى مانعاً من تخصيص عدد من مقاعد مجلس الشورى للنساء حرصاً على تشجيعهن. اهـ «الحريات العامة» (ص ١٣٧).

- المداهنة على حساب دين الله عز وجل.

- كثرة الإستحسانات المحدثه.

- إهانة العلم وأهله.

- التقارب مع العلمانيين والشيوعيين وغيرهم من المنحرفين. وغيرها كثير.

فالنصيحة عدم مجارة أهل الأهواء ومن يحيك بالإسلام وأهله الشر والسوء، والتمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ على منهج السلف الصالح، فهم - والله - أحرص منا على دين الله، وفهمهم لنا خير وأحب إلينا من فهمنا لأنفسنا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعا من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز أخذها، وعقوبات على الجرائم لا تجوز؛ لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فلو قبضوا ما يسوغ قبضه، ووضعوه حيث يسوغ وضعه، طالين بذلك إقامة دين الله، لا رياسة نفوسهم، وأقاموا الحدود المشروعة على الشريف والوضيع، والقريب والبعيد، متحرين في ترغيبهم وترهيبهم للعدل الذي شرعه الله لما احتاجوا إلى المكوس<sup>(١)</sup> الموضوعة، ولا إلى العقوبات الجائرة، ولا إلى من يحفظهم من العبيد والمستعبدين، كما كان الخلفاء الراشدون، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من أمراء بعض الأقاليم.

وكذلك العلماء: إذا أقاموا كتاب الله وفقهوا ما فيه من البينات التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى، الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، وأقاموا حكمة الله التي بعث بها رسوله

---

(١) المكوس: هي الضرائب، وتسمى اليوم (الجمارك).

ﷺ - وهي سنته - لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس، ولميزوا حيث يثبذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق، بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة، حيث يقول عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ولا استغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون، من الحجج الفاسدة، التي يزعم الكلاميون أنهم ينصرون بها أصل الدين، ومن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يتمون به فروع الدين، وما كان من الحجج صحيحا ومن الرأي سديدا، فذلك له أصل في كتاب الله وسنة رسوله، فهمه من فهمه، وحرمة من حرمة. (١)

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٠٤ - ١٠٦).

## الفصل السادس: دعوة الغنوشي إلى إنشاء الجمعيات الحزبية

قال الغنوشي: التحديات القائمة أمام الصحوة: أما عن هذه المعوقات أو التحديات فكثيرة ويمكن اعتبار الجهل بالإسلام أعظمها، سواء بين المسلمين وفيهم قطاع حتى من أبناء الصحوة الإسلامية أو من بين غير المسلمين الجهل بالإسلام ودعك من التجاهل هو الذي ما يزال يورط كثيرًا من الطيبين مسلمين أو غير مسلمين! في مواقف مناقضة لطبيعة الإسلام من مثل النظر إليه على أنه خطر، خطر على كل المعالم والقيم التي ناضلت البشرية من أجلها كالحريات الخاصة والعامة، حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير والتنقل وحرية الفن والإبداع والحريات العامة كتكوين الأحزاب والصحف والجمعيات... اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

إن من الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية وتمزيق الأمة فرقًا وأحزابًا، ولا يقلل خطرهما عن إنشاء الأحزاب السياسية، بل هي أخطر منها لخباء أهدافها وبرامجها الحقيقية في إسقاط العلماء وضرب الحق وأهله تحت شعارات براقة، وكذلك لخبائنها ورواجها عند كثير من الدعاة خصوصًا والناس عمومًا وقد كان الإمام الوادعي رحمه الله تعالى يصف هذه الجمعيات بأنها (حزبيات مغلفة) تروج على ضعاف النفوس وتستدرجهم بأموالها حتى يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا. ومن تلك الشعارات التي يرفعها أصحاب هذه الجمعيات:

- نشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين.

- طباعة الكتب الدينية.

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٦-٧).

- كفالة الدعاة إلى الله وطلبة العلم.
- بناء المساجد والمدارس الدينية.
- إقامة الندوات والمؤتمرات لمعالجة القضايا الإسلامية.
- إقامة الدورات العلمية.
- دعوة العلماء والدعاة من جميع البلدان الإسلامية.
- إقامة الرحلات الصيفية.
- إعانة الفقراء والمساكين، سواء كان بالمال أو الأطعمة أو اللباس، أو الأضاحي أو الموائد الرمضانية...
- توزيع رحلات إلى الحج والعمرة مجاناً.
- مساعدة الشباب الراغب في الزواج.
- المشاركة في المشاريع الخيرية كالستشفيات وبناء المدارس وتعبيد الطرقات وغيرها.
- كفالة الأيتام والعجز.
- إرسال المساعدات إلى المسلمين في البلدان التي توجد فيها حروب كفلسطين والعراق وأفغانستان....

وجميع هذه الشعارات إنما هي وسيلة إلى التسول<sup>(١)</sup> وأكل أموال الناس بالباطل والتهالك على الدنيا وحطامها، معرضين عن العلم الشرعي تعلماً وتعليماً، مشتغلين بالسياسة وفقه

---

(١) فائدة حول الصناديق التي تجعل في المسجد للتبرع: قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في كتابه «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» (ص ١٦٤): وكره - يعني مالك - التابوت الذي يجعل في المسجد للصدقة. اهـ

الجرائد والمجلات ودخول البرلمانات والانتخابات، متوغلين في التنظيمات المحدثه وعقد الإمارة في الحضر والبيعات، والحزبية والسريات، ساعين وجادين في تمزيق الدعوة السلفية وإسقاط العلماء ومحاربتهم واستمالة الدعاة وطلبة العلم إلى صفهم، وعندهم من المخالفات التي أهانهم الله عز وجل بها العديد غير ماتقدم، مثل:

- تبنيهم للأفكار المنحرفة كالإخوانية والقطبية والسرورية...
- الولاء والبراء الضيق، ولواء أهل الباطل والبراء من أهل الحق لمجرد الدخول في الجمعية وعدمه.
- إيداع الأموال في البنوك.
- تصوير ذوات الأرواح.
- عدم التعفف وإهانة العلم والسنة على أعتاب التجار وأصحاب الأموال.
- دخولهم تحت القوانين الوضعية كمجلة الأحوال الشخصية وغيرها وخضوعهم لها.
- إعمالهم لقاعدة البنا (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).
- عدم إقامة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التخوض في مال الله بغير حق.
- تبني الكذب والغش والخداع.
- التشبه بالكفار.
- التهاون في أمر المحرمات.
- التصدر دون تأهل علمي.
- إيفار الصدور والتحريش بين العلماء والمشايخ.

وغير هذه المخالفات الشرعية مما يجعل تحريم إنشائها والتعاون معها أمر لا يشك فيه، لاسيما لمن اطلع على هذه المخالفات وخبر أصحابها.

وأخطر هذه الجمعيات ما كان ناطقاً باسم الدعوة السلفية والعقيدة الصحيحة يخفون ما عندهم من انحرافات وبغض للدعوة السلفية ومشايخها، متملقين عند العلماء والدعاة<sup>(١)</sup> والحمد لله قد ظهوروا بحقيقتهم وانكشفوا عند كثير من الناس لا سيما أبناء الدعوة السلفية وأبغضوهم وحذروا منهم ومن أعمالهم.

ودعوى وجود جمعيات سنية، أو بعبارة أخرى التفصيل في مسألة الجمعيات، بعضها سلفية وبعضها حزبية دعوى باطلة لوجود المخالفات في أدنى الجمعيات، وانسحاب الحكم على الجميع، والواقع خير شاهد على الجمعيات التي تدعي السلفية.

---

(١) وعلى رأسهم في هذا العصر (جمعية إحياء التراث الكويتية الإخوانية) التي فرقت الدعوة السلفية في الكويت والإمارات ومصر والسودان واليمن والأردن وأرض الحرمين... بل في مشارق الأرض ومغاربها، وقد فضحهم الله عز وجل وأبان مكائدهم وحقدهم على الدعوة السلفية وأهلها. نسأل الله أن يهدمه عليهم، فإنه مقر ضرار وإفساد.



## الباب السابع:

- الفصل الأول: طعن الغنوشي في أنبياء الله عز وجل.
- الفصل الثاني: الطعن في رسول الله ﷺ.
- الفصل الثالث: ذكر نبذ من فضائل أصحاب النبي ﷺ مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم.
- الفصل الرابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره من الصحابة.
- الفصل الخامس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.
- الفصل السادس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه.
- الفصل السابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل أبي بكر رضي الله عنه.

## الفصل الأول: طعن الغنوشي في أنبياء الله عزوجل

قال الغنوشي: صحيح أن مصيبة هذه التجزئة قد فرضت على أمتنا بقوة النار والأساطيل، فرضها علينا ميزان قوة دولي قد مال منذ مائتي سنة لصالح أعداء أمتنا، فتمزقنا شر ممزق في كيانات قطرية لا تصلح حتى ولو قادها أنبياء!! فكيف إذا تولاها شياطين أرضية ومنطلقا وسندا لأي عزة أو نهضة أو بناء شوكة لاسيما وقد روعي فيها أن يكون بأسها بينها، وأن تمسك من رؤوسها مسكا محكما يجعلها مسلطة على شعوبها وعلى جيرانها.<sup>(١)</sup>

للقند:

معلوم أن الطعن في نبي من أنبياء الله عزوجل أو تنقصه كفر أكبر وردة عن الإسلام، قد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ \* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

وهذا الكلام الذي قاله الغنوشي فيه طعن وتنقص لأنبياء الله عزوجل، وأنهم عليهم الصلاة والسلام لو قادوا دولا قطرية مجزئة لا تصلح هذه الدول ما دامت لم تتحد في دولة واحدة، وهم عليهم الصلاة والسلام المؤيدون بالوحي والنصرة من رب السماء والأرض، مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

وهذه الجرأة والمجازفة في القول نظير ما قاله شيخه يوسف القرضاوي: قبل أن أودع مقامي هذا أحب أن أقول كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية، العرب كانوا معلقين آمالهم على

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٧٥).

(بيريز) وقد سقط وهذا مما نحمده في إسرائيل نتمنى أن تكون بلادنا مثل هذه البلاد من أجل مجموعة قليلة سقط واحد من الشعب وهو الذي يحكم ليس هنا التسعات الأربع أو التسعات الخمس التي نعرفها في بلادنا تسعة وتسعين وتسعة وتسعين في المائة (٩٩، ٩٩٪) ما هذا؟ لو أن الله عرض نفسه على الناس ما أخذ هذه النسبة!! نحيا إسرائيل على ما فعلت. اهـ

وقد سئل العلامة ابن عثيمين رحمه الله عن صاحب هذه المقالة، فقال: يستتاب فإن تاب وإلا يقتل مرتداً، والعياذ بالله.

## الفصل الثاني: الطعن في رسول الله ﷺ

قال الغنوشي: ولقد كانت علويته سلطة نص الوحي كتابا وسنة على كل سلطة أخرى تشريعية أو تنفيذية، وأنها سند كل سلطة ومبرر كل طاعة يطلبها حاكم ... كانت واضحة تمام الوضوح لدى صحابة رسول الله حيث كانوا يميزون بين شخصيته مبلغا عن الله وبين شخصيته بشرا حاكما يعتريه ما يعتري البشر من صواب وخطأ، فإذا استشكل عليهم الأمر من أمره عليه السلام سألوه أهو الوحي يا رسول الله أم هو الرأي أي اجتهادك الشخصي، فإذا كان الأول قالوا سمعنا وأطعنا، وإذا كان الثاني اجتهدوا في تمحيص ذلك الرأي، وقد ينتهون إلى تعديله أو الإعراض عنه جملة!! .. والوقائع في ذلك كثيرة «سيرة ابن هشام». اهـ<sup>(١)</sup>

النتقد:

إن هذا الكلام من الغنوشي مشتمل على الطعن في نبينا الكريم محمد ﷺ شعراً قائله أو لم يشعر. ومحصل كلامه وجهة الخطأ التفريق بين كونه ﷺ مبلغا عن الله وبين كونه حاكما، وهذا التفريق باعتبار الصواب والخطأ، وأنه في الثاني ربما اعتراه الخطأ (كلامه!). وأنه الصحابة ربما استشكل عليهم الأمر من أمره وأنهم يفرقون بين ما كان وحيا وبين اجتهاده، وأنه إذا كان من الثاني ربما انتهوا إلى تعديله أو الإعراض عنه جملة!!، وكأنه يتحدث عن ملك من أولئك الملوك أو أحد رؤساء الدول في هذا العصر، ولا كأنه يتحدث عن نبي من

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٠١).

أنبياء الله عز وجل معصوم، رسول الله إلى العالمين!! والذي جره إلى هذا هويته وولع هؤلاء الحركيين بانتقاد الحكام والاعتراض عليهم وتعديل أقوالهم والمبالغة في ذلك، ولو كان رسول الله ﷺ!! والعياذ بالله.

والرد على ما ذكره من وجوه:

- أنه لا فرق بين كونه عليه الصلاة والسلام مبلغاً عن الله وبين كونه حاكماً، إذ الحكم من التبليغ عن الله عز وجل ومن الدين ومشمول على قضايا كثيرة من إقامة شرع الله في الأرض وتعليم أحكام الله في السياسة الشرعية وغيرها.

- أن حكمه عليه الصلاة والسلام ليس فيه الخطأ لعموم عصمته عليه الصلاة والسلام وهو القائل: «إني لا أقول إلا حقاً»، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

- عموم وجوب امتثال ما قاله ﷺ شرعاً (سواء كان حكماً أو غيره)، دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»<sup>(١)</sup>.

- على القول باجتهاده ﷺ في القضاء والحدود والتشريعات ونحوها - غير الأمور الدنيوية فإن اجتهاده فيها باتفاق - فإن هذا اجتهاد مؤيد بالوحي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فينزل الوحي بتصويبه ﷺ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿وَلَا تَصَلِّ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٣٦٣).

عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴿[التوبة : ٨٤]﴾ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾  
[عبس : ١ - ٢].

فنزول الوحي بتصويبه ﷺ هو التشريع والنص، ونزول النص يرفع كلفة الاجتهاد.  
فأراد من قال باجتهاده ﷺ في هذه المسائل اجتهادا معصوما وليس اجتهادا مطلقا دون  
تصويب، فإن النبي ﷺ لا يتصور في حقه الخطأ في (تشريعات).

- أن الصحابة كانوا أعظم الناس وأسرعهم استجابة لأوامر الرسول ﷺ بدون تعديل ولا  
إعراض كما وصف الغنوشي لعلمهم وتيقنهم بوجوب امتثال أوامره عليه الصلاة والسلام،  
وقد وصفهم الله عز وجل بالاستجابة لدينه، قال تعالى ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ  
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا  
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران : ١٩٣].

- التفريق بين علوية سلطة نص الوحي كتابا وسنة وبين تمييز الصحابة -الذي زعمه  
راشد- من كونه بشرا حاكما تفريق باطل، فالنبي ﷺ هو المبلغ عن الله عز وجل الكتاب  
والسنة، فهو رسول من رسل الله وخاتمه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ  
بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾  
[الحاقة : ٤٠ - ٤٣].

فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ولم يقل (إنه لقول نبي) للدلالة على أن الرسول يبلغ عن المرسل ما أرسله به، ثم أكده بقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكذلك السنة من عند الله، وهو عليه الصلاة والسلام مبلغ ذلك ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

فإن قال الغنوشي: قصة تأبير النخل؟

قلنا: ذاك في أمور الدنيا، ومع ذلك لما قال لهم: «ما أظن يغني ذلك شيئا»، وفي رواية: «لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا»، وفي رواية: «لو لم تفعلوا لصلح»، تركوه وانتهوا امثالا لرأيه عليه الصلاة والسلام، حتى راجعهم بقوله: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

فإن قال: قصة بريرة مع مُغيث؟

قلنا: النبي ﷺ قال: «إنما أنا أشفع»، لذلك سألت بريرة: «يا رسول الله تأمرني؟»، فلو أمرها لأجابت وما تأخرت في الإجابة رضي الله عنها، لكن لما علمت أنه يشفع قالت: «لا حاجة لي فيه»، والقصة في البخاري.

## الفصل الثالث: ذكر نبذ من فضائل أصحاب النبي ﷺ، مع بيان عقيدة أهل

### السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم

إن لأصحاب رسول الله ﷺ مكانة عالية ومنزلة رفيعة في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ وفي قلوب المؤمنين، فأمرنا بحبهم واحترامهم والاعتراف بفضلهم وسابقتهم وذكر محاسنهم وكف ألسنتنا عن ذكرهم بسوء أو تنقص، وتقديم أفهامهم على أفهامنا في النصوص الشرعية، وغير ذلك من الفضائل والمحاسن التي تدل على ما حباهم الله عز وجل به من شرف الصحبة وفضل السبق ورسوخ القدم في الإسلام ونصرته. وقد أثنى الله عليهم في كتابه وأثنى عليهم رسوله ﷺ في سنته.

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُكُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨ - ٨٩].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

قَبْلَهُمْ يُحْيُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨-٩﴾ [الحشر: ٨ - ٩].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. والآيات في الثناء عليهم كثيرة جدًا.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه»: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: حدثنا أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم».

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيى قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

وقال الإمام مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه»: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ كُلُّهُمْ عَنْ حُسَيْنٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَنْ مَجْمَعِ بْنِ يَحْيَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ - قَالَ -: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ». قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لَأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

وقال الإمام البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت ذكوان يحدث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر ثنا عاصم عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله

حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء. إسناده حسن، فعاصم -وهو ابن أبي النجود- حسن الحديث.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: من انتقص أحداً من أصحاب النبي ﷺ فليس له في هذا الفيء حق، قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فُضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وهؤلاء هم الأنصار.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين. اهـ

قال الإمام ابن زيد القيرواني (٣٨٦هـ) رحمه الله تعالى في عقيدته الشهيرة «مقدمة الرسالة»: وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين. وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتبس لهم أحسن المخرج، ويظن بهم أحسن المذاهب. اهـ

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

قال البربهاري في «شرح السنة»: واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمدا ﷺ وقد آذاه في قبره.

قال أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلبوا القرآن والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الواسطية»: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»... ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر من الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه. والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم

وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعته محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله. اهـ

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم، فمن التزمها وتمسك بها فقد رشد، ومن خالفها فغلا أو طعن أو تنقص فهو خارج عنها، بعيد كل البعد منها، فنسأل الله السلامة والعافية.

## الفصل الرابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وغیره من الصحابة

قال الغنوشي: اختلف المسلمون وكان في خلافهم من جهة ثراء كبير لحضارتهم، ولكن من جهة أخرى ولأسباب كثيرة منها سرعة إجهاض تجربة الحكم الشوري وقيام الملك العضوض، وتكون الثقافة الإسلامية في ظل الحكم الاستبدادي فشلوا إلى حد كبير في إدارة الحوار بينهم، نجحوا في السقيفة في إدارة حوار رائد أُرسى على أساسه نظام الخلافة الشوري، ولكن مبدأ الشورى لم يُؤطر ولم يقنن فظل يمارس على نحو تغلب عليه العفوية ويعتمد إلى حد كبير على نوعية الحاكم لا على تنظيمات ومؤسسات ولذلك ما أن تغيرت نوعية الحاكم على عهد سيدنا عثمان بسبب ضعف الرجل! وتعقد المشاكل خلال الفترة الثانية من حكمه حتى عجزت العفوية عن مواجهة الأمر وسهل في فترة لاحقة على المستبد أن يفرغوا الشورى من محتوياتها ويبعدوا الجماهير عن الحكم. اهـ<sup>(١)</sup>

في هذا النص طعن في الصحابي الجليل عثمان رضي الله عنه:

- وصفه بالضعف.
- وصفه بأنه يمارس الحكم بعفوية وليس بحزم وقوة.
- تغير نوعية الحاكم وهو عثمان رضي الله عنه بحلوله خليفة على المسلمين على ما كان عليه صاحبه أبي بكر وعمر.

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢٢٢).

- اتهامه بأنه لم يؤطر ولم يقنن مبدأ الشورى إلى تنظيمات ومؤسسات.

#### النص الثاني:

قال الغنوشي: كذا كانت الشورى تجري بين فئات المجتمع الإسلامي الأول ونخبته (المهاجرون والأنصار) قبل أن يتولى قيادة المجتمع الإسلامي صحابي جليل، لكن خانه في سنواته الأخيرة المضاء والحزم، هو الخليفة الثالث عثمان، فافلت الزمام وعجزت النخبة عن تطوير مؤسسات دولة (مدنية) لتتحول إلى مؤسسة دولة عالمية، وانتهى الأمر إلى استبداد قبيلة بالثروة والسلطة، ونشأت الأحزاب في ظل واقع منحرف، وظلت مصطبغة بروح النشأة والصراع والمغالبة. اهـ<sup>(١)</sup>

#### في هذا النص:

- اتهام عثمان رضي الله عنه بأنه غير في طريقة وقوع الشورى عما كان عليه (المهاجرون والأنصار).

- اتهامه بعدم المضاء والحزم.

- اتهامه بعدم تطوير مؤسسات الدولة.

- وأن هذه الأشياء التي اتهم الغنوشي بها عثمان رضي الله عنه كانت سببا لما حصل بعد من الصراع والمغالبة.

#### النص الثالث:

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٢٧).

قال الغنوشي: وبعض تلك الكوارث التي جرتها محاولات للتغيير بالقوة فتح في باب الأمة ثلثة لم ولن تسد إلى يوم القيامة مثل الثورة المسلحة ضد الخليفة الثالث، فقد قسمت جماعة المسلمين وفرضت عليها الصراع الداخلي إلى يوم يبعثون، وكان يمكن لقوة الكلمة أن تصحح المسار ولو بعد حين، فما ينبغي الزهد في هذا السلاح وتخطيه بسرعة. اهـ<sup>(١)</sup>

في هذا النص:

- وصف لعثمان رضي الله عنه بتغيير المسار وكان يمكن لهؤلاء الظلمة الذين خرجوا عليه لو استعملوا قوة الكلمة أن يصححوا المسار.

النص الرابع:

قال الغنوشي: غير أن تناقص الجيل الأول وانسياح الإسلام في أرض الله الواسعة وبروز أمصار جديدة تنافس المدينة كالبصرة والكوفة ودمشق ومصر دون أن يحدث تنظيم وتطوير لأساليب الشورى، كما كانت تمارس في دولة المدينة، أشاع الإضطراب منذ عهود خلافة عثمان. ثم تصرم الأمر في عهد الخليفة الرابع لينقلب بعده حكم الشورى إنفرادا واستبدادا بالسلطة دون أصحابها الشرعيين: الأمة وممثليها من أهل الحل والعقد ... فسقط بذلك ركن من أركان الشريعة وبدأت رحلة الفصام النكد بين الدين والسياسة في حياة المسلمين. اهـ<sup>(٢)</sup>

في هذا النص:

---

(١) المصدر السابق (ص ١٩٩).

(٢) المصدر السابق (ص ١٢٦).

- أن عدم تطوير عثمان رضي الله عنه لأساليب الشورى وتنظيمها أشاع الإضطراب في خلافته.

- طعن في معاوية رضي الله عنه وملك بني أمية بعد خلافة علي رضي الله عنه وأنهم انفردوا بالشورى واستبدوا بالسلطة دون أصحابها الشرعيين.

#### النص الخامس:

قال الغنوشي: إن الذي حول الخلافة إلى ملك عضوض ... ليس فقط العائلة الأموية التي تمكنت من استعادة وضع كان لها في العرب قبل الإسلام، انتقل بالإسلام إلى غيرها، فلذلك سبب خارجي. أما السبب الرئيسي فيمكن في النخبة ذاتها .. في أهل الحل والعقد. فهؤلاء لم تسعفهم الجرئة الضرورية لمواصلة الإجتهد التنظيمي والإداري والدستوري لابن الخطاب الذي مثل امتدادا خصيبا لعمل النبي ﷺ كمؤسس لـ (الدولة - المدينة) كان مطلوبا من خلفائه وقد أصبحت دولتهم عاصمة لا امبراطورية، أن ينجزوا عملا تنظيميا ضخما قد شرع فيه الفاروق فعلا ولكنه للأسف لم يتواصل من بعده، فلقد انتصر عبدالرحمن بن عوف رئيس مجلس الشورى لاتجاه المحافظة على حساب التجديد والإجتهد لما اشترطوا في خليفة عمر أن يلتزموا بنهج الشيخين، فقبل ذلك عثمان ورفض علي رضي الله عنهما، فكانت الخلافة للأول، فتوقف عمل عمر الإجتهد التنظيمي لتغلب روح العصر السائدة، وتفتح أبواب التراجع عن ثورة الإسلام الشورية المساوتية. وكان منتظرا أن يتواصل عمل عمر مع أيلولة الحكم إلى علي بن أبي طالب، غير أن الأمر قد تصرف عليه فأمضى معظم جهده في إطفاء الفتن ومحاولة استرجاع وحدة الدولة. وكانت شخصيته رضي الله عنه هو الآخر أميل إلى المحافظة المبدئية، وربما يكون قد حمله حبه العظيم ووفاءه للنبي ﷺ وخليفته رضي الله عنه، ولصورة الدولة كما

تركها النبي ﷺ (دولة - مدينة) على الإحجام عن إعمال فقهه العظيم في إبداع صور تنظيمية جديدة لدولة عالمية تتناسب مع الإتساع الهائل لقاعدة دولة وقد انضمت إليها شعوب وحضارات بكاملها لاستيعابها في بوتقة قيم السلام التي انجذبت إليها بما بشرت به من عدالة ومساواة، ولكنها لم تجد ذلك واقعا في بنية الدولة على أمثل صورة، فالخليفة الرابع ذاته رضي الله عنه لم يكن يرى هؤلاء المسلمين الجدد الذين أصبحوا أكثرية في المجتمع أساسا لشرعية الحكم بل الأمر مستمر عنده أمر المهاجرين والأنصار، مع أن هؤلاء قد تضاءل حجمهم في المجتمع الإسلامي الذي يحكمه. إن ضياع الخلافة الراشدة كان ثمرة لهذا الخلل الهائل بين الوضع التنظيمي الدستوري الذي ظل محكوما بصورة (دولة - مدينة) بينما الواقع الاجتماعي قد تطور تطورا هائلا إلى دولة عالمية. اهـ<sup>(١)</sup>

في هذا النص:

- اتهام لبني أمية بأنهم استعادوا وضعا كان لهم في العرب قبل الإسلام.
- اتهام لأهل الحل والعقد في خلافة عثمان رضي الله عنه (المهاجرين والأنصار) بأنهم لم تسعفهم الجرئة والتقصير في الإجهاد التنظيمي والإداري والدستوري.
- اتهام للصحابي عبدالرحمن بن عوف بأنه انتصر لاتجاه المحافظة على حساب التجديد والإجتهاد لما اشترط في خليفة عمر أن يلتزم بنهج الشيخين أبي بكر وعمر، ولم يدر الغنوشي أن التجديد ليس في إمارة القديم وإنما التجديد في إحياء القديم، لاسيما إذا كان هذا القديم نهج خلافة راشدة كخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٠٥).

- اتهام علي رضي الله عنه بأن شخصيته أميل إلى المحافظة المبدئية -يعني على حساب التجديد والإجتهد- وأنه أحجم عن إعمال فقهه العظيم في إبداع صور تنظيمية جديدة لدولة عالمية تتناسب مع الإتساع الهائل لقاعدة دولة.

- أن الشعوب والحضارات التي انجذبت إلى الإسلام في خلافة علي رضي الله عنه لم تجدد في واقع دولته أمثل صورة.

- اتهام علي رضي الله عنه بأنه لم يكن يرى المسلمين الجدد وهم الأكثرية في المجتمع أساسا لشرعية الحكم وأن الأمر عندهم متستمر على أمر المهاجرين والأنصار فحسب مع أن هؤلاء عددهم قليل، وهذا سبب للطعن فيه عند الغنوشي ولم يدر راشد أن المهاجرين والأنصار يقدمون على غيرهم لشرف الصحبة وسابقتهم وشهودهم الوحي والنصرة فإن فضل المتقدم على المتأخر كفضل التقدم على التأخر مع الحفاظ على مكانة وحقوق غيرهم، وليست المسألة مسألة قلة وكثرة كما يدعي الغنوشي.

- أن هذه الاتهامات التي وجهها راشد للصحابة كانت ثمرة - عنده - للخلل الهائل في وضع التنظيم الدستوري.

النقد:

كل هذه الطعون الباطلة يوجهها الغنوشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ خصوصا عثمان رضي الله عنه الصحابي الجليل، وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أسلم قديما وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية وماتت عنده في أيام بدر وزوجه بعدها أختها أم كلثوم، فلذلك كان يلقب بذي النورين، بشره رسول الله ﷺ بالجنة.

وهو أول من هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته رقية وتخلف عن بدر لتمريرها فكتب له النبي ﷺ بسهمه وأجره، وتخلف عن بيعة الرضوان لأن النبي ﷺ كان بعثه إلى مكة فأشيع أنهم قتلوه فكان ذلك سبب البيعة فضرب إحدى يديه على الأخرى وقال: هذه عن عثمان.

وجاء من طرق كثيرة صحيحة عن عثمان رضي الله عنه لما أن حاصروه انتشد الصحابة في أشياء منها: تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي ﷺ عنه تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك، فقتلوه ومات شهيدا رضي الله عنه على إثر فتنة تبناها عبد الله بن سبأ اليهودي تنشر الشائعات والانتقاصات الباطلة، ولا زال هؤلاء يسرون على نهج ابن سبأ ينشرون الكذب على هذا الخليفة الراشد بتتبع أخبار الرافضة والقصاص وأغبياء الأخباريين الذين لا يميزون صحيح الأخبار من سقيمها وشاذها من قويمها، ويسوئون الظن بهذا الخليفة الراشد الذي جمع الأمة على مصحف بعد الاختلاف، ومن تستحي منه ملائكة الرحمن، فظنوا حياء عثمان وحلمه ضعفا وعدم حزم وخور، وهو الذي امتدت امبراطورية الإسلام في عهده أقصى الدنيا شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وفتحت في خلافته البلدان وحتى البلاد التي منها الغنوشي فتحت بأمر من عثمان لعبدالله بن سعد بن أبي السرح أن يغزوها، فافتتحها سهلها وجبلها حتى اجتمعوا على الطاعة والإسلام وحسن إسلامهم.

فهلّا كان من الغنوشي الاعتراف بهذا الجميل، والإحترام والتقدير وعدم الطعن على عثمان والصحابة من الأنصار والمهاجرين!

ومن مناقب عثمان رضي الله عنه ما حدّث به الإمام البخاري رحمه الله تعالى، قال: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب عن أبي عثمان عن أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل حائطا وأمرني بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال: «أئذن له وبشره

بالجنة». فإذا أبو بكر ثم جاء آخر يستأذن فقال: «أذن له وبشره بالجنة». فإذا عمر ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: «أذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه». فإذا عثمان بن عفان.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنسا رضي الله عنه حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال: «اسكن أحد -أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان هو ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سألك عن شيء فحدثني هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عنبيعة الرضوان فلم يشهد؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحتها بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه». وأما تغيبه عنبيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانتبيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى «هذه يد عثمان». ف ضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان». فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

وقال رحمه الله تعالى: حدثني محمد بن حاتم بن بزيع حدثنا شاذان حدثنا عبد العزيز ابن أبي سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم.

وقال رحمه الله تعالى: وقال عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن: أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة». فحفرتها أستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة». فجهزته قال: فصدقوه بما قال.

وقال الإمام مسلم رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ - يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَرْمَلَةَ عَنْ عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنِ يَسَارٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقِيهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأْذَنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأْذَنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

ولن أناقشه في طعنه على الصحابة واتهامهم بعدم الإجتهد وتطوير الشورى لما تقدم من بيان جهله بالشورى ومبادئها وأسسها وأحكامها وغاياتها.

## الفصل الخامس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي

### الله عنهما

قال الغنوشي: وإلا كيف نصدق أن مثل الآراء المتقدمة حول الاستخلاف تصدر عن فقيه نائر مثل ابن حزم؟ هل غاب عنه وهو رجل الوثيق التاريخي بداية قصة أو نكبة الاستخلاف مع الوالي المنشق معاوية ابن أبي سفيان وقد غلبت عليه غفر الله له شهوة الملك ومواريث عصبية القبيلة، فلم يكتف بأن انتزع الأمر من أهله عنوة وكيدا، بل مضى لا يلوي على شيء حتى صمم على توريثه - كما يورث المتاع - لابنه الفاسق وعشيرته، فجمع في قصة مشهورة ثلة من المرشحين للخلافة فقام خطيبهم معلنا: الخليفة هذا، مشيرا إلى معاوية، وخليفته ذا، مشيرا إلى يزيد، فمن أبى ذلك فليس له غير هذا مشيرا إلى سيفه، فقال له معاوية: اجلس، فأنت خطيب القوم.

ومنذئذ بدا مسلسل الشر والفساد مؤبدا الدكتاتورية وحكم الفرد على اختلاف في الصورة: الوصية والعصمة وولاية العهد، حتى أسلمنا ذلك للانحطاط فالإستعمار، فدكتاتورية الحداثيين المزيفين. اهـ<sup>(١)</sup>

النتقد:

في هذا النص وجه الغنوشي - المعتدي على أصحاب رسول الله ﷺ - جملة من الطعونات باطلا وبهتاناً للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

- وصفه بأنه والي منشق.

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٧٥).

- وأنه غلبت عليه شهوة الملك.

- وأنه غلبت عليه موارد عصبية القبلية.

- وأنه انتزع الأمر من أهله عنوة وكيدا.

- وفيه وصفه بالكيد.

- والدكتاتورية وحكم الفرد.

ومعاوية هو: ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ -  
بن كلاب، أمير المؤمنين أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي الصحابي الجليل، كاتب  
الوحي وخال المؤمنين.

قال الإمام الذهبي: وقال خليفة: ثم جمع عمر الشام لمعاوية، وأقره عثمان.

قلت -أي الذهبي- : حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم -وهو ثغر- فيضبطه،  
ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك  
فليكن الملك.

وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل  
ساد، وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه، وله هنات  
وأمر، والله الموعد.

وكان محبباً إلى رعيته. عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك. اهـ<sup>(١)</sup>

ونحن لا ندعي العصمة لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم عن كبائر الإثم وصغائره، لكن لهم من الفضائل والسوابق وشرف الصحبة ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، وكما قال الذهبي رحمه الله تعالى: ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو بهريء من الهنات، والله يعفو عنه.

وقد وصف الذهبي أقسام الناس في معاوية رضي الله عنه بقوله: وخلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد ولدوا في الشام على حبه، وتربى أولادهم على ذلك. وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا على النصب، نعوذ بالله من الهوى.

كما قد نشأ جيش علي رضي الله عنه، ورعيته - إلا الخوارج منهم - على حبه والقيام معه، وبغض من بغى عليه والتبري منهم، وغلا خلق منهم في التشيع.

فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم، لا يكاد يشاهد فيه إلا غالياً في الحب، مفرطاً في البغض، ومن أين يقع له الانصاف والاعتدال؟ فنحمد الله على العافية الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين، وعرفنا مأخذ كل واحدة من الطائفتين،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٣٢-١٣٣).

وتبصرنا، فعذرنا<sup>(١)</sup>، واستغفرنا، وأحببنا باقتصاد، وترحمنا على البغاة بتأويل سائع في الجملة، أو بخطأ إن شاء الله مغفور، وقلنا كما علمنا الله ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلق. وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علينا، وكفروا الفريقين. فالخوارج كلاب النار، قد مرقوا من الدين، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان. اهـ<sup>(٢)</sup>

فلذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة حب هذا الصحابي الجليل وسلامة قلوبهم وألستهم له متبرئين من طريقة الروافض الطاعنين وطريقة النواصب الغالين.

وقد نص على هذه العقيدة في معاوية بخصوصه - وإن كانت تشمله عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة - الإمام ابن قدامة المقدسي في عقيدته الشهيقة «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، فقال رحمه الله: ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.<sup>(٣)</sup>

مما يدل على أهمية هذه العقيدة في قلوب المسلمين تجاه هذه الصحابي الجليل رضي الله عنه.

---

(١) لا طعنا كما يفعل الغنوشي.

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٢٨).

(٣) تنبيه: هذه الفقرة في بعض الطبقات دون بعض.

ومن مناقب معاوية رضي الله عنه: ما ذكره الهروي في «شرح المشكاة» أن عبد الله بن المبارك سئل: عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية؟ فقال: غبار دخل في أنف فرس معاوية حين غزا في ركاب رسول الله ﷺ أفضل من كذا من عمر بن عبد العزيز.

فإن شرف الصحبة لا يعدله شيء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا الْمُعَاوِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ أَوْتَرْتُ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ الْعِشَاءِ بَرَكَةً وَعِنْدَهُ مَوْلَى لِبْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ دَعُهُ فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وقال رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قِيلَ لِبْنِ عَبَّاسٍ هَلْ لَكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ مَا أَوْتَرَ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ قَالَ أَصَابَ إِنَّهُ فَقِيهٌ.

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثني عباس بن عبد العظيم العنبري وأحمد بن جعفر المعقري قالا حدثنا النضر (وهو ابن محمد اليمامي) حدثنا عكرمة حدثنا أبو زميل حدثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله ثلاث أعطينهن، قال: «نعم»، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها، قال: «نعم»، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال: «نعم».

فرجل كتب الوحي واثتمنه وارتضاه رسول الله ﷺ لدينا أفلا نرضاه لدنيانا؟!

## الفصل السادس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله

عنه

قال الغنوشي: ومن ذلك ما رويناه عن الشيخ سيدي محمد صالح النيفر من قصة الخلافة بين الشبان المسلمين وبين حزب الدستور في كثير من المناطق منها منطقة (قُرْبَة) حيث ترجحت كفة الشبان المسلمين حتى همشوا دعاة الحزب، فلما رفع الأمر إلى قيادة الحزب تم ترتيب لقاء بين القيادتين حضره من جانب الحزب الهادي نويرة ومن جانب الشبان المسلمين الشيخ محمد صالح النيفر رحمه الله، ثم تم الإتفاق في نهاية الحوار على تقاسم الأدوار بين المنظمين، بمقتضاه يتفرغ الشبان لشؤون الدين ويتفرغ الحزب لشؤون السياسة بما يعيد للأذهان حوار أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص. وكما هو منتظر وفق الطرف الإسلامي بالإتفاق ولم يبادل الطرف الآخر الوفاء. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

وفي هذا طعن في الصحابي الجليل عمرو بن العاص ورمي له بعدم الوفاء وهو الذي كان النبي ﷺ يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولاه غزاة ذات السلاسل، وأمدّه بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة ابن الجراح، ثم استعمله على عمان، فمات ﷺ وهو أميرها، ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنّسرين وصالح أهل حلب ومنبج

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ١٠١).

وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين، وولي عمرو إمرة مصر في زمن عمر بن الخطاب، وهو الذي افتتحها. (١)

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى (١٧٧٦٣): حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرحمن ثنا موسى بن علي عن أبيه قال سمعت عمرو بن العاص يقول بعث إلى رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني» فأتيته وهو يتوضأ فصعد في النظر ثم طأطأ فقال «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وارغب لك من المال رغبة صالحة» قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح».

وإسناده صحيح على شرط مسلم، وعبد الرحمن هو ابن مهدي.

وقال رحمه الله تعالى (١٧٨١٠): حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن موسى عن أبيه عن عمرو بن العاص قال: كان فرجاً بالمدينة فأتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بحمائل سيفه فأخذت سيفاً فاحتبيت بحمائله فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله» ثم قال: «ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان».

وسند هذا الحديث هو سند الذي قبله، وموسى هو ابن علي بن رباح.

وقال رحمه الله (٨٠٤٣): حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو كامل ثنا حماد أنا محمد بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام».

---

(١) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة».

وهذا حديث حسن، فإن محمد بن عمرو بن علقمة حسن الحديث.

قال الإمام مسلم رحمه الله في «صحيحه»: حدثنا محمد بن المثنى العنزي وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور كلهم عن أبي عاصم واللفظ لابن المثنى حدثنا الضحاك (يعني أبا عاصم) قال أخبرنا حيوة بن شريح قال حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسه المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إني قد كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبائعك فبسط يمينه قال فقبضت يدي قال: «مالك يا عمرو؟» قال قلت: أردت أن أشرط قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطق لأني لم أكن أملاً عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفتمونني فشنوا علي التراب شنأ ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

## الفصل السابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل أبي بكر رضي الله عنه

قال الغنوشي وهو يتكلم عن حديث أبي بكر رضي الله عنه: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» في محاولة تحريفه بعد أن وصفه بأنه ظني من جهة السند: ظنية الحديث تأتي من جهة راويه وهو أبو بكر رضي الله عنه، فعلى الرغم من أنه صحابي جليل من مسلمة الفتح إلا أنه كما ذكر عن نفسه قد حد في القذف... وقد اختلف العلماء في قبول شهادة المحدود التائب مع أن السلامة من الفسق شرط في قبول الراوي لدى المحدثين. ورغم أن أبا بكر من شيوخ البخاري ووثقه وروى عنه في صحيحه إلا أن الأحكام الشرعية وخاصة ما تعلق منها بنظام الدولة الإسلامية من ينبغي أن تبنى على سند ظني مهما كانت درجة الظنية ضئيلة. اهـ<sup>(١)</sup>

للنقد:

لن أناقش الغنوشي في هذا الموضوع تجويزه ودعوته إلى مشاركة المرأة في الأصول السياسية كالقضاء والبرلمان والوزارة...، لأنه سيأتي مناقشته في ذلك بعد إن شاء الله تعالى. وإنما الذي نود بيانه في هذا الموضوع ما ألصق بهذا الصحابي الجليل من الطعونات ورد مروياته التي أجمع العلماء على قبولها، وقد تكفل مجموعة من أهل العلم برد هذه الفِرَى عن هذا الصحابي، ومن أحسن ما كتب في ذلك رسالة العلامة الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي حفظه الله تعالى المسماة «الذب عن الصحابي الجليل أبي بكر وعن مروياته وعن أئمة الإسلام والسنة الذين قبلوا هذه المرويات (رد على محمد سليمان الأشقر)».

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (١٣٣).

فإن المتفق عليه أن الصحابة معدّلون بتعديل الله عزوجل لهم وأنه لا يُبحث في عدالتهم عند النظر في صحة الحديث وضعفه، والطعن في عدالة صحابي طعن في هذا التعديل ورد للسنة النبوية.

وخلاصة ما أجاب به الشيخ ربيع ما يلي:

- ١- أن أبا بكرة داخل في عموم الصحابة الذين زكاهم الله وأثنى عليهم ووعدهم الحسنی، وأنهم معدّلون بتعديل الله ورسوله.
- ٢- أن هذا عمل فظيع فيه جرأة منكرة مخالفة للكتاب السنة في احترام أصحاب رسول الله ﷺ والإشادة بمكانتهم ورضا الله عنهم.
- ٣- أن قصة حده في القذف جاءت من طرق لا تصح وأسانيد لا يُعتمد عليها في أدنى الأمور، فكيف يعتمد عليها في الطعن في صحابي شرفه الله بصحبة رسول الله ﷺ، وقد ناقش أسانيدھا حفظه الله تعالى.
- ٤- أن المؤرخين لم يلتزموا الصحة في كل ما يوردونه في توارixهم، وأن علماء السنة لا يعتقدون أن أخبار الأخباريين ومؤلفاتهم حجة ترد بها سنة رسول الله ﷺ الثابتة التي تلقتها الأمة بالقبول ويطعن بها في الصحابة الكرام.
- ٥- وإن صحت القصة فإن الإجماع منعقد على قبول رواية أبي بكرة رضي الله عنه، وممن حكى الإجماع على ذلك الحافظ ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٥٥٩) بعد روايته لقصة أبي بكرة والمغيرة رضي الله عنهما فقال: فأما قبول رواية أبي بكرة فمجمع عليها. وحكى الحافظ ابن القيم رحمه الله في «أعلام الموقعين» (٢/ ١٢٧) الإجماع على قبول رواية أبي بكرة.

- ٦- وحتى من يرى من العلماء أن التوبة لا تزيل الفسق عن القاذف، وحتى من يشترط منهم لصحة توبته أن يكذب نفسه فيما قذف به محصنة من المحصنات أو محصناً كلهم أطبقوا على احترام أبي بكره وقبول مروياته بل ورووا عنه.
- ٧- إخراج الإمام البخاري لهذا الحديث في «صحيحه» الذي هو أصح الكتب المصنفة وقد تلقته الأمة بالقبول، وقد أخرج الحديث غير البخاري.
- ٨- احتجاج العلماء بهذا الحديث منهم النسائي وابن حبان والبخاري وأبي يعلى الحنبلي وصديق حسن خان وعبد السلام بن تيمية جد شيخ الإسلام وابن كثير والشوكاني وغيرهم.
- ٩- ما عُرف به أبو بكره من صدقه في صحبته لرسول الله ﷺ وما عُرف من عبادته وزهده ونصحه للإسلام والمسلمين، وأنه بهذه الصفات ليس من الكذابين والفاسقين.
- ١٠- تفريقهم بين الرواية والشهادة إذ يشترط في قبول الشهادة العدد من الإثنين إلى الأربعة كما يشترط فيها الحرية والذكورة بخلاف الرواية فإنها تقبل بعد العدالة والضبط من الواحد حرّاً كان أو عبداً ومن المرأة حرة كانت أو أمة.
- ١١- تفريقهم بين القاذف الحقيقي والشاهد فإن أبا بكره شاهد من الشهود وليس بقاذف، والحد الذي أُقيم عليه لا لقذفه ولا لكذبه ولكن لاضطراب أحد الشهود الذي كان سبباً في عدم اكتمال نصاب الشهادة المشروطة في كتاب الله.
- ١٢- ثناء العلماء على أبي بكره رضي الله عنه ومن أثنى عليه الحسن البصري، والعجلي، وأبو نعيم الأصفهاني، وابن عبد البر، وابن الأثير، والذهبي، والحافظ ابن حجر، وصاحب كتاب «الرياض المستطابة» وغيرهم.

١٣ - أن رد هذا الحديث لأبي بكره يلزم منه رد جميع أحديثه في دوواين السنة وبالتالي ترد جملة من السنة النبوية، وقد روى عنه الشيخان في «صحيحيهما» أربعة عشر- حديثاً، اتفقا على ثمانية، وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بواحد، ومجموع رواياته عند الجماعة تبلغ حوالي خمسين حديثاً.

قال الخزرجي في «الخلاصة»: له مائة واثنان وثلاثون حديثاً اتفقا على ثمانية وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بآخر.

وروى عنه الإمام أحمد في «مسنده» حوالي مائة وخمسين حديثاً بالمكرر. فكيف ترد هذه الأحاديث لمجرد تهمة باطلة؟!

ومن أراد البسط في هذه النقاط والمزيد فليرجع إلى المصدر المذكور.

## الباب الثامن:

- الفصل الأول: الغنوشي والتكالب على السلطة.
- الفصل الثاني: طعن الغنوشي في كتب السياسة الشرعية وتفسير الحافظ ابن كثير.
- الفصل الثالث: دفع التهمة عن أهل السنة: أنهم ليس لهم عناية بالسياسة.
- الفصل الرابع: الغنوشي: مسألة القرشية في الإمامة العظمى مسألة سياسية وليست قضية دينية مؤبدة.
- الفصل الخامس: وصف الغنوشي المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية.
- الفصل السادس: تكفير الغنوشي لكثير من حكام المسلمين ورميهم بالفرعونية.
- الفصل السابع: دعوة الغنوشي إلى خوض المعارك الانتخابية.
- الفصل الثامن: دعوة الغنوشي إلى الثورة (الخروج) على حكام المسلمين.
- الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المظاهرات والإعتصامات والإضرابات.

## الفصل الأول: الغنوشي والتكالب على السلطة

قال الغنوشي: والحركة الإسلامية ولئن حققت إنجازات عظيمة في محاولتها تحرير لأمة من تراث الإنحطاط وآثار الغزو الغربي المدمر فقد ظلت بعيدة عن تحقيق هذا الهدف (إقامة شرع الله في الأرض) إذا استثنينا التجربة الإيرانية الجديرة بكل تقدير رغم ما شابهها ولا يزال من ارتباك. اهـ<sup>(١)</sup>

وهذا الكلام تحت عنوان: «قصور الحركة الإسلامية».

لننقد:

إن الناظر في مسيرة حركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة) منذ ثلاثين سنة تقريباً يرى عدم مصداقية هذا الكلام الذي يدعيه راشد من أن الحركة قد حققت إنجازات عظيمة في محاولتها تحرير الأمة من تراث الإنحطاط وآثار الغزو الغربي.

وإنما يصدق على سير الحركة المثل المعروف (مكانك رايح) بل لم تزد الحركة الأمة إلا انغماساً في درك الإنحطاط وآثار الغزو الغربي من خلال دعوة منظريها إلى التصوف والعقيدة الأشعرية وتحرير المرأة ودعوة المساواة المطلقة والدولة المدنية وغير ذلك.

فأين جهود الحركة في محاربة شرك القبور والوثنية ودعوة غير الله وبيان العقيدة الصحيحة الصافية، وتقرير ذلك وتعليمه، وأين كتبهم في ذلك كله؟! ثلاثون سنة لم يُحَطَّ يَرَاعَ واحد

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ٨٩).

منهم نضال مشرك أو متصوف أو رافضي أو قبوري... بل احتضانهم والدفاع والنفاح عنهم. هذه هي إنجازات الحركة الحقيقية!!

إن مثل هذه الأحزاب تقوم من أول يوم على التكالب على السلطة وليس على تصحيح العقائد ودعوة التوحيد. هذا هو الهدف الرئيسي لحزب النهضة، الوصول إلى سدة الحكم، لا يستطيع أن ينكر هذا إلا مكابر. ولا تسأل عن إقامة شرع الله في الأرض - كما يستخفون بذلك العقول - إقامة شرع الله عندهم فتح أبواب الديمقراطية، والمساواة المطلقة، وتحرير المرأة والحوار بين الأديان... هذه هي دولة الإسلام التي يتطلعون إليها.

إن كل ما مررت عليه من كتب الغنوشي ومقالاته لا تجد له حديثاً - عند الكلام على الدولة الإسلامية المزعومة - عن إقامة الحدود كالقصاص في القتل وقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن وجلد البكر... وطالما كنت متشوقاً للوقوف على موقفه من ذلك، فليبرز لنا الغنوشي موقفه من الحدود الإسلامية بوضوح وصراحة دون تلاعب بالألفاظ واتخاذ مسلك الإجمال في الكلام.. أم أنها الحرية والديمقراطية والمساواة؟!

وأما التجربة الإيرانية التي يلبس بها على الناس راشد، فهو أعرف بها، لا إقامة شرع الله في أنفسهم ولا في الأرض، الرفض والزندقة والكفر والتحالف ضد الإسلام، وكما قال الشاعر:

يكي عليه غريب ليس يعرفه      وذو قرابته في الحي مسرور

## الفصل الثاني: طعن الغنوشي في كتب السياسة الشرعية وتفسير الحافظ ابن

### كثير

قال الغنوشي: ونشأت كتب السياسة الشرعية إما معزولة عن الواقع التطبيقي مكتفية برسم صور مثالية لمواصفات الخليفة الراشدي، أو منظرية مبررة له، فكان طبعاً أن تولد مشلولة عاجزة عن الإرتفاع والتحرر من أسر المثال المجنح أو الواقع المتعفن.<sup>(١)</sup>

النقد:

بهذه الطريقة يطعن الغنوشي في كتب السياسة الشرعية دون اعتبار واحترام لجهود العلماء وما يقومون به من خدمة للإسلام وتقعيد لأسسه واستنباط لأحكامه.

ونظير ذلك طعنه في تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى قائلاً: كنت أقرأ وأكاد أحفظ عن ظهر قلب «الظلال» لأنه عندما أقرأه كان يملأني حماسة، كنت أشعر بأنه يعطيني نظارات أنظر بها إلى هذا العالم وأحلل بها الواقع العالمي، ولكن ماذا يعطيني «التحرير والتنوير» غير ما يعطيني إياه الرازي<sup>(٢)</sup> وابن كثير؟ يعطيني مادة لغوية، يعطيني فهماً لاشك، يعطيني رؤية عن الإسلام ليس هو الذي أعيشه، يعطيني رؤية عن عالم ليس الذي أحياءه، وإنما يعطيني رؤية عن عالم معزول، هكذا قرآن معلق وليس قرآناً يمشي على الأرض.<sup>(٣)</sup>

وكما قيل: حسبك من شر سماعه.

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٥٩).

(٢) كتاب «في ظلال القرآن»، و«التحرير والتنوير»، و تفسير الرازي من كتب الضلال.

(٣) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٢٥٣).

ورحم الله أبا فهر العلامة الشهير محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى إذ يقول: فالصبي الكبير  
يهزأ مزهواً بالخليل وسيبويه وفلان وفلان، ولو بُعث أحدهم من مرقدته ثم نظر إليه نظرة  
واحدة دون أن يتكلم لأجمه العرق، ولصار لسانه مضغة لا تتلجلج بين فكيه من الهيبة  
وحدها لا من علمه الذي يستخف به ويستهزأ.<sup>(١)</sup>

---

(١) «رسالة إلى الطريق إلى ثقافتنا».

### الفصل الثالث: دفع التهمة عن أهل السنة أنهم ليس لهم عناية بالسياسة

إن ما يذيعه الحركيون من أن أهل السنة - وفقهم الله - ليس لهم عناية ولا دراية بالسياسة كلام غير صحيح، وذلك أن أهل السنة هم أدرى الناس بالسياسة الشرعية المبنية على الكتاب والسنة، التي هي من الدين ولا سبيل إلى فصله عنها، يتعلمونها ويعلمونها غيرهم، وتراهم قائمين بها أوجه الله عليهم من السياسة، كل بحسبه وبقدر ما خوله الله من المسؤولية في المجتمع الإسلامي، والنبي ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وأما السياسة العصرية المبنية على الكذب والغش والخداع، والديمقراطية والمجالس البرلمانية والدساتير الوضعية، والرضا بالكفر والإختلاط والتصوير والمحرمات وأخبار المجلات والجرائد والتحليلات، فأهل السنة من أبعد الناس عنها، وعلى هذا تحمل كلمة محدث العصر ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى: (من السياسة ترك السياسة) أي ترك هذه السياسة المبنية على هذه المحرمات، لا أنه يرى فصل الدين عن السياسة - حاشاه من ذلك - فإن هذه السياسة العصرية من دخل فيها ابتلي في دينه - والعياذ بالله - فلذلك اجتنبها وحذر منها أهل السنة، وكما قال الشاعر:

إذا وقع الذباب على طعام      رفعت يدي ونفسي تشتهيه

(١) رواه البخاري برقم (٢٥٥٤)، مسلم برقم (١٨٢٩).

وتجتنب الأسود ورود ماءٍ إذا كان الكلاب ولغن فيه  
وأعظم السياسة ما يقوم به أهل السنة من الدعوة إلى توحيد الله والتمسك بالكتاب والسنة  
 وإقامة شرع الله في الأرض، وهو التمكين الحقيقي، التمكين لدعوة الأنبياء والمرسلين، دعوة  
 التوحيد، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾  
 [يوسف : ٢١]، فسماه الله عز وجل تمكيناً مع أن يوسف عليه السلام كان تحت إمرة العزيز.  
 فالتمكين الحقيقي هو التمكين لدعوة التوحيد، لمنهج أهل السنة، للدعوة السلفية.

## الفصل الرابع: الغنوشي: مسألة القرشية في الإمامة العظمى مسألة سياسية

### وليست قضية دينية مؤبدة

قال الغنوشي: وفي زمن كانت القبيلة تمثل التركيب الاجتماعي الأساسي، كان من الطبيعي أن لا يستقر الحكم ما لم يكن مستنداً إلى القبيلة الأقوى التي لا تنازع زعامتها. والثابت خلال مرحلة طويلة من تاريخ العرب قبل الإسلام وخلالها أن أحداً من العرب لم ينزع قريشاً زعامة العرب، مهما ظلت قوية ناهضة بشرائط القيادة... إذن فأحداث الإمامة في قريش تكشف عن سنة اجتماعية يجب احترامها، هي ضرورة قيام الدول على ما في العصبية من قوة التغلب وما يمكن ترجمته بمصطلحات عصرنا، على أقوى التكتلات في المجتمع مثل التكتلات الحزبية والجهوية... فاشتراط القرشية مسألة سياسية وليست قضية دينية مؤبدة، ذلك أن استناد الحكم إلى تكتل شعبي قوي يحد من نزوعات التشقق والتفتت ويقتصد في استعمال القوة ويوفر المنعة والاستقرار للأمة ويحقق الإجماع الضروري. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: وتقول أديعاء التسنن على نبيهم صاحب جوامع الكلم، فخلطوا بين مقاماته وبالخصوص مقام النبوة والتبليغ وهو مقام الثبات والخلود، وبين مقام القيادة والسياسة المرتبط ضرورة بالأحوال المتبدلة فحملوا هذه على ذاك كما فعلوا مع أحاديث حصر الخلافة في قريش التي لا يمكن في دين خالد رفع لواء تحرير البشر من كل ضروب الحيف والتمييز إلا أن تحمل على الصنف الثاني من مقاماته عليه السلام مقام الرئاسة والسياسة المتحول بطبيعته. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٧٠-١٧١).

(٢) المصدر السابع (ص ١٧٣).

النقد:

إن لقريش مناقب خصهم الله عز وجل بها منها أنه سبحانه بعث نبي الله محمدًا ﷺ منهم، ومنها أنه عز وجل أنزل القرآن بلسانهم، فقد قال عثمان بن عفان للرهط القرشيين الثلاثة حين جمع الناس على مصحف: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ذلك.<sup>(١)</sup> وغير ذلك من الفضائل التي جعلها سبحانه فيمن أسلم منهم ودان لشرعه وكتابه.

ومن تلك الخصائص التي اختصهم الله بها أن جعل الخلافة فيهم لا ينازعهم فيها أحد. فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ».<sup>(٢)</sup>

وأخرج أحمد في «المسند» (٧٦٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ لِي عَلَى قُرَيْشٍ حَقًّا وَإِنْ لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ حَقًّا مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا وَاتَّيَمَنُوا فَأَدُوا وَاسْتَرَحَمُوا فَرَحَمُوا» وهو حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أيضًا (١٦٧٨٨) عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ لِلْقُرَشِيِّ مِثْلِي قُوَّةَ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ فَقِيلَ لِلزَّهْرِيِّ: مَا عَنِ بَذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِلَ الرَّأْيُ».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٠٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٠٠).

فهذه الأحاديث تدل على ما اختصوا به في هذا المقام، مقام الإمارة وولاية المسلمين، وأنها مسألة شرعية دينية لا كما يزعم الغنوشي أنها مسألة سياسية، ومما يبطل قوله أيضًا في أنها غير مؤبدة وأنها مرتبطة بضرورة بالأحوال المتبدلة، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ»<sup>(١)</sup> والثاني ما أخرجه الترمذي (٢٣٧٧) عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وهو في «الصحيح المسند» للعلامة الوادعي رحمه الله تعالى.

فهذان الحديثان يدلان دلالة واضحة أن الأمر ماض إلى قيام الساعة، وقد انعقد الإجماع على ذلك ولم يخالف فيه إلا النظام المعتزلي ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع، فهم أسلاف الغنوشي في هذه المسألة.

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة قال القاضي اشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة قال وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد قال القاضي وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار ولا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٠١)، ومسلم برقم (١٨٢٠).

اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش ولا بسخافة ضرار بن عمرو في قوله أن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفته مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين والله أعلم. اهـ<sup>(١)</sup>

قال الماوردي: وَأَمَّا أَهْلُ الْإِمَامَةِ فَالْشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِيهِمْ سَبْعَةٌ:...

وَالسَّابِعُ: النَّسَبُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ لَوْ رُودِ النَّصِّ فِيهِ وَانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ، وَلَا اعْتِبَارَ بِضَرَارٍ حِينَ شَذَّ فَجَوَزَهَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احْتَجَّ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي دَفْعِهِمْ عَنِ الْخِلَافَةِ لَمَّا بَايَعُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ عَلَيْهَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ» فَأَقْلَعُوا عَنْ التَّفَرُّدِ بِهَا وَرَجَعُوا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا حِينَ قَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ تَسْلِيمًا لِرِوَايَتِهِ وَتَصَدِيقًا لِحَبْرِهِ وَرَضُوا بِقَوْلِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقْدِّمُوهَا». وَلَيْسَ مَعَ هَذَا النَّصِّ الْمُسَلَّمِ شُبْهَةٌ لِمُنَازَعٍ فِيهِ وَلَا قَوْلٌ لِمُخَالِفٍ لَهُ. اهـ<sup>(٢)</sup>

فإن قيل: إن الأمر قد خرج في أكثر البلاد عن قريش؟

قلنا: إن الأخبار الواردة عن النبي ﷺ في ولاية قريش وما خصوا به، ومنها ما تقدم، هي من قبيل الخبر الذي بمعنى الأمر، وكون الأمر خرج عن أصله لا يعني إلغاء شرعيته وعدم الدعوة إلى ذلك.

(١) «شرح مسلم» (١٢/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) «الأحكام السلطانية» (ص ٣١-٣٣).

وأما قول الغنوشي أنها مسألة سياسية وليست مسألة دينية مؤبدة فقد ظهر بطلانه وفساده، وقد تقدم كسر طاغوته في ذلك: نزع الصفة الشرعية وإضفاء الصفة التاريخية على الأحكام الإلهية. وهذا منها.

وأما قوله: (وتقول أدعياء التسنن على نبيهم صاحب جوامع الكلم) فلن أعرج عليه، وكما قيل: رمتني بدائها وانسلت.

## الفصل الخامس: وصف الغنوشي المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية

قال الغنوشي: إن الفرد المسلم يتعرض اليوم في إطار هذه المجتمعات الجاهلية (التي لا تقوم على أسس الإسلام ولا تخضع لنظمه وتعاليمه) يتعرض لضغوط كبيرة. اهـ<sup>(١)</sup>

للقند:

إن وصف الغنوشي للمجتمعات الإسلامية أو لبعضها بأنها مجتمعات جاهلية فيه تكفير لهذه المجتمعات ورمي لها بالحل التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، فإن الجاهلية العامة هي تلك الحال من الجهل بالله ودينه، وعبادة غيره سبحانه التي كانت عليها العرب قبل مجيء الإسلام بالتوحيد والشرائع الإلهية، فانتهدت هذه الجاهلية العامة بمبعث الرسول الكريم ﷺ. فلا يصح إطلاقها بعد مجيء الإسلام إلا على دار الكفر أو شخص لم يسلم، كافر بالله عز وجل. وبقيت هناك جاهلية مقيدة مخصصة وهي التي تقيّد بحالة معينة أو عمل معين، لم يبلغ حد الكفر الأكبر، فإن هذه يصح إطلاقها على بعض البلدان الإسلامية، أو بعض الأشخاص بشرط تخصيصها وتقييدها بتلك الحالة المعينة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ٨٠).

وقال النبي ﷺ: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»<sup>(١)</sup>

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»<sup>(٢)</sup>

وقال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما عير رجلاً بأمه: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»<sup>(٣)</sup>

كل هذه الأدلة تدل على عدم جواز إطلاق لفظ (الجاهلية) على المسلمين عموماً أو على بلد من بلدان المسلمين أو على شخص مسلم دون تقييده بعمل أو حالة خاصة، لأنه عند الإطلاق ينصرف إلى الحالة التي كانوا عليها قبل الإسلام، وهي الكفر الأكبر المخرج من الملة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعلها جاهل وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر كما

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢٩٤، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩)، ومسلم برقم (١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم برقم (١٦٦١).

هي في دار الكفار وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام. فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة. والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٢٥٨-٢٥٩).

## الفصل السادس: تكفير الغنوشي لكثير من حكام المسلمين ورميهم بالفرعونية

قال الغنوشي: أما التحدي الثاني فهو الإستبداد السياسي الذي يزرع تحت العالم الإسلامي. ومطلوب من أبناء الصحوة الإسلامية أن يخطوا بحسب الوسع جهادًا لا هواده فيه ضد الطغاة حتى وإن رفعوا المصاحف، فشر الإستبداد ما تسربل بالمعاني الجميلة، كالإسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية، كما فعل حكام منافقون في كثير من بلداننا الإسلامية. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: ورد في بعض الآثار أن أحد فراعنة مصر - وكم عرفت مصر - من الفراعنة! - كان منشغل البال... اهـ<sup>(٢)</sup>

للقند:

هذا تكفير من الغنوشي لكثير من حكام المسلمين، فإن النفاق إذا أطلق يراد به النفاق الأكبر مع وصفهم بالفرعونية، وهذا الذي يصدر من الغنوشي ليس عفويًا تجرّه حماسة أقلام هؤلاء الحركيين التي ليس لها كايح عند انطفاء مصابيح العلم وإسدال ظلمات الجهل والهوى، وإنما هي عقيدة في القلوب، فإنه يكفر ويدعو إلى الثورة والخروج بالظلم والإستبداد والضغوط والقمع والدكتاتورية والإستغلال. ولا عجب من ذلك وهو الذي تربى على فكر سيد قطب وكتبه حتى قال عن نفسه (كدت أحفظ «الظلال»)، وسيد هو مجدد الفكر الخارجي في هذا العصر وينبوع تكفير المجتمعات حكامًا ومحكومين.

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٧).

(٢) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ٥٤).

فإن قال: الظلم، الاستبداد، القمع، الاستغلال؟!!

قلنا: هذه ليست بمكفرات.

فإن قال: يحكمون بغير ما أنزل الله؟!!

قلنا: سبحان الله! وهل حكمت وستحكم بما أنزل الله؟! وتنزلاً معك في الاحتجاج وإن كنت لن تورده - إن شاء الله - وما أوردته في كتبك، قلنا: إن مذهب أهل السنة والجماعة التفصيل في الحكم على من يحكم بغير ما أنزل الله، فقد يكفر كفراً أكبراً مخرجاً من الملة وقد لا يكفر ويكون كفراً دون كفر. والواجب على كل مسلم تحكيم شرع الله والحكم بما أنزل الله سواء كان حاكماً أو محكوماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعباداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالى كسؤال البادية وكأوامر المطاعين فيهم ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار وإلا كانوا جهالاً كمن تقدم أمرهم وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهُ وَالرَّسُولَ إِنَّ كُنتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿[النساء : ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥]، فمن لم يلتزم بتحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا وما ذكرته يدل عليه سياق الآية. والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد ولكل أحد والحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ هو عدل خاص وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي ﷺ وكل من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر، وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضا رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٣٠-١٣١).

الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف»، وقال: «على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية»، وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وقال: «من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه».

ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول لكن خفى عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذ به الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه؛ ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧٠ / ٧).

## الفصل السابع: دعوة الغنوشي إلى خوض المعارك الانتخابية

قال الغنوشي: أبناء الصحو الإسلامية والقليل القليل ممن تبقى من رجال الحركة الوطنية والعروبية واقفون وحدهم اليوم يملؤون السجون ويرفعون رايات الجهاد والدعوة، ويخوضون حيث ما توفرت الفرصة المعارك الانتخابية بحماس جهادي وتفوق في الطرح. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: الحريات السياسية: وتتعلق بحق المواطن في المشاركة في الشؤون العامة انطلاقًا من المبدأ العظيم ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] أي أن السياسات الكبرى المتعلقة بالشؤون العامة لا يحل أن يكون التقرير فيها اختصاصًا لفرد أو مجموعة، وإنما هي موضوع للمناقشات العامة في اتجاه فرز إجماع يكون حكمًا.

ويترتب على ذلك الحق في تكوين الأحزاب وحرية الصحافة والمشاركة في الانتخابات العامة وتولي المسؤوليات، والتداول على السلطة عبر انتخابات نزيهة. اهـ<sup>(٢)</sup>

ودعوة راشد إلى خوض المعارك الانتخابية في كتبه كثيرة وصريحة جدًا.

للقد:

إن من المكاييد التي يقوم عليها النظام الديمقراطي الذي هو حكم الشعب نفسه بنفسه فكرة الانتخابات، وهي إحداث غربي تبعهم على ذلك كثير من المسلمين، فأضاعوا العلم والسنة جريًا وراء المقاعد البرلمانية والسياسات الغربية فمزقوا الأمة الإسلامية شرمزق وهدموا

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٥).

(٢) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٢٣).

كيانها ودولتها وركنوا إلى من هم أشد مكرًا وكيدًا بالإسلام والمسلمين، اليهود والنصارى، أعداء الرسل، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، ويقول تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومن المفسد الناتجة عن الإقرار بالانتخابات:

- الرضا بالتحاكم إلى ذلكم النظام الطاغوتي الديمقراطي، والله عز وجل يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

- أنها تشبه بالكافرين وتقليد لهم، والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

- أنها إقرار لذلك المبدأ الغربي الباطل (الحكم للأكثرية)، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ تَطِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

- أنها تمزيق للأمة وبث للصراعات والتناحر بينها لأنها لا تقوم إلا على مبدأ التعددية الحزبية، والله عز وجل يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- أنه يستوي فيها المسلم والكافر، والبر والفاجر، والله عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم ٣٥-٣٦].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

- ويستوي فيها الذكر والأنثى، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]. ولا يمنعها النظام الديمقراطي من رئاسة الدولة، والنبى ﷺ يقول: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

- أنه لا عبرة فيها بالعلماء وأهل الحل والعقد، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

- أنها خلع يد من طاعة ووسيلة إلى خلع السلطان الأول وإن لم توجد فيه الأسباب الشرعية لانتهاء ولايته كالاستقالة أو العجز أو الوفاة، والنبى ﷺ يقول: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

- أن فيها تطلع وتشوف وحرص على الإمارة، والنبى ﷺ قال لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها».

- أن فيها تضليلاً للجماهير من خلال انقيادهم لتوجيهات الزعامات السياسية وعدم ربطهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

- أنها مبنية على إرضاء الجماهير بالوعود الكاذبة ولو على حساب الدين، والله عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

- أن فيها تهويناً من أمر المحرمات كالإختلاط بين النساء والرجال في قاعات الترشيح والانتخاب، وتصوير ذوات الأرواح، وصرف أموال المسلمين في غير موضعها كالمدعايات وغيرها.

فالواجب على المسلمين البعد عنها، والإهتمام بما ينفع الإسلام والمسلمين من تصحيح العقائد وتعلم العلم وتعليمه.

## الفصل الثامن: دعوة الغنوشي إلى الثورة (الخروج) على حكام المسلمين

قال الغنوشي: أما إذا كانت السلطة تستظل بإرادة الشعب فالحركة الإسلامية في رأيي لا ينبغي أن تترك أي لبس في ذهن الشعب من هذه السلطة: لا هي إسلامية ولا هي قانونية ما دامت لا تسمح للشعب بالتعبير عن إرادته وحريته في التجمع. وعندئذ فليس أمام الحركة الإسلامية إلا الثورة الشعبية وذلك بدعوة الشعب للتكتل والوقوف صفًا واحدًا في وجه السلطة الجائرة كما حدث في إيران مثلاً، أو الثورة المسلحة التي تدفع الشعب لحمل السلاح والإطاحة بالسلطة كما حدث في أفغانستان. فهناك إذن ثلاث طرق واضحة للوصول إلى الحكم وكلها تتم عبر الشعب ويكون الشعب هو الحاكم فيها: الحل الديمقراطي، والثورة الشعبية، والثورة المسلحة. وحل آخر أداته العسكر ما أحسب أنه ينسجم مع قيم الإسلام الذي اعتبر الجهاد من أجل الحرية على رأس أهداف جهاده الدائم. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: ومن مقتضيات التصور الإسلامي في العقيدة والحكم توفر حرية المعارضة... ومن مقتضيات هذا التصور: التشريع لمبدأ الثورة ضد استبداد الحاكم بما يكف استبداده بدءًا بأدنى الوسائل وأخفها، وانتهاءً بأشدّها. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: فإذا تخلى أصحاب المال عن واجبهم تجاه إخوانهم وتواطأت معهم السلطة كان على الفقراء أن يعتمدوا على أنفسهم في افتكاك حقوقهم المغصوبة ولو مع استعمال القوة. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٢٩).

(٢) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٤١).

وقال أيضاً: ومن أبعاد فكرة الشمول أيضاً - أيضاً - الإهتمام بالقضية الاقتصادية والاجتماعية. يقول الإمام الهضيبي: يجب على ولي الأمر أن يساعد الناس على إيجاد أعمال لهم وتعهدهم حتى يصلح حالهم. فإذا كان دخل الإنسان لا يكفيه وكان غير قادر على العمل فهو في كفالة الدولة. فإن لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء أصبح فرضاً على كل من عنده فضل من المال أن يعود به إلى الفقراء، فإذا منع الفقير حقه جاز له أن يقاتل عليه. اهـ<sup>(٢)</sup>

النقد:

بهذه الطريقة يستميل راشد قلوب المسلمين ويستعطفهم، وبعبارات التباكي يستدرجهم (الظلم، الفقر، الاستبداد، الضغوط، القمع، الاستغلال، الإضطهاد...) ثم يدعوهم إلى الخروج وقتال المسلمين بعضهم بعضاً، كل ذلك من أجل الدنيا.

نرفع ديناناً بتمزيق ديننا      فلا ديننا يبقى ولا مانرقع

إن العقيدة الإسلامية تأمر بطاعة الوالي المسلم في المعروف ولزوم الجماعة وعدم شق العصا ونزع يد من طاعة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩].

=

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ١٤٠).

(٢) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (١٢٠).

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي  
كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا، قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةَ فَاضِرٍوَا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(١)</sup>

عن وائل الحضرمي أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم  
ما حملتم»<sup>(٢)</sup>

وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهُداي ولا  
يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال قلت:  
كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك  
وأخذ مالك فاسمع وأطع»<sup>(٣)</sup>

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية  
ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله  
جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفني لذي  
عهد عهده فليس مني ولست منه»<sup>(٤)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٩٢)، ومسلم برقم (١٨٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٠٦)، ومسلم برقم (١٨٤٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٨).

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»<sup>(١)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»<sup>(٢)</sup>

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن نكر سلم ولكن من رضي وتابع»، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا»<sup>(٣)</sup>

وعن عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولا تكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة»<sup>(٤)</sup>

فالواجب على المسلمين النصح للولاء وإن كانوا ظلمة والصبر عليهم وعدم الخروج.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في «عقيدته»: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاء أمورنا وإن جاروا أو ظلموا ولا ندعوا عليهم وننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٣)، ومسلم برقم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٤).

فريضة ما لم يأمرُوا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والنجاح والمعافة. ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني: والسمع والطاعة لأئمة المسلمين. وكل من ولي أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة فاشتدت وطأته من بر أو فاجر فلا يخرج عليه جارا أو عدل، ويغزى معه العدو ويحج البيت، ودفع الصدقات إليه مجزية إذا طلبوها، وتصلى خلفهم الجمعة والعيدان.<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته، والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان ولا أمر بقتال الباغين ابتداء بل قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ [الحجرات : ٩]، فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فكيف يأمر بقتال ولادة الأمر ابتداء.<sup>(٢)</sup>

---

(١) «كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» (ص ١١٦).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٩١).

وقال أيضًا: وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرد عليهم بخراسان أيضا وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء وغاية هؤلاء إما أن يغلّبوا وإما أن يغلّبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقا كثيرا وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور وأما أهل الحرّة وابن الأشعث واب المهلب وغيرهم فهزموا وهزم أصحابهم فلا أقاموا ديننا ولا أبقوا دنيا والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ومع هذا لم يحمّدوا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدرا عند الله وأحسن نية من غيرهم.<sup>(١)</sup>

فبالتالي لا يجوز الخروج على ولاية أمر المسلمين لمجرد الظلم والفقر والإستغلال لما يترتب على ذلك من مفسد أعظم كإراقة الدماء وإزهاق الأنفس وترميل النساء وتيتيم الأطفال وتقطيع الطرقات وإتلاف الأموال والممتلكات وغير ذلك من المنكرات العظيمة التي لا تزيد المسلمين إلا شرًا.

فإن قيل: الحاكم قد يكون كافرًا بالله العظيم، والنبي ﷺ قال: «إلا أن تروا كفرًا بواحا عندكم فيه من الله برهان» فيجوز الخروج عليه؟

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٢٧-٥٢٨).

قلنا: إذا كان كافراً، فإن العلماء اشترطوا لذلك شروطاً، منها وجود القدرة على إزالته مع قلة  
المفاسد أو عدمها، ومنها وجود البديل الصالح الذي يستطيع أن يقوم بمهام الدولة وإنفاذ  
الشرع، ومنها ألا تكون المعركة من الجانبين بين المسلمين.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: فهذا يدل على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاية  
الأمر، ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان؛ وما ذاك إلا  
لأن الخروج على ولاية الأمور يسبب فساداً كبيراً وشرّاً عظيماً، فيختل به الأمن، وتضيع  
الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، فيترتب على  
الخروج على ولاية الأمور فساد عظيم وشر كثير، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم  
من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما  
إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شرّاً أكثر فليس لهم الخروج؛  
رعاية للمصالح العامة.

والقاعدة الشرعية المجمع عليها: (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشد منه، بل يجب درء الشر-  
بما يزيله أو يخففه). أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفة  
التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً عندها قدرة تزيله بها، وتضع إماماً  
صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين، وشر أعظم من شر هذا  
السلطان فلا بأس، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم  
الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال... إلى غير هذا من الفساد العظيم، فهذا لا يجوز،  
بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاية الأمور، والدعوة لهم بالخير،  
والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير.

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر. نسأل الله للجميع التوفيق والهداية. اهـ<sup>(١)</sup>

ويقول الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى: فإذا رأينا كفرًا بواحًا فهل يجب الخروج أم لا؟ يجب النظر في أحوال المسلمين هل لديهم القدرة على مواجهة الكفر البواح أم أنهم سيقدمون أنفسهم ضحية؟ وهل عندهم استغناء ذاتي أم سيمدون أيديهم لأمريكا وغيرها من الحكومات تتركهم حتى تسفك دماؤهم ثم ينصبون لهم علمانيًا بدل العلماني الأول أو شيوعيًا بدل العلماني أو نصرانيًا بدلاً عن المسلم، فلا بد أن يكون هناك استغناء ذاتي.

ثم بعد ذلك هل أعدوا ما تحتاج إليه الحرب من قوات، ولا يشترط أن تكون مماثلة لقوات العدو فإن الله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهل أعدوا ما تحتاج إليه الحرب من أطباء ومستشفيات أم ربما يتركون الشخص ينتهي دمه من الجرح، وكذلك ما تحتاج إليه الحرب من تغذية.<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا رحمه الله: الحكومات نحبها بقدر ما فيها من الخير، ونبغضها لما فيها من الشر. ولا نجيز الخروج عليها إلا أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، بشرط أن نكون قادرين

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز» (٨/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) «تحفة المجيب» (ص ١٦٤-١٦٥).

وَأَلَا تَكُونُ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجَانِبِينَ، فَإِنَّ الْحُكَّامَ يَصُورُونَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ بِصُورَةِ  
الْمُخْرِجِينَ الْمُفْسِدِينَ، وَثُمْتُ شُرُوطَ تَرَاجُعٍ مِنْ كُتُبِنَا الْأُخْرَى. اهـ<sup>(١)</sup>

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» فِي كِتَابِ «الْفِتَنِ»: بَابُ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ  
كَمَوْجِ الْبَحْرِ. وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ خَلْفِ بْنِ حَوْشَبٍ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهِذِهِ  
الْأَبْيَاتِ عِنْدَ الْفِتَنِ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فِتْيَةً	تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْلُولٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضَرَامُهَا	وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
شَمَطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ	مَكْرُوهَةً لِلشَّيْءِ وَالتَّقْيِيلِ

---

(١) «هذه دعوتنا».

## الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المظاهرات والإعتصامات والإضرابات

قال الغنوشي: وهذه النصوص وأمثالها المنوّهة بالجهاد السلمي، بقوة الكلمة وبقوة ضغط الرأي العام الذي يبدأ بالكلمة الفردية يصدع بها عالم في وجه طاغية، قد تتطور وتتراكم وتتكاثر لتصنع ثورة عبر العرائض الاحتجاجية والإعتصامات والمسيرات وعبر الإضراب عن الشغل ومقاطعة المؤسسات الفاسدة والإمتناع عن دفع الضرائب مما يشكل منهجاً كاملاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد السلمي المعبر عنه في لغة غاندي (استراتيجية اللاعنّف) تلك التي قهر بها غاندي أعنى إمبراطورية استعمارية في العالم.<sup>(١)</sup>

النقد:

إن من بنيات الديمقراطية ومن أنواع الخروج العصري الذي ألبسه الإخوان المفلسون لبوساً إسلامياً بتغيير الأسماء مع أن الحقائق والمسميات هي لم تتغير، ما أسموه بالإعتصامات والله عز وجل أمر بالإعتصام بالكتاب والسنة فقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وما أسموه المسيرات، وقد أمرنا بالسير إلى الله والدار الآخرة. وما أسموه بالمظاهرات، وهذه الأخيرة أرادوا بها التظاهر على الخير - أي التعاون - وما أصابوا في ذلك، فإن الآيات القرآنية تدل على أن التظاهر يكون على الشر والتعاون على الظلم والباطل - كما أبانه العلامة الوادعي رحمه الله تعالى في أول كتابه «الإلحاد الخميني في أرض الحرمين» - ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ [التوبة : ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب : ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [البقرة : ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٥].

ولم تأت إلا آية واحدة في ذكر التظاهر على سبيل المدح وهي قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم : ٤]، ورجح العلامة الوادعي أنها من باب المقابلة كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠]، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم : ٤].

فظهر فسادها من ناحية التسمية. أما مضمون هذه المظاهرات وحقيقتها فهي نوع من أنواع الخروج وتشبه بالكفار، وقد قال النبي ﷺ: «لَتَبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا

بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوْا جُحَرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، قَالَ: «فَمَنْ»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم وأتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم.<sup>(٢)</sup>

وهي مشتملة على المفاصد التي تقدم ذكر بعضها في مسألة الخروج على الحكام من: إراقة الدماء، وتقطيع الطرقات، وترويع الأمنين، والإعتداء على الأعراض والأموال، وتخريب ممتلكات المسلمين، واختلاط الرجال بالنساء، وتسليط السفهاء والمفسدين، وتدخل دول الكفر الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، وغيرها من المفاصد، والله عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وليست المظاهرات هي الوسيلة الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان سبباً في خيرية هذه الأمة على غيرها لقيامها بهذا الواجب العظيم، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٦٦٩).

(٢) «فتح الباري» (٦/٦٠٨).

وإنما هي تقليد للغرب كما هو مصرح في كلام الغنوشي، فليكن - أيها المسلم - أمرك بالمعروف معروفاً ونهيك عن المنكر غير منكر. تتظاهر أيها المسلم وتعرض نفسك لإراقة دمك، وتسب وتشتتم، وتخرب وتسرق، وترتكب المحرمات، كل ذلك من أجل الدنيا، من أجل أن يصعد فلان وينزل آخر، ورحم الله التابعي الجليل أيمن بن خريم الأسدي إذ يقول:

ولست بقاتل رجلا يصلي      على سلطان آخر من قریش  
له سلطانه وعلي إثمي      معاذ الله من جهل وطیش  
أقتل مسلما في غير شيء      فلست بنافعي ما عشت عيشي  
يقول العلامة الوادعي رحمه الله تعالى: ينبغي أن تعلم أن التظاهر بهذه الكيفية ليس إسلامياً فلا نعلمه ورد عن النبي ﷺ أن يخرج جماعة يهتفون بشعار واحد، وليس إلا تقليداً لأعداء الإسلام وتشبهاً بهم والرسول ﷺ يقول: «من تشبه بقوم فهو منهم» اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: أولئك العميان لو قالوا: مظاهرة، لقال المقلد: مظاهرة، قالوا له: انتخابات، يقول: انتخابات، إذا لم تحصل انتخابات سيدوب الإسلام، وإذا لم تخرج مظاهرة فالإسلام لا تبقى له باقية، فيصورون القضية التي تكون مخالفة للكتاب والسنة على أنها هي الإسلام. وخرج صاحبنا المسكين بلحيته في المظاهرة، إلى أين؟ إلى مجلس النواب، تقوم الفتاة تخطب على رؤوسهم وهو (يدقق) بالمسبحة: سبحان الله سبحان الله، يهز رأسه. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «الإلحاد الحميني في أرض الحرمين» (ص ٥٧).

(٢) «فضائح ونصائح» (ص ١١٧).

وقال أيضًا تغمده الله برحمته: وإنني أحمد الله سبحانه وتعالى فما تجد سنياً يحمل لواء هذه المظاهرة، ولا يدعو إلى هذه المظاهرات إلا الهمج الرّعاع، وماذا يستفيد المجتمع؟ فالعراق يقصف بالطائرات، والمظاهرات في شوارع اليمن أو غيره، ولقد أحسن محمد بن سالم البيحاني إذ يقول:

هيهات لا ينفع التصفيق ممتلئاً به الفضاء ولا صوت الهتافات  
(فليحيا) أو (فليمت) لا يستقيم بها شعب ولا يسقط الجبار والعاقبي  
يا أسكت الله أفواهاً تصيح له فكم بليناً بتصفيق وأصوات  
وكم خطيب سمعنا وهو مندفع وماله أثر ماض ولا آت<sup>(١)</sup>

وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى عند كلامه على سكوت الحافظ عن قصة منكورة فيها أن المسلمين خرجوا في صفين عندما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولعل ذلك كان السبب أو من أسباب استدلال بعض إخواننا الدعاة على شرعية (المظاهرات) المعروفة اليوم، وأنها كانت من أساليب النبي ﷺ في الدعوة! ولا تزال بعض الجماعات الإسلامية تتظاهر بها غافلين عن كونها من عادات الكفار وأساليبهم التي تناسب مع زعمهم أن الحكم للشعب وتتنافى مع قوله ﷺ: «خير الهدي هدي محمد ﷺ»<sup>(٢)</sup>

فإن قيل: إن المظاهرات كانت سبباً في سقوط الطاغية زين العابدين (الفاسقين!) فدل ذلك على نجاحها ونفعها؟

---

(١) «غارة الأشرطة» (٢/ ٤٥١).

(٢) «الضعيفة» (١٤/ ٧٤-٧٥) القسم الأول.

قلنا: القاعدة أن (حصول المقصود ببعض الأمور لا يستلزم إباحته) والمظاهرات محرمة بأدلة الشرع لما فيها من مفسد وتشبه بالكافرين، فسقوط الطاغية بها لا يستلزم إباحتها فإنها لا تزال محرمة فاسدة مفسدة.

قال شيخ الإسلام: فحصول الغرض ببعض الأمور لا يستلزم إباحته وإن كان الغرض مباحا فإن ذلك الفعل قد يكون فيه مفسدة راجحة على مصلحته والشرعية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد لكن لما كانت مفسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها كما أن كثيرا من الأمور كالعبادات والجهاد وإنفاق الأموال قد تكون مضرّة لكن لما كانت مصلحته راجحة على مفسدته أمر به الشارع فهذا أصل يجب اعتباره ولا يجوز أن يكون الشيء واجبا أو مستحبا إلا بدليل شرعي يقتضي إيجابه أو استحبابه والعبادات لا تكون إلا واجبة أو مستحبة فما ليس بواجب ولا مستحب فليس بعبادة.<sup>(١)</sup>

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٦٤-٢٦٥).



## الباب التاسع:

- الفصل الأول: راشد الغنوشي واعتقاد نبوة النساء.
- الفصل الثاني: الغنوشي يدعي إمكانية الحد من تعدد الزوجات عند المسلمين.
- الفصل الثالث: الغنوشي يجوز اختلاط الرجال بالنساء.
- الفصل الرابع: الغنوشي يدعو إلى مشاركة المرأة في الحياة السياسية كالقضاء والإمارة ومجلس النواب....

## الفصل الأول: راشد الغنوشي واعتقاد نبوة النساء

قال الغنوشي: وما تمسك به نفاة النبوة عن النساء لا ينهض حجة مقنعة في إثبات ما ذهبوا إليه. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: وتأكيد الإمكان التاريخي لحصول التنبؤ النسائي رغم اعتقاد نفي ذلك الإمكان بعد ظهور النبي الخاتم ﷺ فضلاً عن كونه يمثل في ذاته نفيًا لتحريف الحقيقة الإسلامية بحمل دلالات كثيرة في مجال ثورة الإسلام وأبعادها الإنسانية في تحرير المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، لأن أول اضطهاد كما يقول رجاء غارودي عرفه التاريخ هو اضطهاد النساء مما يجعل نسف الأسس التي يقوم عليها ذلك الاضطهاد خطوة ضرورية لنسف كل اضطهاد آخر. اهـ<sup>(٢)</sup>

للقند:

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩]: الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات<sup>(٣)</sup>، كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، فوصفها في

(١) «المرأة بين القرآن وواقع المسلمين» (ص ٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦).

(٣) وقد نقل الحافظ في «الفتح» (٥٤٤/٦) عن الأشعري أن من النساء من نبئ وهن ست: حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم!.

أشرف مقاماتها بالصدّيقية، فلو كانت نبيةً لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صدّيقة بنص القرآن. اهـ<sup>(١)</sup>

وقد نُقل الإجماع على ذلك، وخالف في ذلك أبو محمد بن حزم فأثبت نبوة بعض النساء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي من الأقوال الحسنة الفائقة وهذا كقوله أن مريم نبية وأن آسية نبية وأن أم موسى نبية، وقد ذكر القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى وأبو المعالي وغيرهم<sup>(٢)</sup> الإجماع على أنه ليس في النساء نبية والقرآن والسنة دلا على ذلك كما في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه: الصدّيقية. اهـ<sup>(٣)</sup>

والحمد لله.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٩٣).

(٢) كالكرماني، انظر «الفتح» (٦/ ٥٤٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٩٦).

## الفصل الثاني: الغنوشي يدعي إمكانية الحد من تعدد الزوجات عند المسلمين

قال الغنوشي: تعدد الزوجات: وهو ليس أصلاً، أي ليس فريضة من فرائض الدين، وإنما هو حل استثنائي لضرورات لا يمكن تجاوزها إلا بأضرار أكبر سواء أكان الداعي إلى ذلك رغبة جاححة لدى الرجل أم ضرورة دفعت المرأة إلى القبول، أم وضع اجتماعي خاص كتلافي مخلفات حرب أو غير ذلك من دواعي الخروج عن قاعدة التماثل: (رجل لكل امرأة).

وفي الأحوال العادية لم يتجاوز الإستثناء إحصائياً (٢٪) ولأن المسلمين توسعوا في أعمال هذا الإستثناء فظلموا، فقد رأى الفقهاء إمكان الحد من التعدد أو إخضاعه لشروط بما يعيد الأمور إلى نصابها. اهـ<sup>(١)</sup>

وانظر «المرأة بين القرآن وواقع المسلمين» (ص ٩٧-٩٨).

النقد:

إن الشرع قد حث على النكاح ورغب فيه، واستحب كذلك تعدد الزوجات لما فيه من مقاصد وحكم عظيمة، الأدلة على ذلك متكاثرة، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]. وقال النبي ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>

(١) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» (ص ٧٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣)، ومسلم برقم (١٤٠١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعن ابن عباس أنه قال لما حضر جنازة ميمونة بسرف: «فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعَشَهَا فَلَا تُزْعِزْ عَوْهَا وَلَا تُزْلِزْ لُوهَا وَارْقُتُوا فَإِنَّهُ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعٌ كَانَ يَقْسِمُ لِمَنٍّ وَلَا يَقْسِمُ لَوَاحِدَةٍ»<sup>(١)</sup>

وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَهُ تِسْعٌ نِسْوَةٍ.<sup>(٢)</sup>

وعن سيعد بن جبير قال: قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً.<sup>(٣)</sup>

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى على هذه الأخبار في «كتاب النكاح»: (باب كثرة النساء)، يعني استحبابه لمن قدر على العدل بينهن، وإن لم يصرح البخاري بذلك، فإن هذا هو مقتضى هذه الترجمة مع هذه الآثار، وكما قال العلامة العلمي رحمه الله تعالى في مقدمة تحقيقه لكتاب «موضح أوهام الجمع والتفريق» للخطيب البغدادي: وللبخاري رحمه الله ولوع بالاجتزاء بالتلويح عن التصريح، كما جرى عليه في مواضع من «جامعه الصحيح» حرصاً منه على رياضة الطالب واجتذاباً له إلى التنبه واليقظ والتفهم. اهـ

فما يصوره الغنوشي من أن التعدد حل استثنائي عند الضرورات وإمكانية الحد منه أو إخضاعه لشروط - مجارة للغرب وإرضاء لهم - كلام باطل، عاطل عن دليل، وفي الحديث: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل».

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٧)، ومسلم برقم (١٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٩).

### الفصل الثالث: الغنوشي يجوز اختلاط الرجال بالنساء

قال الغنوشي: إنهم لا يعترضون على المرأة الريفية أن تعمل في الحقل وتعين زوجها رغم اختلاطها بالرجال<sup>(١)</sup> ولكن في وسط عفيف بعيد عن الإثارة ومفعم بروح الفطرة والعفوية.. وهم لا يعترضون على عمل المرأة في الصناعات اليدوية، وإنما اعتراضهم على عملها في الإدارة أو المصنع أو المدرسة أي على اشتراكها في الحياة الاقتصادية وقد انتقلت من مرحلة الإنتاج الفردي إلى مرحلة الإنتاج الجماعي، واعتراضهم حسب ذلك لا ينطلق من منطلقات النصوص التي لم تحدد للمرأة عملاً معيناً وإنما انطلاقاً من صورة المجتمع الريفي أو التقليدي التي لا تزال مهيمنة على أذهانهم، فلا يتصورون الإسلام إلا مطبقاً في مجتمع ريفي أو تقليدي، فما وجه اعتراضهم على امرأة مسلمة تتأدب بأدب الإسلام في زيها وتخرج من بيتها لتشتغل بإدارة أو مصلحة لتساهم في حركة الإنتاج الاجتماعي، تساهم في إعانة أسرهما؟ اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: إن خروج المرأة المسلمة من بيتها للعمل وملاقاتها لكثير من المتاعب يعتبر تضحية من زوجها لها مقابل لصالح الدعوة الإسلامية، فإن ضرورة وجود العنصر النسائي الإسلامي في المؤسسات التي يكثر بها النساء كالمؤسسات الصحية والتعليمية والاجتماعية ومراكز التجمع النسائي (طبية، ممرضة، معلمة، أستاذة، مرشدة اجتماعية..) بغاية تبليغ الدعوة الإسلامية وإظهار النموذج الإسلامي النسائي يفوق في أهميته حتى الضرورات الاقتصادية بالنسبة للحركة الإسلامية.. فعلى الإخوة والأخوات أن يتفهوا هذه الضرورة

---

(١) بل هم يعترضون على ذلك، يعترضون أن تختلط المرأة بالرجل في أي مكان، في الحقل أو في غيره.

(٢) «المرأة بين القرآن وواقع المسلمين» (ص ٧٤).

ويقدموا من أجلها التضحيات المطلوبة.. مما يجعل الصالح من وجود الأخت في هذه المؤسسات تفوق المخاطر والمحاذير، فالمطلوب إذن أن تعمل على بث روح المواجهة لدى الأجيال الجديدة بعيداً عن الإسراف في روح الخوف والحذر وسد الذرائع، تلك الروح التي سادت في عصور الانحطاط وكبلت المجتمع الإسلامي خاصة. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: أما اتخاذ الجو المدرسي الفاسد سبباً لمنع فتياتنا من مواصلة التعليم فهو ثمرة عقلية عصر الانحطاط. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: فلا عزل بين الرجال والنساء في صلاة أو في مجلس علم أو سوق أو ساحة الجهاد أو مجلس تشاور في أمور المسلمين، ولا عزل بين الرجال والنساء، فللمرأة أن تستقبل ضيوف الأسرة وتحديثهم وتخدم ضيوف زوجها وكل ذلك في إطار آداب الإسلام وتعاليمه. اهـ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً: والتأكيد كذلك على أن الاختلاط البريء ليس ممنوعاً، وأن تعدد الزوجات ليس فريضة في الإسلام حتى نجعل منه قضية من قضايا الدعوة، ولقد ساهم هذا النقد في تطوير علاقة المرأة التونسية بالحركة فازداد إقبالهن على الحركة وتضاعفت مشاركتهن في مناشطها سواء أكن يرتدين الزي الإسلامي أم لا!! اهـ<sup>(٤)</sup>

---

(١) المصدر السابق (ص ٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٧٩).

(٣) المصدر السابق (ص ٨١-٨٢).

(٤) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٧١). وهذا تصريح من الغنوشي أن الحزب يضم المتبرجات الكاسيات العاريات!! فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

النقد:

إن الله سبحانه حرم اختلاط الرجال بالنساء لما فيه من مفسد وما يسببه من فتن، فإن قاعدة (سد الذرائع إلى المحرمات) قاعدة أصيلة في بابها، فإن اختلاط الرجال بالنساء وسيلة إلى النظر المحرم ووسيلة إلى الزنا - والعياذ بالله - وغير ذلك من الفتن وأمراض القلوب وإفساد الدين.

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب : ٣٣].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب : ٥٣].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِرِزْوَانِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٩].

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣٠ ، ٣١].

عن عقبه بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحُمُومَ قَالَ الْحُمُومُ الْمَوْتُ»<sup>(١)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(٣)</sup>

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّانَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ وَزَنَا اللِّسَانِ الْمُنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَيُكَذِّبُهُ»<sup>(٤)</sup>

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلَاهَا»<sup>(٥)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٦)، ومسلم برقم (٢٧٤٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٢٤٣)، ومسلم برقم (٢٦٥٧).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٤٤٠).

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أَنَّ النَّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ. (١)

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها ففضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه» (٢)

والأدلة في الباب كثيرة جداً.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ونقل النووي في «شرح المذهب» أنه لا خلاف في هذه المسألة -أي حمل الرجال الجنابة دون النساء- بين العلماء والسبب فيه ما تقدم ولأن الجنابة لا بد أن يشيعها الرجال فلو حملها النساء لكان ذلك ذريعة إلى اختلاطهن بالرجال فيفضي إلى الفتنة. (٣)

كل هذه الأدلة تدل على تحريم اختلاط الرجال بالنساء، وأن الإختلاط وسيلة إلى المحرمات وكبائر الذنوب، ويفضي إلى الفتنة في الدين والعرض، فيجب اجتنابه والبعد عنه، وليقل كما قال نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٦٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٠٣).

(٣) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).



## الفصل الرابع: الغنوشي يدعو إلى مشاركة المرأة في الحياة السياسية كالقضاء

### والإمارة ومجلس النواب

قال الغنوشي: لا يزال بعض الإسلاميين اليوم يجادلون: هل تشارك المرأة في الانتخابات أم لا تشارك؟ وبعضهم لا يرى من حقها أن تشارك حتى كناخبة، وبعضهم يرى أن تنتخب ولا تترشح لمواقع القيادة. وما دام ظل هذا النقاش البالي حيًا فإن عملية التغيير حتمًا ستتأخر، ولن تنطلق كما يجب حتى تكون لنا زعامات إسلامية نسائية، وتصبح المرأة عضوًا في مجالس الشورى الإسلامية، وعضوًا في الهيئات الطلابية والنقابية والقيادية، وذات مشاركة فعالة في كل هموم المجتمع حاضرة في كل مناشطه. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: والنتيجة أن ليس هناك في الإسلام ما يقطع بمنع المرأة من الولايات العامة قضاءً أو إمارة، وحتى على فرض ذهابنا مع الجمهور إلى منعها من الولاية العامة (رئاسة الدولة) فبأي مستمسك يستمسك غاصبو حقها المشاركة في إدارة الشؤون العامة في كل المستويات ومنها عضوية مجلس الشورى؟ ليس لهم من مستمسك غير التقليد. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: نحن إذن مع حق المرأة الذي قد يرتفع أحيانًا إلى مستوى الواجب في مشاركتها في الحياة السياسية على أساس المساواة في إطار احترام أخلاقيات الإسلام، فإن التفاضل

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٢١).

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٣٤).

بالكفاءة والخلق لا بالجنس أو اللون... حتى لا نرى مانعاً من تخصيص عدد من مقاعد الشورى للنساء حرصاً على تشجيعهن. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

يذهب العلامة الشهير الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى إلى أن مسألة ولاية المرأة القضاء أو غيرها من الولايات العامة، مسألة فرعية مبنية على أصلين خطيرين من أصول الإسلام هدمهما أهل هذا العصر أو كادوا! فلا بد من إيضاح الأصول قبل الجواب عن الفروع.

يقول أبو الأشبال<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: إن ولاية المرأة القضاء في بلدنا هذا، في عصرنا هذا، يجب أن يسبقها بيان حكم الله في أمرين بنيت عليهما بداهة:

أولاً: أيجوز في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربة الوثنية الملحدة، بل بتشريع لا يبالي واضعه أو وافق شرعة الإسلام أم خالفها؟... أفيجوز مع هذا لمسلم أن يعتنق هذا الدين الجديد؟ أعني التشريع الجديد! أيجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا واعتناقه واعتقاده والعمل به ذكرًا كان الإبن أو أنثى، عالمًا كان الأب أو جاهلاً؟! هذه أسئلة في صميم الموضوع وأصله يجب الجواب عنها إثباتاً أو نفيًا أولاً، حتى إذا ما تحقق

---

(١) المصدر السابق (ص ١٣٧).

(٢) ولسان حاله رحمه الله يقول كما قال البارودي:

سل مصر عني إن جهلت مكانتي      تحبرك عن شرف وعز أقدم

الجواب بالأدلة الشرعية الصحيحة التي لا يستطيع مسلم أن يخالفها أو ينفيها أو يخرج عليها، استتبع ذلك - بالضرورة - سؤالاً محدوداً واضحاً: أيجوز حينئذ لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا (الياسق العصري) وأن يعمل به ويعرض عن شريعته البينة؟! ما أظن أن رجلاً مسلماً يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتاباً محكماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كل حال، ما أظنه يستطيع إلا أن يفتي فتوى صريحة بأن ولاية الرجال القضاء في هذا الحال باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة! ثم يسقط السؤال عن ولاية المرأة هذا القضاء من تلقاء نفسه.

وثانياً: أيجوز في شرع الله أن تذهب الفتيات في فورة الشباب إلى المدارس والجامعات لتدرس القانون أو غيره سواء مما يجوز تعلمه ومما لا يجوز؟! وأن يختلط الفتيان والفتيات هذا الاختلاط المعيب الذي نراه ونسمع أخباره ونعرف أحواله. أيجوز في شرع الله هذا السفور الفاجر الداعر الذي تأباه الفطرة السليمة والخلق القويم والذي ترفضه الأديان كافة على الرغم مما يظن الأغرار وعباد الشهوات؟! يجب أن نجيب عن هذا أولاً ثم نبحث بعد فيما وراءه. ثم يسقط السؤال عن ولاية المرأة القضاء من تلقاء نفسه.

ألا فليجب العلماء وليقولوا ما يعرفون وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير متوانين ولا مقصرين.

سيقول عني عبید (النسوان) الذین یحبون أن تشیع الفاحشة فی الذین آمنوا: أني جامد وأنی رجعی وما إلى ذلك من الأقاویل، ألا فلیقولوا ما شاءوا، فما عبئت یومًا ما بما یقال عني، ولكنني قلت ما یجب أن أقول. اهـ<sup>(١)</sup>

هذه أصول ومقدمات لا بد من الإجابة عنها أولاً.

وعلى فرض وجود حکم بما أنزل الله تعالى، وعدم وجود اختلاط بین الرجال والنساء فی التعلیم، فإن الجواب واضح عند أهل العلم بمنع تولي النساء الولايات العامة فی الدولة الإسلامية، ودلیل ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤].

فالقوامة فی الآية مطلقة لم تقيد بشيء، شاملة لولاية الأسرة وغيرها كالولايات العامة.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ ابتداء وخبر، أي يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن، وأيضاً فإن فيهم الحکام والأمراء ومن یغزو، وليس ذلك فی النساء. اهـ<sup>(٢)</sup>

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون

---

(١) «كلمة الحق» (ص ٥٠-٥٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ١٦١).

عليهن أيضا بالإتفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿يَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنْفُقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله. <sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء : ٣٢].

قال الجصاص: من التمني المنهي عنه أن يتمنى ما يستحيل وقوعه مثل أن تتمنى المرأة أن تكون رجلاً أو أن تتمنى حال الخلافة والإمامة ونحوها من الأمور التي قد علم أنها لا تكون ولا تقع. <sup>(٢)</sup>

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» <sup>(٣)</sup>

قال الصنعاني رحمه الله تعالى: والحديث إخبار عن عدم فلاح من ولي أمرهم امرأة، وهم منهيون عن جلب عدم الفلاح لأنفسهم بل مأمورون باكتساب ما يكون سبباً للفلاح. <sup>(٤)</sup>

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١٤٢).

(٢) «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٥) عن أبي بكره رضي الله عنه.

(٤) «سبل السلام» (٨/ ٨٠).

وقال الخطابي: في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء. <sup>(١)</sup>

وأما الإجماع، فيقول الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: ولا تصلح - أي المرأة - للإمامة العظمى ولا لتولية البلدان ولهذا لم يول النبي ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا من بعده امرأة قضاء ولا ولاية في ما بلغنا، ولو جاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالباً. <sup>(٢)</sup>

قال الماوردي: وَلَا يُجُوزُ أَنْ يُقَلَّدَ الْقَضَاءُ إِلَّا مَنْ تَكَامَلَتْ فِيهِ شُرُوطُهُ الَّتِي يَصِحُّ مَعَهَا تَقْلِيدُهُ وَيَنْفُذُ بِهَا حُكْمَهُ وَهِيَ سَبْعَةٌ: فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا وَهَذَا الشَّرْطُ يَجْمَعُ صِفَتَيْنِ الْبُلُوغَ وَالذَّكُورِيَّةَ، فَأَمَّا الْبُلُوغُ فَإِنَّ غَيْرَ الْبَالِغِ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ قَلَمٌ وَلَا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ عَلَى نَفْسِهِ حُكْمٌ وَكَانَ أَوْلَى أَنْ لَا يَتَعَلَّقَ عَلَى غَيْرِهِ حُكْمٌ.

وَأَمَّا الْمُرَأَةُ فَلِنَقْصِ النِّسَاءِ عَنْ رُتَبِ الْوِلَايَاتِ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِنَّ أَحْكَامٌ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُجُوزُ أَنْ تَقْضِيَ الْمُرَأَةُ فِيهَا تَصِحُّ فِيهَا شَهَادَتُهَا، وَلَا يُجُوزُ أَنْ تَقْضِيَ فِيهَا لَا تَصِحُّ فِيهَا شَهَادَتُهَا.

وَشَذَّابُنْ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فَجَوَزَ قَضَاءَهَا فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ ، وَلَا اعْتِبَارَ بِقَوْلِ يَرُدُّهُ الْإِجْمَاعُ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

يَعْنِي فِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ، فَلَمْ يُجِزْ أَنْ يَقْمَنَّ عَلَى الرِّجَالِ. <sup>(٣)</sup>

---

(١) «فتح الباري» (٨ / ١٦١).

(٢) «المغني» (١٣ / ٤٢٩ - ٤٣٠).

(٣) «الأحكام السلطانية» (ص ١٣٠).

قال العلامة أحمد شاكر رحمه الله تعالى: المذهب الحق الذي لا يجوز ولايتها القضاء قط، وأن قضاءها باطل مطلقاً في الأموال وغير الأموال.<sup>(١)</sup>

وأما من ناحية الفطرة والعقل فإنه لا يشك أحد في ضعف المرأة على الرجل بسبب تكوينها الذي خلقه الله عز وجل عليها، وقد قال النبي ﷺ: «اللهم إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»<sup>(٢)</sup>

وقال ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أذهب للرب الرجل الحازم من إحداهن»<sup>(٣)</sup>  
قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال الحافظ ابن حجر: ضعف النساء بالنسبة إلى الرجال من الأمور المحسوسة التي لا تحتاج إلى دليل خاص.<sup>(٤)</sup>

ثم إن ولاية المرأة القضاء والإمارة مما يعرضها إلى الإختلاط بالرجال والخلوة بهم، وهو مخالف لما أمر الله به ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) «كلمة الحق» (ص ٤٧).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٩٦٦٦)، وابن ماجه (٣٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (٩١٤٩، ٩١٥٠) وغيرهم وإسناده حسن.

(٣) رواه البخاري برقم (١٤٦٢)، ومسلم برقم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم برقم (٧٩) من حديث عبد الله بن عمر.

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

وكما قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

كُتِبَ القُتْلُ والقُتَالُ عَلَيْنَا      وَعَلَى المَحْصَنَاتِ<sup>(١)</sup> جِرَ الذُّيُولُ  
لكن عبيد (النسوان) يريدون أن تراحم المرأة الرجال في الولايات العامة كالقضاء والإمارة  
والجيش والوزارة... فيستنوق الجمل، وتترجل النساء، فتصبح لا تفرق بين رجل وامرأة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

---

(١) وفي قراءة: الغانيات.



## الباب العاشر:

- الفصل الأول: إيمان الغنوشي بالإشتراكية ودعوته إليها.
- الفصل الثاني: الغنوشي: الفرقة الناجية هم كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم.
- الفصل الثالث: تخطب الغنوشي في مفهوم السلفية.
- الفصل الرابع: الغنوشي وقاعدة المعذرة والتعاون.
- الفصل الخامس: الغنوشي وابن تومرت.
- الفصل السادس: الغنوشي والمدرسة العقلية: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.
- الفصل السابع: الغنوشي.. والثورة الإيرانية.. والخطميني.. وإيران؟
- الفصل الثامن: الغنوشي وتكوينه التنظيم السري.. حقائق مخفية!
- الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المسرح والسينما والغناء والموسيقى...
- الفصل العاشر: ثناء الغنوشي على فرنسا.
- الفصل الحادي عشر: الغنوشي وقناة الجزيرة.

## الفصل الأول: إيمان الغنوشي بالإشترابية ودعوته إليها

قال الغنوشي<sup>(١)</sup>: إن هذا الكون بكل ما ومن فيه ملك لله لا شريك له فيه، ومصادر الثروة في هذا الكون يُتصرف فيها وفق إرادة من استخلفه ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. وهذا الإستخلاف في التصرف في الثروات إنما استخلاف من الله للجماعة، فالجماعة هي المسؤولة أمام الله عن تصرف أفرادها في الثروة، فالجماعة مسؤولة عن تطبيق العدل في توزيع الثروة، وهي مسؤولة ثانية عن تنمية الثروات واستغلالها.

وهناك نوع آخر للإستخلاف هو استخلاف الجماعة للأفراد في التصرف في الثروة مما يسمى بالملكية الخاصة وهي استثمار الأفراد للثروات بما يخدم مصالح الجماعة.

فكل ملكية خاصة تتعارض مع مصلحة الجماعة فلا اعتبار لها. ومعنى ذلك أن الفرد مسؤول أمام الجماعة عن نوع تصرفه في الثروة التي تحت يده، فكل تصرف فيه إضرار بالجماعة موجب لنزع تلك الثروة وردها إلى المستخلف وهو الجماعة.

وإذا كان التوحيد يعني أن المالك هو الله دون غيره من الآلهة المزيفة فإن هذا المالك الوحيد إنما يتصرف وفق العدل أي لا يؤثر فرداً على فرد ولا يمنح حقاً لفئة على حساب فئة بل يستخلف الجماعة الأصلح. فالخلق كلهم عيال الله فلا حق لفرد أن يستأثر بثروة والناس جوعا. فالرجل وجهده والرجل وحاجته. اهـ

---

(١) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ١٣٠-١٤٤).

وقال أيضًا: ذهب إلى اعتبار الملكية وظيفة اجتماعية في الإسلام عدد كبير من مشاهير العلماء العاملين في هذا العصر منهم مصطفى السباعي ومحمد الغزالي والبهني الخولي وسيد قطب وعبد القادر عودة وفتحي عثمان وعلال الفاسي وأبو زهرة وسواهم كثير.

وقد حدد سيد قطب معنى ملكية وظيفة اجتماعية بقوله: وأول مبدأ يقرره الإسلام بجوار الملكية الفردية أن الفرد أشبه ما يكون بوكيل في هذا المال عن الجماعة، وأن حيازته له إنما هي وظيفة أكثر منها امتلاكًا! وأن المال في عمومها إنما هو أصلًا حق الجماعة، والجماعة مستخلفة فيه عن الله. «العدالة الاجتماعية» (ص ١١٤). اهـ

وقال أيضًا: فملكية الإنسان لا تعدو تمكينه من حق الانتفاع وفق مصلحة الجماعة، إذ لا يتصور في حق العباد ملك الرقاب، وإن أطلق توسعًا فالملك في الحقيقة هو الله تعالى.

أما الإنسان فليس له سوى حق الانتفاع بإذن من الشريعة، فإنما شرع الملك للانتفاع.

وليس في الإسلام إذن مجال للحديث عن حق طبيعي للملكية، وإنما الملك إذن من الشارع ينتفع به الفرد تحت رقابة الجماعة وهذا يعني أن الملكية وظيفة اجتماعية... للفرد في المجتمع الإسلامي أن يملك ما ينتفع به وينفع غيره تحت رقابة من ضميره الديني وإشراف من المجتمع، فإذا لم يؤد الوظيفة الاجتماعية للملكية بسبب تعطيلها عن الإنتاج أو تحويلها إلى سبب استغلال لغيره ضُرب على يده ولو بالانتزاع دون مقابل. اهـ

وقال أيضًا: الحد الأدنى المطلوب بذله لحفظ التوازن الاجتماعي هو الزكاة.. فإن لم تكف الزكاة بسبب ما حصل من اختلال فادح كان حد الإنفاق بقدر ما يعيد التوازن إلى المجتمع حتى وإن اقتضى ذلك اقتسام كل ما في المجتمع من الثروات بالسوية!!... وليس أمر إعادة

التوازن موكولاً لمشاعر الأغنياء، بل هو واجب الدولة إن لم يقوموا به من تلقاء أنفسهم... فإذا تخطى أصحاب المال عن واجبهم تجاه إخوانهم وتواطأت معهم السلطة كان على الفقراء أن يعتمدوا على أنفسهم في افتكاك حقوقهم المغصوبة ولو مع استعمال القوة... فالأخوة بأبعادها الإنسانية والاجتماعية والعقائدية هي أساس المجتمع الإسلامي وليس الصراع.

ولا حرمة لمال ولا لثروة إذا تعرض البناء الاجتماعي للاختلال وفقد خاصيته الأساسية: التساوي أو التقارب لا التعادل فيتعرض للهلاك ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، هذا هو الإطار الثقافي أو العقائدي الذي ستتحرك خلاله بحثاً عن حل للمعضل الاقتصادي في بلادنا. اهـ

وقال أيضاً: يمنع الإسلام الجمع بين سلطة المال وسلطة الحكم. اهـ

[النقد:

قرر الغنوشي في هذه النصوص وغيرها الاشتراكية الشيوعية وأورد ما عندهم من شبهات على أسس أفلاطون، ومزدك، وماركس، ولينين، وهو تابع في ذلك لمصطفى السباعي وسيد قطب<sup>(١)</sup> وغيرهما ممن اغتروا بدعايات الاشتراكية فحاولوا انتزاعها من أهلها الملاحدة، وإلباسها لبوساً إسلامياً. وحاصل ما طرحه الغنوشي من المبادئ التي هي شبهات الاشتراكيين:

- أن الإسلام يمنع من سلطة المال وسلطة الحكم.

---

(١) الذي قرر الاشتراكية في عدد من كتبه كـ «الظلال»، و«العدالة الاجتماعية»، و«معركة الإسلام والرأسمالية».

- أن خاصية المجتمع التساوي أو التقارب والتعادل.
- أن الإسلام يلغي نظام الطبقات المتفاوتة، بل يدعو إلى القضاء على الطبقة، وتوزيع الثروات بين الناس حتى لا يكون هناك تفاوت بين الناس في الرزق.
- الدعوة إلى الصراع الطبقي.
- أن الثروة والمال حق للجماعة.
- وأن الجماعة مستخلفة فيه عن الله عز وجل.
- وأن الفرد مستخلف عن الجماعة بما يخدم مصلحته.
- وأن الملكية الفردية عبارة عن وظيفة اجتماعية، والفرد أشبه ما يكون بالوكيل عن الجماعة.
- وأن ملكية الفرد لا تعدو تمكينه من حق الإنتفاع وفق مصلحة الجماعة.
- وأن الفرد ينتفع تحت رقابة الجماعة.
- وأن الفرد مسؤول أمام الجماعة عن نوع تصرفه في الثروة.
- وأن كل ملكية تتعارض مع الجماعة فلا اعتبار بها.
- وأن كل تصرف يضر- بالجماعة موجب لنزع تلك الثروة وردها إلى المستخلف (الجماعة).
- وأنه لا حرمة لمال ولا لثروة إذا تعرض البناء الاجتماعي للاختلال.
- وأن للمجتمع اقتسام كل الثروات بالسوية إذا حصل اختلال في التوازن الاجتماعي، وأنه لا عبرة بملكية الأغنياء في هذا.
- وأن تسلم السلطة إلى الطبقة العاملة.

فهذه هي أسس ومبادئ الاشتراكية التي أرست من خلالها أعظم الدول إلحادًا وإباحية، واستعبادًا، وفقراء، وذلاً ومهانةً، واستغلالاً، واستبدادًا، كل ذلك تحت شعار المساواة، والحقوق، والحرية، والواقع خير شاهد بفسادها وعدم نجاحها وهدم صروحها واختلال أنظمتها. والإسلام خير نظام شامل متكامل تعيش تحت رعايته البشرية جمعاء دون حيف ولا ظلم إذا تمسكوا به علمًا وعملاً.

ودعوى أن الإسلام لا يقر نظام الطبقة المتفاوتة، وأنه حرب ودعوة إلى الصراع الطبقي ليس بصحيح، فإن الله عز وجل خلق الخلق وفضل بعضهم على بعض في الرزق وأشياء كثيرة لحكم عظيمة.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام : ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء : ٢٠].

وقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف : ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل : ٧١].

وقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف : ٣٢].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى : ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى : ٢٧].

وحرم الله عز وجل أخذ أموال الناس بالباطل وانتزاعها من أصحابها من غير قبول منهم، قال النبي ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله عرضه»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته يوم عرفة: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان في عهد النبي ﷺ من الفقراء والمساكين من أهل الصفة وغيرهم، وكان هناك من أغنياء الصحابة الكثير، ومع ذلك لم يأمرهم عليه الصلاة والسلام باقتسام الأموال والأموال بالتساوي أو التقارب. وقد أوجب الإسلام الزكاة ورغب في الصدقة على الفقراء والمساكين، والتعاون على البر والتقوى، أما ابتزاز أموال الناس بالقوة والحيل غير الشرعية تحت شعار المساواة والأخوة والحرية والحقوق فلا.

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٧)، ومسلم برقم (١٢١٨).

(٣) صحيح، انظر «إرواء الغليل» (٥/ ٢٧٩ - ٢٨٢) برقم (١٤٥٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك»<sup>(١)</sup>

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة»<sup>(٢)</sup>

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلؤه أو فصيله»<sup>(٣)</sup>

والأحاديث في فضل الصدقة والحث عليها كثيرة جداً، وجاء الخبر بأن من علامات الساعة أن يكثر المال ويصبح الناس كلهم أغنياء حتى يطوف الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهم رب المال من يقبله منه صدقة، ويُدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لي فيه»<sup>(٤)</sup>

وما يستدلون به من أن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، وتنازل الأنصار للمهاجرين عن بعض أموالهم ونحو هذا لا دليل في البتة، إذ كل هذا من قبيل الإيثار

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٩)، ومسلم برقم (٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٤٢٩)، ومسلم برقم (١٠٣٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٤٠١)، ومسلم برقم (١٠١٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١١١٣).

والنفقة المستحبة المبذولة عن طيب نفس، لا إجبارًا وقسمة بالقوة والغصب، وافتكاكًا  
لأموال الناس وتوزيعًا لها بالسوية.

فالحذر الحذر من هذا المنهج الهدام الذي يدعو إليه الغنوشي وغيره فإنه دمار للدين والدنيا،  
وأخذ لأموال الناس بالباطل ليعيش الحزب الشيوعي الإشتراكي على أموال غيره، على مبدأ  
ذلك الأعرابي اللص الأُخَيْر السعدي الذي كان يقول:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مَنْ لَمْ يَأْرِأْ أَطُوفُ بِحَبْلٍ لَيْسَ فِيهِ بَعِيرٌ  
وَأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّئِيمَ بَعِيرَهُ وَبَعْرَانِ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرٌ  
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

## الفصل الثاني: الغنوشي: الفرقة الناجية هم كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم

قال الغنوشي: إن الفكر السياسي الرفض للحزبية رغم انحساره لا يزال يمثل في أوساط إسلامية لم تتخلص من مواريث مفهومية عن وحدة الأمة وربط الفتن بالتعددية والإختلاف، وذلك بأثر تجارب فتنوية مؤلمة في تاريخ المسلمين وبتأثر تصورات خاطئة للإجماع والوحدة يضعهما نقيضاً للتعدد والإختلاف، وتأويلات خاطئة لمأثورات قد تكون صحتها موضع شكٍ مثل الأثر الذي يخبر فيه النبي عليه السلام عن افتراق الأمة إلى أكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فكل جماعة تنطلق في عملها من اعتبارها المقصودة بالفرقة الناجية والبقية في ضلال مبین. وحتى لو صح هذا الأثر فالفرقة الناجية هي عموم الأمة المعترفة بالمرجعية العليا للوحي وإن اختلفت في الإجتهد. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: والأوفق أن تفهم الوحدة الإسلامية لا على أنها وحدة بسيطة وإنما وحدة ينتجها التنوع عبر النص والشورى أو الإلتزام والحرية، وأن حزب الله أو الفرقة الناجية هم كل جماعات المسلمين أهل القبلة على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: الفرقة الناجية هم كل المؤمنین بالله ورسوله واليوم الآخر. اهـ<sup>(٣)</sup>

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٢٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٨٠).

(٣) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٣٩).

النقد:

حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين كلها في النار إلى واحدة حديث صحيح ثابت وقد دافع عن الحديث مبيناً طرقه محدث العصر العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٠٤-٤١٢) القسم الأول، رقم الحديث (٢٠٤)، وأبان طعن أهل الأهواء في الحديث وغرضهم من ذلك، ومما قاله رحمه الله: تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الإحتجاج به، حتى قال الحاكم في أول كتابه «المستدرک»: إنه حديث كبير في الأصول.

قلت - يعني الألباني -: ولا أعلم أحداً قد طعن فيه إلا بعض من لا يعتد بتفرده وشذوذه أمثال الكوثري.

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية في «المسائل» قوله: هو حديث صحيح مشهور.

والغنوشي عديم البضاعة الحديثية حتى يطعن في هذا الحديث أو في غيره، وإنما طعنه من قبيل الوسواس والتخييلات الفلسفية العقلية من غير تمعن ولا روية!

والذي كبر على عقله - الذي لا يعرف التسليم - هو كيف تكون فرقة واحدة ناجية من هذه الأمة، وباقي الفرق من المسلمين في النار، فيحكم على معظم الأمة بالهلاك! فأين الوحدة الإسلامية؟! وأين قاعدة المعذرة والتعاون؟!

فإذا وافقنا على أن الفرق الموعودة بالعذاب في الحديث من المسلمين، وعلم أنه لم يقل أحد من أهل السنة والجماعة أنهم من الكافرين إلا من شذ عنهم وخرج عن دائرتهم، فالجواب على فساد المعنى - المدعى - في الحديث هو ما أجاب به الشيخ الألباني نقلاً عن الشيخ

صالح المقبل اليمني<sup>(١)</sup> في كتابه «العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ» (ص ٥١٢ فيما بعد) ط. مكتبة دار البيان، قال جواباً عن هذا الإشكال: حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها. والإشكال في قوله: «كلها في النار إلا ملة»، فمن المعلوم أنهم خير الأمم، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة، مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود حسبما صرحت به الأحاديث، فكيف يتمشى هذا؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة، وقال: هي زيادة غير ثابتة. وبعضهم تأول الكلام. قال: ومن المعلوم أن ليس المراد من الفرقة الناجية أن لا يقع منها أدنى اختلاف، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة. إنما الكلام في مخالفة تصوير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعتها. وإذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل، وفيما يترتب عليه عظام المفاصد لا تكاد تنحصر، ولكنها لم تخص معيناً من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم إلى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة.

---

(١) قال شيخ مشايخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى في «صعقة الزلزال» (ص ١٥٣): المقبل رحمه الله لم يخلص من الاعتزال، فقد حمل حملة كبيرة في «العلم الشامخ» على الإمام البخاري لماذا ألف جزء «خلق أفعال العباد»؟ ولم يخلص أيضاً من التشيع فقد قال في بعض أشعاره:

\* والناصبين كأهل الشام كالذهبي! \*

نعم إنها قد آذته الرافضة حتى ارتحل من اليمن إلى مكة، ثم أودي بمكة من المقلدة وحكموا عليه بأنه زنديق، فقال رحمه الله: ناصبي في اليمن ولا زنديق بمكة، ثم رجع إلى اليمن ومكث باليمن ما شاء الله، فلم يستطع الصبر على أذى الرافضة ثم رجع إلى مكة إلى أن توفي بها رحمه الله. اهـ

ثم أجاب عن الإشكال بما خلاصته: والسوقة ونحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء، فلا شك في براءة آخرهم من الابتداع كأولهم. وأما الخاصة، فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه، وبلغ في تقويتها كل مبلغ، وجعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب والسنة، ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحملة، ولكنه إمامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا، وهو شيء كبير ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم : ٩٠]، كنفي حكمة الله تعالى، ونفي إقداره المكلف، وككونه يكلف ما لا يطاق، ويفعل سائر القبائح ولا تقبح منه، وأخواتهن! ومنها ما هو دون ذلك، وحقائقها جميعها عند الله تعالى، ولا ندري بأيها يصير صاحبها من إحدى الثلاث وسبعين فرقة. ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف، ولكنه عند نفسه راجع إلى الحق، وقد دس في تلك الأبحاث نقوضها في مواضع لكن على وجه خفي، ولعله تخيل مصلحة دينية، أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية إلى نفسه. وعلى الجملة فالرجل قد عرف الحق من الباطل، وتجنب في تصرفاته، وحسابه على الله سبحانه، إما أن يحشره مع من أحب بظاهر حاله، أو يقبل عذره، وما تكاد تجد أحدا من هؤلاء النظار إلا قد فعل ذلك، لكن شرهم والله كثير، فلربما لم يقع خبرهم بمكان، وذلك لأنه لا يفتن لتلك اللمحة الخفية التي دسوها إلا الأذكياء المحيطون بالبحث، وقد أغناهم الله بعلمهم عن تلك اللمحة، وليس بكبير فائدة أن يعلموا أن الرجل كان يعلم الحق ويخفيه. والله المستعان.

ومن الناس من ليس من أهل التحقيق ولا هُيء للهجوم على الحقائق، وقد تدرب في كلام الناس، وعرف أوائل الأبحاث، وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث

بينه وبينها حائل. وقد يكون ذلك لقصور المهمة والاكتفاء والرضا عن السلف لوقعهم في النفوس. وهؤلاء هم الأكثر عدداً، والأرذلون قدراً، فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة، ولا أدركوا سلامة العامة. فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعاً. والثاني ظاهره الابتداع، والثالث له حكم الابتداع. ومن الخاصة قسم رابع ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤]، أقبلوا على الكتاب والسنة وساروا بسيرها، وسكتوا عما سكتا عنه، وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف مالا يعنيه، وكان تهمهم السلامة، وحياة السنة أثر عندهم من حياة نفوسهم، وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى، وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية، ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظاً وحكماً. فهؤلاء هم السنية حقاً، وهم الفرقة الناجية، وإليهم العامة بأسرهم، ومن شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين، بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم. إذا حققت جميع ما ذكرنا لك، لم يلزمك السؤال المحذور وهو الهلاك على معظم الأمة، لأن الأكثر عدداً هم العامة قديماً وحديثاً، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين، وكذا من خفت بدعته من الأول، تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم، لكننا تكلمنا على مقتضى الحديث ومصادقه، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءاً من ألف جزء من سائر المسلمين : فتأمل هذا تسلّم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة. انتهى كلامه بتصرف من الشيخ الألباني.

فالشبهة منتفية - بحمد الله - فلا مطعن في الحديث ولا مغمز.

وما يذهب إليه الغنوشي من أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم منهج واسع جدًا مخالف لهذا النص الصريح الذي تلقته الأمة بالقبول المخبر بأن الفرقة الناجية واحدة من بين تلك الطوائف جميعها، وباقي الفرق متوعة بالنار لمخالفتها للسنة، ولا يعني أنهم كفار خالدون في النار وإنما هم مسلمون متوعدون، ولا تدخل فيهم الفرق التي خرجت عن الإسلام - وإن ادعوه - كالرافضة وغيرها ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص : ٦٨].

### الفصل الثالث: تخطيط الغنوشي في مفهوم السلفية

قال الغنوشي: تعرفت في سوريا على كل الاتجاهات، على الإخوان، وحزب التحرير، وجماعة الصوفية، وجماعة السلفية، ورغم أني طفت على كثير من حلقات المشايخ إلا أن حلقة الشيخ المحدث الكبير ناصر الدين الألباني رحمه الله هي التي شدتني إليها، فقضيت في حلقاته أكثر من سنة وتأثرت بمنزعه في تحقيق الحديث وبتطهيره الإسلام من الخرافات، وكان مدخلي إلى ابن تيمية وابن القيم فهذا العنصر ظل في تكويني ثابتاً.

لقد اقتنعت ابتداءً بالمنهج السلفي ولكن لما رجعت إلى البلد أعدت النظر تدريجياً - بعد تجربة - في ما عليه هذا المنهج من صرامة وشكلاية ونظر جزئي أحياناً، هذا التوجه الذي لا يرقى إلى النظرة الشمولية ولا يمكن أن يتفاعل مع بيئة وريثة لتقليد: مالكي، أشعري، صوفي، ولثقافة ممعنة في الحداثة، واقتصرت منه على الجوانب العقدية بما تتسم به من صفاء بعيد عن التخريف والجدل الكلامي إلى جانب منهج التحقيق الحديثي في تناول الآثار الإسلامية. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: السلفية لئن اختلفت محمولاتها فهي تلتقي في إعلاء مرجعية الوحي كتاباً وسنة على كل مصدر آخر للمعرفة والالتزام، وعدا ذلك فالسلفية أنواع. اهـ<sup>(٢)</sup>

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٣٢).

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٥٩).

وقال أيضًا: السلفية: ومن مقومات هذه الحركة الإسلامية ونعني بها استمداد الإسلام من أصوله دون تعصب لما وجد في تاريخ الإسلام من نظريات واجتهادات. فالأصل ما ورد في الكتاب والسنة وعصر الخلفاء.

يقول الإمام البنا: وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك أن الإخوان المسلمين دعوة سلفية لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي كتاب الله وسنة رسوله.

ويقول الإمام الخميني عندما سئل عن نظام الحكم الذي يسعى إليه: سني هو أم شيعي؟ فأجاب: إننا نريد أن نحكم بالإسلام كما نزل على محمد ﷺ لا فرق بين السنة والشيعة لأن المذاهب لم تكن موجودة في عهد رسول الله.

... ولا تعني السلفية هنا كما هي عند البعض حربًا على المذهب الفقهية أو العقديّة، كلا! فهذا تمزيق لكيان الأمة... ويلحق بالمعنى السلفي تجميع المسلمين حول ما هو معلوم من الدين بالضرورة إبعادًا للخلاف وتوحيدًا للصفوف حسب القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: موقف الجماعات الإسلامية الجهادية: وهي جماعات كثيرة تختلف باختلاف مرجعيتها الفكرية وأفقها الاستراتيجي، فمنها خلفيته سلفية وأفقه الإستراتيجي محلي مثل بعض الجماعات الجزائرية والجماعة الإسلامية المصرية سابقًا ومنها سلفي بأفقي استراتيجي عالمي وأشهرها جماعة القاعدة وكلاهما موقفه سلبي من العمل الحزبي ومن الديمقراطية ومن العمل في ظل أنظمة هي عندهم كافرة وليس لتغييرها من سبيل غير الجهاد، ولذلك

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٢٢).

يشدد نقدهم لعموم جماعات الحركة الإسلامية الوسطية مثل الإخوان وأمثالهم في باكستان وتركيا.. إلخ، بسبب التباين في المنهج والتصور والأنموذج. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

أولاً: طعن الغنوشي في المنهج السلفي، منهج شيخه - زعم - ناصر الدين الألباني رحمه الله، أن فيه صرامة وشكلاية ونظراً جزئياً أحياناً لا يرقى إلى النظرة الشمولية، لا يضر بحمد الله هذا المنهج وأهله، فهي مجرد أكاذيب لا ترقى إلى حد الحجة التي تستحق الرد والمناقشة بالكتاب والسنة بعيداً عن الأهواء والعواطف الغربية.

ثانياً: اعترافه بصفاء هذا المنهج عندما قال: (واقصرت منه على الجوانب العقدية بما تتسم به من صفاء بعيداً عن التخريف والجدل الكلامي إلى جانب منهج التحقيق الحديثي في تناول الآثار الإسلامية)، واعترافه بفضل المنهج السلفي على غيره، وإن كان لم يعمل الغنوشي بما ادعاه فهو لم يسلم لا عقيدة ولا منهجاً حديثاً، إلا أن هذا الكلام ينقض كلامه الأول بما أجراه الله على لسانه وقلمه والإخبار بعلوية هذا المنهج السلفي على غيره.

مناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء واقتصاره على بعض الأمور - كما يدعي - في هذا المنهج السلفي دون بعض يدل على عدم توفيق وجهل ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، والله عز وجل أمرنا بالدخول في الإسلام والأخذ بجميع شرائعه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣١٣).

ثالثاً: وأما تخبطه في مفهوم السلفية وزعمه أن السلفية أنواع فقيح، فإن طريق الحق واحد، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

رابعاً: وأما ادخاله جماعة الإخوان المسلمين وحركة الرافضي الخميني والحركات الجهادية التكفيرية ومنها تنظيم القاعدة في السلفية فغير مقبول منه، والنبي ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم»<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر:

والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

وقال الآخر:

وكل يدعي وصلاً لليلي وليلى لا تقر لهم بذلك  
سواء ادعى ذلك حسن البناء أو الخميني أو الغنوشي أو غيرهم، فإن منهج السلف هو كتاب وسنة على فهم سلف الأمة علماً وعملاً، نظرية وتطبيقاً، فمن خالفه كان خارجاً عنه ولا يصح انتسابه آنذاك. وهذه الجماعات (الإخوان، الشيعة، القاعدة، الجماعات الجهادية التكفيرية، حزب النهضة) لهم من المخالفات للكتاب والسنة العديد، كقيلة بإخراجهم من منهج السلف كما أبانه أهل العلم، فلا يصح انتسابهم إلى منهج السلف وهم يخالفونه ويتعمدون مخالفته، ومن أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية: من صحت محبته امتنعت مخالفته.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٥٢)، ومسلم برقم (١٧١١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

قال الإمام السفاريني رحمه الله تعالى: المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء.

## الفصل الرابع: الغنوشي وقاعدة المعذرة والتعاون

قال الغنوشي: ويلحق بالمعنى السلفي تجميع المسلمين حول ما هو معلوم من الدين بالضرورة إبعادًا للخلاف وتوحيدًا للصفوف حسب القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. اهـ<sup>(١)</sup>

وعقد فصلاً كاملاً بعنوان: «حق الاختلاف وواجب وحدة الصف» في كتابه «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ١١٣) تحدث فيه عن حق الاختلاف والإغراق في المسائل اللاهوتية الغيبية وعن فشل المسلمين في إدارة الحوار بينهم.

لننقد:

إن هذه القاعدة التي أحدثها حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) قاعدة محدثة ليس لها مستند من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، بل هي مخالفة لما أوجبه الله عز وجل في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، وانعقد عليه إجماع المسلمين من إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٧١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج : ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup>

فواجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تنفيذاً لأمر الله عز وجل وغيره على دينه ونصحاً للمسلمين، فإن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين عامتهم»<sup>(٢)</sup>

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم»<sup>(٣)</sup>  
ثم إن هذه القاعدة تهدم جانب الولاء والبراء، الحب في الله والبغض في الله في قلوب المسلمين ولذلك تجد من يتبنى هذه القاعدة بارد الأحشاء أمام المنكرات والبدع والمحدثات

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٩).

(٢) رواه مسلم برقم (٥٥).

(٣) رواه مسلم برقم (٥٦).

وأهلها، تنتهك حرمة الله عز وجل أمامهم ولا يتحرك ساكنًا، وتراهم تجمعهم المودة والألفة مع المبتدعة بل حتى مع الكافرين داعين إلى التسامح معهم، ومحدث هذه القاعدة هو نفسه الذي قال: أقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية.

وقد ثبت من خلال شهادات الإخوان المسلمين أنفسهم أن عددًا من النصارى منخرطين معهم في تنظيمهم، فأين الولاء والبراء؟! وأين الغيرة على الدين وعلى حرمة الله؟! فهذه القاعدة هدم لجانب الولاء والبراء وإقرار للمبتدعة على ما هم عليه من الضلال والإبتداع، ونسف لما قعده أئمة السلف من هجر المبتدعة والبعد عن مجالستهم والتحذير منهم، فلهذا تراهم يعلنون النكير على من حذر من البدع وأهلها، يصفونهم بأقبح الألفاظ كـ (المتشددة، الغلاة، مفرقي الأمة، ...) وما دروا أن البدع هي التي تفرق، وأن السنة هي التي تجمع على المودة والألفة والأخوة.

قال شيخ الإسلام: وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتُمونه ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبوه بل لعلمهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذما مطلقا لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع وهذه الطريقة قد تغلب

على كثير من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام وكلاهما الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/٤٦٧).

## الفصل الخامس: الغنوشي وابن تومرت

قال الغنوشي: ظهر مثل هذا التنظير لدى إمام معتبر من أئمة أهل السنة هو الإمام الجويني كما ظهر لدى مؤسس أكبر دولة في المغرب الإسلامي (دولة الموحدين) هو الإمام مهدي ابن تومرت. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

وابن تومرت<sup>(٢)</sup> هذا له إجلال وتعظيم في نفوس القوم، يعتبره الغنوشي إماماً وقُدوة ويسوّد في سيرته ومواقفه المقالات، ووجه تعظيمهم له ما جاء في ترجمته أنه كان عمّاً لعلّ الملك، غاويّاً في الرياسة والظهور، فأنست القوم ما عنده من الهنات العظام الجسام.

وابن تومرت هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، ادعى أنه علوي حَسَنِي، أخذ عن الكيا الهراسي، وأبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي وجاور سنة.

ومن ضلاله وزيعه:

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٣٨).

(٢) ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٣٩)، و«تاريخ ابن خلدون» (٦/٢٢٦)، و«وفيات الأعيان» (٥/٤٥)، و«طبقات السبكي» (٦/١٠٩-١١٧)، و«الوافي بالوفيات» (٣/٣٢٣-٣٢٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/١٢٧٤)، و«شذرات الذهب» (٤/٧٠-٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (٤/٢٥٨)، و«البداية والنهاية» (١٢/١٨٦-١٨٧).

أولاً: تبنيه للعقيدة الأشعرية، وإفساد أهل المغرب عما كانوا عليه من العقيدة السلفية المبنية على التنزيه والبعد عن التأويل والتحريف في الأسماء والصفات، وألف في العقيدة الأشعرية المصنفات وحمل الناس عليها ورمى من خالفها بالتجسيم وكفرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا هو الذي سلكه نفاة الصفات ويسمون نفي الصفات توحيداً وهذا هو الذي سلكه أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب عند أصحابه بالمهدي وأمثاله من نفاة الصفات المسمين ذلك توحيداً.

ولقب ابن تومرت أصحابه بذلك إذ كان قوله في التوحيد قول نفاة الصفات جهم وابن سينا ويقال إنه تلقى ذلك عمن يوجد في كلامه موافقة الفلاسفة تارة ومخالفتهم أخرى.

قلت -أي شيخ الإسلام-: ولهذا رأيت لابن التومرت كتاباً في التوحيد صرح فيه بنفي الصفات ولهذا لم يذكر في «مرشدته» شيئاً من إثبات الصفات ولا إثبات الرؤية ولا قال إن كلام الله غير مخلوق ونحو ذلك من المسائل التي جرت عادة مثبتة الصفات بذكرها ولهذا كان حقيقة قوله موافقاً لحقيقة قول ابن سبعين والقائلين بالوجود المطلق موافقة لابن سينا وقد ذكر ابن التومرت في فوائده المشرقية أن الوجود مشترك بين الخالق والمخلوق فوجود الخالق يكون مجرداً ووجود المخلوق يكون مقيداً.<sup>(١)</sup>

قال الإمام الذهبي: كان لهجاً بعلم الكلام، خائضاً في مزال الأقدام، ألف عقيدة لقبها بـ«المرشدة»، فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبز من خالف «المرشدة» بالتجسيم، وأباح دمه، نعوذ بالله من الغي والهوى.

---

(١) «درء التعارض» (٣/ ٤٣٨-٤٣٩).

قال ابن خلدون: كان - يعني ابن تومرت - قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة<sup>(١)</sup> وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت فبصر أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل «المرشدة» في التوحيد.

قال الأمير عزيز في «أخبار القيروان»: سمي ابن تومرت أصحابه بالموحدين، ومن خالفه بالمجسمين.

قال اليسع بن حزم: سمي ابن تومرت المرابطين بالمجسمين، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه بما يجب له، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه.

إلى أن قال: فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وأن من لم يعرف ذلك، لم يعرف المخلوق من الخالق، وبأن من لم يهاجر إليه، ويقا تل معه، فإنه حلال الدم والحريم، وذكر أن غضبه لله وقيامه حسبة.

---

(١) الأشاعرة ليسوا من أهل السنة وعقيدتهم ليست بسلفية، وإنما هي كلامية بدعية مبنية على تحريف الكلم عن مواضعه فتنبه.

ثانيًا: تشيعه

قال عبد الواحد المراكشي: وألف لهم كتاب «أعز ما يطلب»، ووافق المعتزلة في شيء، والأشعرية في شيء، وكان فيه تشيع.

وقال ابن خلدون: وكان من رأيه القول بعصمة الإمام علي على رأي الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامية الذي افتتحه بقوله: (أعز ما يطلب) وصار هذا المفتاح لقبًا على ذلك الكتاب.

ثالثًا: ادعائه الكاذب أنه المهدي.

قال عبد الواحد المراكشي: ذهب ونزل بتينملل، ومنه ظهر، وبه دفن، فبث في المصامدة العلم، ودعاهم إلى الأمر بالمعروف، واستمالهم، وأخذ يشوق إلى المهدي، ويروي أحاديث فيه، فلما توثق منهم قال: أنا هو، وأنا محمد بن عبد الله، وساق نسبا له إلى علي، فبايعوه... ورتب أصحابه، فمنهم العشرة، فهم أول من لباه، ثم الخمسين، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول: ما في الأرض من يؤمن بإيمانكم، وأنتم العصاة الذين عنى النبي ﷺ بقوله: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين» وأنتم تفتحون الروم، وتقتلون الدجال، ومنكم الذي يؤم بعبسى، وحدثهم بجزئيات اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم لقسوتهم وغلظ طباعهم، وإقدامهم على الدماء، فبعث جيشا، وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين، فادعوهم إلى إمارة المنكر وإزالة البدع، والإقرار بالمهدي المعصوم، فإن أجابوا، فهم إخوانكم، وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأصحاب ابن تومرت الذي ادعى أنه المهدي يقولون إنه معصوم ويقولون في خطبة الجمعة الإمام المعصوم والمهدي المعلوم ويقال إنهم قتلوا بعض من أنكر أن يكون معصومًا ومعلوم أن كل هذه الأقوال مخالفة لدين الإسلام للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإن الله تعالى يقول ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩]، فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول فمن أثبت شخصا معصوما غير الرسول أوجب رد ما تنازعوا فيه إليه لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول وهذا خلاف القرآن. <sup>(١)</sup>

رابعًا: جراته على الدماء من أجل الرياسة، وله في ذلك قصص غريبة.

قال الذهبي: كان خشن العيش فقيرًا، قانعًا باليسير، مقتصرًا على زي الفقير، لا لذة له في مأكّل ولا منكح، ولا مال، ولا في شيء غير رياسة الأمر، حتى لقي الله تعالى، لكنه دخل - والله - في الدماء لنيل الرياسة المردية.

وقال أيضًا: ربط البربر بادعاء العصمة، وأقدم على الدماء إقدام الخوارج، ووجد ما قدم.

ومن شعر ابن تومرت:

دعني ففي النفس أشياء مخبأة	لألبسني بها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت نفسي ببغيتها	ما كنت عن ضرب أعناق الوري أبي
حتى أظهر ثوب الدين عن دنس	وأوجب الحق للسادات إيجابا

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١٨٩-١٩٠).

وقال أيضًا:

ومن عرف الأيام معرفتي بها      وبالناس، روى رحمه غير راحم  
فليس بمرحوم إذا ظفروا به      ولا في الردى الجاري عليه بآثم  
أفمثل هذا الرجل يتخذ قدوة وإمامًا، وتسود في الثناء عليه الصفحات؟!!

## الفصل السادس: الغنوشي والمدرسة العقلية: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده

قال الغنوشي: وهذا التطور يعود بنا إلى جذور الحركة الإصلاحية في القرن التاسع عشر- كما نشأت مع خير الدين التونسي، ورفاعة الطهطاوي وعبد العزيز الثعالبي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، هؤلاء كانوا جميعًا مخلصين للإسلام شديدي الإيمان به، وكانوا متألمين لما حققه الغرب من تقدم في كافة المجالات، بينما المسلمون متخلفون. وكان مشروعهـم كيف يقتبسـون - بلغة خير الدين - من الغرب مادة تفيد المسلمين وكيف يستوعبون مكاسب التقدم الغربي دون التضحية بالإسلام. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: ولقد أمكن للفكر الإسلامي مع وبعد حركة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وخير الدين التونسي والثعالبي ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وشكيب الدين أرسـلان وأمـثالهم، من أن يتقدم شوطاً في تعرية النموذج الحضاري الغربي وبيان غـثه من سمينه وما يصلح لنا مما لا يصلح، وفضـح ضروب نفاقه واستبداده من ناحية ودفع الشبهات عن الإسلام وحضارته وإبراز البديل الإسلامي في تنظيم الحياة على مستويات الفرد والمجتمع، ولم ير حرجاً في تقنين الشريعة. اهـ<sup>(٢)</sup>

النتقد:

ولن أقف هنا إلا مع رجلين من زعماء المدرسة العقلية الحديثة وروادها، وهما صنبا القداسة عند القوم، والأسوة في الدعوة والعمل، وهما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ٧٢).

(٢) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ٣٢).

وقد ذكر صاحب كتاب «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» فهد بن عبد الرحمن الرومي بعض المآخذ على هذين الرجلين موثقة نجمل بعضها كالتالي:

#### ١ - جمال الدين الأفغاني:

- أن اسم والده (صفدر) وهو لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي رضي الله عنه عند الشيعة ولا يوجد إلا بين الشيعة.
- أنه لا صحة إلى انتسابه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما من طريق (علي الترمذي) وإنما انتحل هذا لإضفاء قداسة باطلة على شخصه.
- أنه إيراني لا أفغاني كما ينسب نفسه، وإنما نسب نفسه إلى أفغانستان لأسباب غير ظاهرة.
- انحرافه العقدي، ومن أقواله: وفي الحقيقة إن الدين الإسلامي حاول خنق العلم وسد جميع التطور ولذلك نجح في سد الحركات الفكرية والفلسفية وطرد الأذهان عن طلب الحقيقة العلمية.
- وقال أيضًا: كان هذا صحيحًا أن دين المسلمين يعوق من تطور العلم، فهل يقدر أحد على أن يدعي عن هذه الطائفة سوف لا تزول يومًا؟ ففيم يختلف دين المسلمين في هذا من سائر الأديان؟ إن جميع الأديان لا سماحة عندها أبدًا، كل واحد حسب شاكلته، إن المجتمع النصراني الذي تحرر واستقل الآن يتقدم بادي الرأي سريعًا في سبيل التقدم والعلوم بينما المجتمع الإسلامي لم يتحرر إلى الآن من تسلط الدين.
- وقال أيضًا: ولماذا لم يزل العالم العربي مغطى بالظلمات العميقة؟ في هذه الناحية تظهر مسؤولية الدين الإسلامي كاملة، ومن الظاهر أن هذا الدين حيثما حل حاول خنق العلوم.

- طلبه الإنخراط في المحفل الماسوني الصهيوني وأن يكون عضوًا فيه، وقد تم قبوله وكان من أعضائه البارزين في عدد من الدول، وانتماءه إلى الماسونية<sup>(١)</sup> شيء متيقن لا يقبل الشك ثابت بالأدلة والوثائق.
- سعيه إلى تأسيس جامعة شرقية تجمع دول الشرق مسلمة وغير مسلمة ضد الإستعمار.
- الثورة السياسية هي سبيل الإصلاح عنده.
- اتخاذه الإغتيال سببًا لتحقيق مآربه، ومن ذلك تدبيره خطة لاغتيال الخديو إسماعيل في مصر، وتدبيره قتل ناصر الدين شاه.
- تمكينه للنصارى من وسائل الإعلام والتفافهم حوله.
- سكوته عن شدة الغلو فيه كما في كتابات تلاميذه إليه، ومن ذلك ما كتبه إليه تلميذه إبراهيم اللقاني: لو أذن لي سيدي وأستاذي ورب روحي ومعدل مزاجي ومقوم خلائقي، ومحور خلقي ومحور فطرتي.
- وما كتبه إليه السيد رشيد رضا مصليًا ومسلمًا عليه بعد رسول الله ﷺ وآله فقال: الحمد لله على إفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعلى سيدي بل السيد المطلق، ذي القدح المعلى والجواد المصلى الأسبق، سدره منتهى العرفان، وجنة مأوى المحاسن والإحسان والذي له في كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس، الإمام المفرد والعقل المجرد. إلى أن قال: مهبط الفيض، مصعد الكلم الطيب، مجلى سر الجمال الأكمل.

---

(١) انظر لمعرفة مخططات الماسونية اليهودية كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» لمحمد خليفة التونسي.

وكلمات أشد وأخطر فيما كتبه إليه تلميذه محمد عبده.

- تفسيره آيات الكتاب العزيز بالرأي والهوى فيه تحريف للكلم عن مواضعه، من ذلك تفسيره للربا المحرم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران : ١٣٠]. بجواز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير أضعافاً مضاعفة.
- ويفسر (الجد) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن : ٣]. أن (جد) معرب (كد) ومعناه العرش بالفارسية أو الهندية.
- ويفسر ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء : ٣]، بأنه قيد من خاف ألا يعدل (بالمرأة الواحدة) وترك لمن يخشى أن لا يعدل - حتى مع واحدة - عدم الزواج وهذا ما يستنتجه العقل ما دام يحمله العاقل ويقول به الحق والعدل.
- اعتماده السرية في نشاطاته على طريقة الماسونية.
- صلته المريية بالإنجليز.
- تركه بعض الصلوات المفروضة، فقد ذكر الشيخ يوسف النبهاني: أنه اجتمع به سنة ١٢٩٧ هـ في مصر حين كان مجاوراً بالأزهر ولا زمه من قبل الغروب إلى قرب العشاء فلم يصل المغرب.
- عدم زواجه وتعليقه بخشية عدم العدل.
- كان الأفغاني مغرمًا بالسيجار الإنجليزي، ولشدة ولعه به كان لا يركن إلى أحد من خدمه في ابتياعه فيبتاعه هو بنفسه، وشدة ولعه بالسيجار الإفرنجي وكثرة شربه للشاي وتناوله الطعام مالحًا كان من مسببات السرطان، الذي كان سبب وفاته، حتى قال بعض تلاميذه:

الملح والشاي والـدخان أودت بروح شيخنا الأفغاني

- كان يشرب قليلاً من (الكونياك).

٢- محمد عبده:

- انتسابه من جهة الأم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والغرض من تأكيد هذا

النسب مع عدم ثبوته ومن أهداف ذلك الظهور بمظهر القداسة عند العامة.

- انحرافه العقدي، ويظهر ذلك من خلال كتاباته إلى أستاذه الأفغاني، ومن ذلك قوله

في خطاب للأفغاني بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٠٠هـ: أما الآن وقد حبسني الجناح

العالي نتيجة لأعماله فإني أصدع بأفكاري قواعد الملكوت وأزعزع بهمتي أركان

سطوة الجبروت وأدعو إلى الحق دعوة الحكيم....

وقال أيضاً: نحن الآن على سترك القويمة لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين

ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً ركعاً سجداً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما

يؤمرون، ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل.

- دعوته إلى التقريب بين الأديان، وإنشاؤه جمعية سياسية دينية سرية هدفها التقريب

بين الأديان، وكتب رسالة إلى القس إسحاق طيلر يقول فيها: كتابي إلى الملهم بالحق

الناطق بالصدق حضرة القس المحترم إسحاق طيلر أيده الله في مقصده ووفاء

المذخور من مواعده. إلى أن قال:.. ونستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور

العرفان الكامل فتهزم له ظلمات الغفلة فتصبح الملتان العظيمتان المسيحية

والإسلام وقد تعرفت كل منهما إلى الأخرى وتصافحتا مصافحة الوداد وتعانقتا

معانقة الألفة، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين.

ويقول: وإنا نرى التوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتباً متوافقة، وصحفاً متصادقة، يدرسها أبناء الملتين ويوقرها أرباب الدينين فيتم نور الله في أرضه ويظهر دينه الحق على الدين كله!

- يرى تقديم العقل على النقل على طريقة المعتزلة، يقول محمد عبده: اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل.

- اشتراكه مع شيخه الأفغاني في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه مع أستاذه في نشر مبادئها.

- دعوته إلى القومية الوطنية، فمحمد عبده هو الذي صاغ برنامج الحزب الوطني المصري وجاء فيه في المادة الخامسة منه: الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يحترث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليها.

وفي سنة ١٨٨٨ م ثارت في مصر مناقشات صحفية حول تعصب الأقباط في مصر ضد المسلمين فكتب محمد عبده مدافعاً عن الأقباط: ليس من اللائق بأصحاب الجرائد أن يعمدوا إلى إحدى الطوائف المتوطنة في أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوا إلى شائن من العمل تعللاً بأن رجلاً أو رجلاً منها قد استهدفوا لذلك.

- مشاركته لقاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» الذي فيه دعوة إلى نبذ الحجاب واطراحه وإلى خروج المرأة إلى العمل في كل المجالات.

- علاقته المريبة - كشيخه الأفغاني - بالإنجليز، فهو يبذل لهم النصيحة خالصة، ويرشدهم إلى ما يوطد دعائم احتلالهم ويحذرهم من الأخطاء، وهم يدافعون عنه ويقفون بجانبه ويقدمون له الحماية.

عاتب الشيخ يوسف النبهاني السيد رشيد رضا على صحبته لمحمد عبده، وتسميته له بالأستاذ الإمام مع تركه للحج وفروض الصلاة ولاشتراكه في الماسونية، فقال  
نظمًا:

وذاكرته في شيخه وهو عبده	تملكه للشيطان عن قومه قسرا
فقلت له لو كان كابن سينا زعمتم	وعالم فاراب وأرفعهم قدرا
لقلنا لكم حقًا وإن كان باطلاً	ولم نر من هذا على ديننا ضرا
ولكنكم مع تركه الحج مرة	وحج لـ(باريز) و(لندره) عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن	يسربذا بل كان يتركها جهرا
ومع كونه شيخ المسون مجاهرا	بذلك، لا يخفي أخوتهم سرا
ومع غير هذا من ضلالاته التي	بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقولون أستاذ إمام لديننا	فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمرا
ونحن نراه عندنا شر فاسق	فيقتل فسقا بالشرعية أو كفرا



## الفصل السابع: الغنوشي.. والثورة الإيرانية.. والخميني.. وإيران؟

قال الغنوشي: لقد جددت صحوة الإسلام وعبأت جزءاً من طاقات الإسلام وأمته، فطردت الإستعمار المباشر وهي تعالج ما تبقى، كما استطاعت أن تفضح الأنظمة الطاغوتية المستترة بالوطنية والإسلام بعد أن قادت الأمة إلى الهزائم على كل الواجهات. وهي اليوم على سلم متدرج صاعد، فطلائعها في إيران والسودان، قد فرغوا من أنظمة التبعية في بلادهم، وهم بصدد إرساء النواتات الأولى لدولة حضارية إسلامية جديدة. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال تحت عنوان «الثورة الإيرانية ثورة إسلامية، مواقف من الثورة»: إن الإسلام ليس مجرد دعوة روحية بل هو عقيدة وعبادة ونظام سياسي واجتماعي شامل لا فرق فيه بين المادي والروحي. ولذلك فإن الإمام الخميني هو في الوقت نفسه إمام روحي للأمة الإيرانية وقائد ثورتها الكبرى في الحرية والعدالة والمساواة واستعادة الذاتية.

ورغم تعدد الاتجاهات الوطنية واليسارية والعلمانية في إيران فقد استطاع الخميني بنموذجه الروحي الهائل وتبنيه بقوة وإخلاص الدفاع عن مطالب الأمة الإسلامية في الحرية والعدالة في إطار الإسلام... إن الحركة الإسلامية في إيران وإن كانت قاعدتها شيعية فإنه تصب في التيار العالمي للبعث الإسلامي، مستهدفة إيقاظ الأمة الإسلامية بكاملها ووضعها في القيادة الحضارية للعالم... وحين تنتصر الحركة الإسلامية في إيران فإنها تسجل بادرة عظيمة في الصراع المحتد اليوم في العالم بين قوى الطاغوت وقوى التحرر.. بين الأنظمة الجبارة وبين الشعوب المحرومة المستضعفة، ولذلك فسوف تكون نموذجاً يهتدي به كل الأحرار في

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٥-٦).

العالمين الإسلامي والنامي وتصبح إيران قلعة للحرية ومركز الإشعاع الرسالي في العالم! إن ثورة إيران هي ثورة الإسلام ضد الاستبداد والقهر والتبعية والاستغلال. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: نريدها وقفة حازمة تعلن بصراحة ووضوح وقوة وقوف العاملين للإسلام في كل مكان وأنصار الحرية والعدالة مع إخوان العقيدة!! رواد الحرية والعدالة في إيران!... أولئك الذين رفعوا رأس الإسلام عاليًا في الدنيا كلها. اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضًا: التيار الشيعي: وقد تعاظم شأن هذا التيار في إثر الانتصار الباهر الذي حققته الثورة الإسلامية في إيران ضد النظام البهلوي. وكان الخطاب الإيراني الثوري التعبوي الحامل أنات المستضعفين وآلام القرون وأشواق الإستشهاد من خلال كتابات عدد من العلماء المجاهدين الرواد الذين نظروا إلى الفكر الشيعي وحاولوا نقض غبار القرون عنه وتقديمه رؤية إسلامية عالمية وناطقًا رسميًا وحيدًا باسم الإسلام. وكتابات الشهيد الصدر والمطهر وشريعتي على رأسها، قد أطلقت موجة عاتية من الفكر الثوري الشيعي اجتاحت عددًا كبيرًا من مثقفي العالم ومثقفي السنة. اهـ<sup>(٣)</sup>

وقد جعل الغنوشي الخميني ثالث قادة الحركة الإسلامية المعاصرة كما في كتابه «مقالات» (ص ٨٧)، ويلقبه بـ(الإمام) ويكثر من نقل أقواله والإعتماد عليها في بحث المسائل واستنباط المواقف.

---

(١) «مقالات لراشد الغنوشي» (ص ٧٨-٨٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٨٣).

(٣) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٤٨).

ويقول الغنوشي متأسفًا عن خداع الشيعة الإمامية لهم وعدم مقابلتهم بنفس الإحساس والمعاملة من التسامح والنصرة والدفاع، وهذا يدل على حقيقة تلك المقالة التي كان يصرخ بها الشيخ مقبل الوادعي في وجوههم، وهي أن الإخوان مفلسون في السياسة.

قال الغنوشي: أقول بوضوح: إن التسامح بل الحماس الذي أظهره كثير من مثقفي السنة وعامة الجماهير الإسلامية تجاه إخوانهم الشيعة الإمامية ودفاعهم عن ثورة الإسلام في إيران حتى لاقوا في سبيل ذلك ما لاقوا من العسف والمصادمات مع أنظمتهم، لم يقابل غالبًا برد فعل إيجابي من إخوانهم الشيعة عدا كلام كثير وجميل حول الوحدة الإسلامية.. أما في العمق فإن معظم إخواننا لم تزدهم الثورة في ما يبدوا إلا يقينًا في صلاح قراءتهم الإسلام وتاريخه وفساد كل القراءات الأخرى، وربطه بالإمامة والعصمة وبتروا صره مع تصوراته العقدية وزعاماته الطارف منها والتلبد، وهو أمل خادع ومطمع ليس من ورائه طائل بعد أن سلخت الأمة معظم تاريخها على مثل هذا التعدد، وما أحسبها إلا ماضية على النهج نفسه في ما تبقى من الزمن، فليوطن الجميع أنفسهم على قبول التعددية والبحث من خلالها على التعايش والوحدة على أساس المشترك من الدين وأخطار السياسة. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

كل هذه النصوص تبين موقف الحركة ومؤسسها من إيران، الروافض الإمامية الإثني عشرية وإمامهم الخميني، فإن الغنوشي من معظمي الخميني، وله دفاع مستميت عن الروافض في إيران وثورتهم، وهذه المواقف تشير إلى العلاقات التي بين الحركة وإيران،

---

(١) المصدر السابق (ص ١٥٢).

وهذا الارتباط ثابت لا شك فيه، صرح بذلك الغنوشي في مقالاته وله جلسات مع (آيات!) إيران معلومة وموثقة، وحضور لندوات ومؤتمرات في إيران، مما يدل على العلاقة الوطيدة بين الحركة ورافضة إيران.

ولن أقف هنا لأبين عداة إيران للمسلمين (أهل السنة) وتكفيرها لهم واستباحة دمائهم، ودور إيران في إثارة الفتن في بلدان المسلمين، وما حرب (الحوثيين الروافض) في ثورتهم السادسة مع أهل السنة وأسودها في دار الحديث بدماج في بلاد اليمن عنا ببعيد.

ولكن أقف عند العقيدة! هنا يجب الوقوف. عند قول الغنوشي: إخوان العقيدة!!

فالغنوشي يرى أن الرافضة الإمامية الإثني عشرية إخوان لنا في العقيدة، تجمعنا بيننا وبينهم العقيدة! ولهذا تراه ينسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - كذبًا وزورًا وبهتانًا - عدم تكفير الإمامية فيقول: إن شيخ الإسلام ابن تيمية وهو من أشد علماء الإسلام حساسية وتدقيقًا في قضايا العقيدة لم يخرج الشيعة الزيدية أو الإمامية من ساحة الأمة الإسلامية رغم نقده لما في مذاهبهم من بدع. يقول رحمه الله: وأما السلف والأئمة فلم يتنازعوا في عدم تكفير المرجئة والشيعة المفضلة ونحو ذلك، ولم تختلف نصوص أحمد أنه لا يكفر هؤلاء.<sup>(١)</sup> ومن التاريخ الحديث للحركة الإسلامية نذكر بالعلاقة الوثيقة التي كانت تربط بين الإمام الشهيد حسن البنا وبين الإمام الكاشاني الزعيم السابق للحركة الإسلامية في الأربعينات والخمسينات في إيران حيث وضع برنامجًا للتعاون والتنسيق لقيام الدولة الإسلامية

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥١).

وتأييدها من الجميع في أي مكان تقوم فيه - حسبما بلغني ممن أثق فيه - فضلاً عن أن حركة (نواب صفوي) الفدائية في إيران كانت امتداداً لتفكير الإخوان. اهـ<sup>(١)</sup>

وهنا تلاعب الغنوشي في النقل من جهتين:

الأولى: قوله في تقدمته لكلام شيخ الإسلام (لم يخرج الشيعة الزيدية أو الإمامية) ومعلوم أن (أو) للمغايرة، فإما أنه أراد أن الزيدية هم الإمامية، أسماء لمسمى واحد، وهذا بعيد لأنه يكون جهلاً بحقيقة المذهبين والفرق بينهما. وإما أنه شك من الذي أراده شيخ الإسلام من الفريقين الزيدية أم الإمامية؟ وهذا بعيد أيضاً، لأنه نقل كلام شيخ الإسلام بحروفه، إلا أن يكون ما عرف الشيعة المفضلة من هم؟ هل الزيدية أم الإمامية؟! وهذا بعيد أيضاً أن يخفى على مثل فضيلته!

وإما - وهو الأقرب - أراد أن يوهم القارئ أن كلام شيخ الإسلام شامل للزيدية وللإمامية (الرافضة!)، وعلى كل حال فكلام شيخ الإسلام إنما هو في المفضلة، الذين يفضلون علياً على عثمان رضي الله عنهما لا يدخل في ذلك الرافضة، فإنهم يفضلون بل يقدمون علياً على الثلاثة ويرون أحقيته بالخلافة، ويرون عصمته، ويكفرون الصحابة إلا نفرًا يسيراً.

ويدل على ما قلناه من عدم دخول الرافضة الإمامية في كلام شيخ الإسلام هذا، أنه هنا حكى الإجماع على عدم تكفير الشيعة المفضلة، وبعدها بأسطر حكى الخلاف في تكفير الرافضة فقال: وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره. اهـ

---

(١) «مقالات لراشد الغنوشي» (ص ٨٣).

فلو كان المراد في كلا الموضوعين الرافضة لكان كلام شيخ الإسلام قد تناقض، مرة يحكي الإجماع، وبعده بأسطر يحكي الخلاف، وحاشاه من ذلك، فتأمل!

الثانية: أن الغنوشي كتم ما بعده من الكلام في الرافضة وزندقتهم، وهذا نص ما جاء بعده، قال شيخ الإسلام: وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره... وفصل الخطاب في هذا الباب بذكر أصليين أحدهما أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقاً... وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة وأول من ابتدع الرفض كان منافقاً وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم... وأصل قول الرافضة أن النبي نص على علي نصاً قاطعاً للعذر وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا بل كفروا إلا نفراً قليلاً إما بضعة عشر - أو أكثر ثم يقولون إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين وقد يقولون بل آمنوا ثم كفروا وأكثرهم يكفر من خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفاراً ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار ردة أسوأ حالا من مدائن المشركين والنصارى ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين ومعاداتهم ومحاربتهم كما عرف من موالاتهم الكفار المشركين على جمهور المسلمين ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسلمين ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين.

ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم ولا ريب أنهم أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما معناه لست رافضيا.

ولا ريب أنهم شر من الخوارج لكن الخوارج كان لهم في مبدىء الإسلام سيف على أهل الجماعة، وموالاتهم الكفار أعظم من سيوف الخوارج! فإن القرامطة والإسماعيلية ونحوهم من أهل المحاربة لأهل الجماعة وهم منتسبون إليهم وأما الخوارج فهم معروفون بالصدق والروافض معروفون بالكذب والخوارج مرقوا من الإسلام وهؤلاء نابذوا الإسلام.<sup>(١)</sup>

فانظر كيف أخفى الغنوشي جميع هذا الكلام من شيخ الإسلام، وانتقى ما يهوى وجعلها في الذي يريد من المعنى!

ومن أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في تكفير الرافضة، قوله عند أن ذكر التفصيل في حكم من سب الصحابة: أما من اقترن بسبه دعوى أن عليا إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة فهذا لا شك في كفره بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره، وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم، وأما من سبهم سبا لا يقدر في عدالتهم ولا في دينهم - مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك - فهذا هو الذي

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٢-٣٥٧).

يستحق التأديب و التعزير و لا نحكم بكفره بمجرد ذلك و على هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم، و أما من لعن و قبح مطلقا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ و لعن الاعتقاد، و أما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة و السلام إلا نفراً قليلاً يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم و الثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب و السنة كفار أو فساق و أن هذه الآية التي هي ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، و خيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا و مضمونها أن هذه الأمة شر الأمم و أن سابقي هذه الأمة هم شرارهم و كفر هذا مما يعلم بالإضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق و عامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم و قد ظهرت لله فيهم مثلات. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال شيخ الإسلام: الذي ابتدع الرفض كان يهوديا أظهر الإسلام نفاقا ودس إلى الجهال دسائس يقدر بها في أصل الإيمان ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة فإنه يكون الرجل واقفا ثم يصير مفضلا ثم يصير سبابا ثم يصير جاحدا معطلا<sup>(٢)</sup>، ولهذا انضمت إلى

---

(١) «الصارم المسلول» (ص ٥٨٦-٥٨٧).

(٢) ومن هنا قال الشعبي لمالك بن مغول: اتتني بزيدي صغير أخرج لك منه رافضياً كبيراً، وائتني برافضي صغير أخرج لك منه زنديقاً كبيراً!.

الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصرية وأنواعهم من القرامطة والباطنية والدرزية وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضًا: وأما تكفيرهم وتخليدهم ففيه أيضا للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن أحمد والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه. اهـ<sup>(٢)</sup>

وانظر أيضًا «الفتاوى» (٢٨ / ٤٦٨ - ٥٠١).

وأما الخميني الرافضي الخبيث المعظم عند القوم فهو زنديق كافر بالله العظيم، عدو للإسلام والمسلمين، عميل لدول الكافرين، قال العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه «الإلحاد الخميني في أرض الحرمين»: فبعد الإطلاع على كتاب الخميني «الحكومة الإسلامية» صرت لا أشك في كفره لأمر:

١ - منها أنه قال: إن لأئمتنا منزلة لا يناها نبي مرسلا ولا ملك مقرب.<sup>(٣)</sup>

---

(١) الفتاوى (٤ / ٤٢٨ - ٤٢٩).

(٢) المصدر السابق (٢٨ / ٥٠٠).

(٣) والغنوشي لم يخف عليه مثل هذا الغلو، فقد نقله في كتابه «الحريات العامة» (ص ١٥١ - ١٥٢) فقال: ولم يسلم من هذا الغلو حتى قائد الثورة ومؤسس الدولة الإمام الخميني نفسه رحمه الله عليه فقد كتب في «الحكومة الإسلامية» مقطعا كنت أحسبه زلة عالم ستتدارك في الطبقات القادمة للكتاب وما بلغني ذلك،

وكذب في هذا فإن الله عز وجل يقول: ﴿اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ويقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].  
والنبي ﷺ يقول: «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه من حديث أبي هريرة،  
ويقول: «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» متفق عليه من حديث  
ابن عباس.

٢- ومنها أنه يقول: إن نصوص أئمتنا كالقرآن.

وكذب فإن الله يقول في القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ويقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٣- ومنها أنه يقول من إذاعة طهران: إن الأنبياء والأئمة لم ينجحوا في مهمتهم والذي سينجح هو المهدي.

وهو يعني مهدي الرافضة الذي لا وجود له، لا المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ أنه سيخرج ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً، فهذا حق ورد في كتب السنة.

=

فعنده أن حجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمر المسلمين فتكون أفعاله وأقواله حجة على المسلمين يجب إنفاذها. ومن ذلك قوله: وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. «الحكومة الإسلامية» (ص ٥٢). اهـ

ومع علمه بهذا ما زال الخميني هو ذاك الإمام المبجل المحبوب عندهم!

فقول الخميني هذا ضلال مبين، فإن الله عز وجل يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فهذه الثلاث الخصال توجب كفره.

وأما إفساده في الأرض فإنه ممن يتناوله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

وإليك ما ذكره موسى الموسوي في كتابه «يا شيعة العالم استيقظوا» (ص ١١) قال: كان الفقيه الراحل قد حكم الشيعة في إيران عشر سنوات كاملات بالنار والحديد، أعدم من الذين وقفوا ضد رغباته مائة وخمسين ألفاً. شرد من الشيعة ثلاثة ملايين وهم مشردون في آفاق الأرض. حرم خمسين مليوناً من الشيعة الإمامية الإثني عشرية من حق تقرير المصير والحرية الفكرية والسياسية والاجتماعية. اهـ

## الفصل الثامن: الغنوشي وتكوينه للتنظيم السري... حقائق مخفية؟!!

قال الغنوشي: لعل البنا هو أول مصطلح سني يدخل فكرة التنظيم ضمن مفهوم الإسلام الشامل كوسيلة لتحقيق هذا المفهوم في الواقع.. ويبدو أن فكرة التنظيم عنده هي تطوير لمؤسسة تقليدية هي (الطريقة)، غير أنه طورها لتصبح أداة سياسية وحضارية عامة تحكمها لوائح وقوانين أساسية ولها درجات ومقاييس مضبوطة للانتقال من درجة إلى أخرى.. ولكل درجة مصطلح خاص يعبر عنها.. ولها أيضًا أساليب معينة في اتخاذ القرارات... وفي رسالة للخميني إلى الشباب الإيراني يقول: مزيدًا من الاهتمام بالدولة الإسلامية.. اتحدوا وتنظموا ورسوا صفوفكم يجب على العقلاء والكوادر المتقدمة أن ينظموا هذه الثورة وقيموا العلاقات التنظيمية.

ويبدو أن الثورة كانت تحتم وجود جهاز تنظيمي سري تتولى قيادة الشعب وربط الإتصال بين القيادة والشعب. يقول الإمام - يعني الخميني - في إحدى رسائله: وأخيرًا لا بد من التنبيه إلى نقطة هامة.. يجب على الأشخاص المهمين الذين بيدهم المبادرة والذين تعهدوا العمل وتحملوا المسؤوليات أن يتجنبوا الكشف عن أنفسهم والاقتراب من دائرة الضوء.. عليهم أن يعتبروا من الحوادث والتجارب السابقة ويبادروا إلى العمل في ظل الإسلام وأطر موازينه بدقة. ويحذروا من الأشخاص الذين هم ليسوا في هذه الأطر مائة بالمائة.

... وكما كان للخميني تنظيمه السري كان للبنا كذلك. اهـ<sup>(١)</sup>

---

(١) «مقالات» (ص ٩٧-٩٨).

وقال أيضًا: ظللنا ثلاث سنوات تقريبًا على منهاج جماعة التبليغ... وذلك بعيدًا عن كل تأثير سياسي، غير أن السلطة ما لبثت إلى أن أوقفتنا مما فرض علينا إعادة النظر في هذا المنهاج العلني الصّرف والبسيط وانتهينا إلى أنه لا يتناسب مع ظروفنا لأنه منهاج مفتوح لا سرية فيه إطلاقًا قد يتناسب مع ساحة عمل مفتوحة كالهند والباكستان وبلاد الغرب ولكنه لا يتناسب مع بلد محكوم بنظام الحزب الواحد المتطرف في فرديته وعلمانيته، فكيفنا وضعنا بحيث يشمل على تثقيف شعبي علني وعلى تكوين تنظيمي سري، ومن هنا بدأت حاجتنا للاستفادة من منهج الإخوان وتجربتهم. اهـ<sup>(١)</sup>

النقد:

إن هذا التنظيم الذي أحدثه حسن البنا بدعة ضلالة، ما جرى عليه سلف الأمة الماضين، وإنما اقتبسه من المنظمات اليهودية كالماسونية وغيرها، قاعدتهم في ذلك (الغاية تبرر الوسيلة!) يعملون في الظلام وخلف الستار، متبنين غاية السرية في العمل، وقد كشفت الأيام تورط تنظيمات الإخوان المسلمين السرية في عدد من الإغتيالات والتفجيرات والمظالم، مما يجعل تاريخها ملطخًا بالدماء والسيئات، وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم في تأسيس ضلالة.

قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٦-٣٧).

وقال تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ  
السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ [الأنبياء : ٣].

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ  
النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر : ٩٤].

فهذه التنظيمات السرية هدفها إسقاط النظام وزعزعة الأمن، تقوم على البيعة العمياء  
والطاعة المطلقة.

ومن هنا تنكشف حقيقة طالما حاول دفعها وإبعادها عن الحركة راشد الغنوشي، وهي  
توجيه الدولة التونسية لهم تهمة محاولة إسقاط النظام والخروج على الحاكم، والقيام بحملة  
واسعة النطاق أدت إلى الزج بآلاف التونسيين في غياهب السجون والتعرض لأبشع أنواع  
وألوان التعذيب، فمات البعض، وفقد عقله البعض، وتزندق البعض، وفُقد البعض الآخر  
إلى يومنا هذا!! وكما قيل في المثل: على أهلها تجني براقش.<sup>(١)</sup>

فإذا كان الغنوشي يصرح بأن دعوته ضد الطغاة والدكتاتوريين وإسقاط عروشهم!

وأن لديه تنظيماً سرّياً!

---

(١) وهي كلبة كانت لحي من أحياء العرب، كان بينهم وبين الآخرين (ترة) أي ثار فأغاروا عليهم في  
بعض الأيام، ونذروا بهم، فهربوا وفاتوا المغيرين، ولكن تبعته براقش، فتسمعت وقع حوافر الخيل،  
فجعت تنبح ويعلو نباحها حتى سمعه المغيرون، فاستدلوا على موضع نباحها، فرجعوا يطلبون القوم  
حتى أحاطوا بهم فاستباحوهم، فضرتها العرب مثلاً لمن يعمل عملاً يرجع عليه وعلى أهله بالضرر.

وأن هذا التنظيم السري مستفاد من تنظيم الإخوان المسلمين!!

ومن قرأ واطلع على أسس تنظيمهم علم أنه دولة داخل دولة، وإمارة داخل إمارة!

فلماذا يتلاعب الغنوشي بعقول الأبرياء والمساكين، وكأنه لا علاقة له، بل وينكر ما اتهمته به

الدولة. فليكشف لنا الغنوشي عن حقائق هذا التنظيم، ومن رئيسه؟! ومن هم أعضاؤه؟!

وما العمليات التي قاموا به؟! وغير ذلك من الحقائق المخفية، ليُعلم ما وراء الأكمة!

أو فلنترك ذلك لتكشفها الأيام:

سُتُبدِي لك الأيام ما كنت جاهلاً      ويأتِيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

ويأتِيكَ بالأنباء من لم تبع له      بتأؤلم تضرب له وقت موعد

## الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المسرح والسينما والغناء والموسيقى...

قال الغنوشي: وأشير أخيراً إلى عائق يتمثل في تعامل الحركة الإسلامية مع الفن، أي مع مظاهر الجمال في هذا الكون، وذلك نظراً لأن الفنون تلوثت إلى حد كبير بمظاهر الفساد الغربي، فجفاها المسلمون سواء تمثل الفن في الشعر أو القصة أو المسرح أو الإنشاد والموسيقى أو الفنون التشكيلية مع أن هذه الفنون مؤثرة وتدخل القلوب دون استئذان. وقد صنعت هذه الجفوة في أذهان المسلمين الذين تناسوا أن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب قانون وفلسفة وتربية!! ولكنه قبل ذلك وبعده قطعة فنية رائعة وآية من آيات الفن الجميل!! ومعجزته تمثلت في نصه الجميل المعجز في نظمه. فحري بأمة معجزتها جمالية أن تكون سباقة إلى الإبداع في كافة الفنون، ولذلك لم يكن عجباً أن كان فطاحل علماء الإسلام أدباء وشعراء. اهـ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: لا تزال الحركة معرضة عن كثير من الفنون والآداب كالمرح والسينما والمسرح والغناء.. والتصوير، دون أي محاولة للتنظير وبيان الحد الفاصل بين ما يحل وما يحرم من الفنون، وتحريرها من المضامين الإلحادية المائعة وتجديرها في تراثنا وقيمنا. اهـ<sup>(٢)</sup>

النتقد:

إن الشريعة الإسلامية حرمت الأغاني والتمثيلات والسينما والمسرح وكل ما يلهي عن ذكر الله عز وجل وعن تعلم الكتاب والسنة، وما فيه من تشبه بالكافرين وإعراض عن دين

---

(١) «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير» (ص ٢١-٢٢).

(٢) «من الفكر الإسلامي في تونس» (ص ٩٣).

رب العالمين، وليست الموسيقى والتمثيلات من وسائل الدعوة المشروعة، فإن (وسائل الدعوة توقيفية)، وقد حاول الإخوان المفلسون إضفاء الصفة الشرعية عليه، فسموها تمثيلات إسلامية، وسينما إسلامية، وأغاني إسلامية، وبنوك إسلامية... والإسلام بريء من هذا وذاك. ولا يتسع المقام لذكر مفاسدها وما فيها من اختلاط وتصوير وكذب... ومخالفات.

قال تعالى في ذكر أهل الجاهلية: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، والمكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لُحُوقَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا \* قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخَّرَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا \* قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا \* وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ

مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا  
يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿[الإسراء: ٦١ - ٦٤].

وقال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾  
[الفرقان: ٧٢].

وعن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ  
يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخُمَرَ وَالْمُعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ يَرْوَحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ  
لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَغْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعِلْمَ وَيَمَسُخُ  
آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: ولا تغتر أيها القارئ الكريم بما قد تسمع عن بعض  
المشهورين اليوم من المتفقهة من القول بإباحة آلات الطرب والموسيقى، فإنهم - والله - عن  
تقليد يفتون، وهوى الناس اليوم ينصرون، ومن يقلدون؟ إنما يقلدون ابن حزم الذي أخطأ  
فأباح آلات الطرب والملاهي، لأن حديث أبي مالك الأشعري لم يصح عنده، وقد عرفت  
أنه صحيح قطعاً، وأن ابن حزم أتى من قصر باعه في علم الحديث كما سبق بيانه، وليت  
شعري ما الذي حملهم على تقليده هنا دون الأئمة الأربعة، مع أنهم أفقه منه وأعلم وأكثر  
عدداً وأقوى حجة؟! ... ولكنهم إذا عرضت لهم مسألة نظروا في أقوال العلماء فيها، ثم

---

(١) الحديث أخرجه البخاري معلقاً برقم (٥٥٩٠) ووصله الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٣٤١٧)،  
وفي «مسند الشاميين» برقم (٥٨٨)، ووصله غيره، وهو حديث صحيح. وقد أطال الحافظ ابن حجر في  
«الفتح» (٦٦/١٠) في الكلام على هذا الحديث وعلى تعليق البخاري له وكذلك الشيخ الألباني في  
«الصحيحة» برقم (٩١) ورد على ابن حزم تضعيفه الحديث.

أخذوا ما هو الأيسر أو الأقرب إلى تحقيق المصلحة زعموا. دون أن ينظروا موافقة ذلك  
للدليل من الكتاب والسنة، وكم شرعوا للناس - بهذه الطريقة - أمورا باسم الشريعة  
الإسلامية، يبرأ الإسلام منها. فيألى الله المشتكى.

فاحرص أيها المسلم على أن تعرف إسلامك من كتاب ربك، وسنة نبيك، ولا تقل: قال  
فلان، فإن الحق لا يعرف بالرجال، بل اعرف الحق تعرف الرجال.<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: قد عرف بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي لم  
يشرع لصاحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب  
بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعتة واتباع ما جاء به  
من الكتاب والحكمة لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ولا لعامي ولا لخاصي ولكن رخص  
النبي في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس  
والأفراح وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف<sup>(٢)</sup> بل  
قد ثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: التصفيق للنساء والتسييح للرجال» ولعن المتشبهات من  
النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من  
عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثا ويسمون الرجال المغنين  
مخانيثا وهذا مشهور في كلامهم.<sup>(٣)</sup>

---

(١) «الصحيحة» (١/ ١٩٢-١٩٣) القسم الأول.

(٢) ولا يمثل، ولا يرقص، ولا يتمايل، ولا يقفز ويغير صوته!.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٦٥-٥٦٦).

وأما تصوير ذوات الأرواح الذي هو من كبائر الذنوب، والذي لا يتورع عنه الغنوشي حتى مع المتبرجات! فقد قال فيه النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ»<sup>(١)</sup>

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»<sup>(٢)</sup>

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»<sup>(٣)</sup>

وعن أبي زرعة قال: قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ فَرَأَى أَعْلَاهَا مُصَوَّرًا يُصَوِّرُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»<sup>(٤)</sup>

والأدلة في تحريم تصوير ذوات الأرواح كثيرة جدًا.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٩٥١)، ومسلم برقم (٢١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٢٢٥)، ومسلم برقم (٢١٠٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم برقم (٢١١١).

## الفصل العاشر: ثناء الغنوشي على فرنسا

قال الغنوشي: ما يكاد يمر يوم على الممتحنين بالهجرة من أهل شمال إفريقيا في فرنسا (بلد الثورة، بلد الحرية، والأخوة، والمساواة) دون أن تزهق روح أحدهم... اهـ<sup>(١)</sup>

للنقد:

هذا الثناء والمدح يقدمه الغنوشي تملقاً على أعتاب أم العهر والفساد، العدو للإسلام والمسلمين (فرنسا) التي أفسدت بلدان المسلمين بترويج أفكارها عبر وسائل الإعلام والتعليم، وفرض سياساتها الجائرة، والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ولو كان الغنوشي ناصحاً لأمرهم بالهجرة إلى بلاد المسلمين، والقناعة من الدنيا بالقليل وامتنال أوامر الله عز وجل وإقامة الدين، يعيشون في عز وأنفة، مستغنين - بحمد الله - عما في أيادي الكفار والمشركين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا \*

---

(١) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» (ص ١٤٦) الحاشية.

فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا \* وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي  
الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ  
وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿النساء: ٩٧ - ١٠٠﴾.

## الفصل الحادي عشر: الغنوشي وقناة الجزيرة

قال الغنوشي: إن انفجار ثورة الإتصال كسر احتكار الديكتاتور لآذان الناس بعد أن انفتحت على مختلف الأصوات. وما من شك في أن دور الفضائيات ولا سيما (الجزيرة) بالنسبة لعموم الناس وخاصتهم ودور الإنترنت في أوساط المتعلمين ذو فعالية بالغة في تسريع حركة التغيير وفك قبضة الطاغية عن رقاب الناس، حتى أنه يمكن التأريخ لمراحل تطور الأحداث في البلاد ببعض برامج قناة (الجزيرة). اهـ<sup>(١)</sup>

للنقد:

قناة (الجزيرة) تعتبر من القنوات المأجورة! التي تعمل ضد الإسلام والمسلمين، تقلب الحقائق وتبتر الأخبار، وتقدم وتؤخر، وتنقص وتزيد، وتثير الفتن في بلدان المسلمين، وتسعى في تأجيحها، فهي قناة عميلة لليهود والماسونية ينبغي الحذر والتحذير منها وعدم الركون إليها والثقة بأخبارها، والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقد حذر من هذه القناة أهل العلم وأبانوا ما تحمله من شعار الكذب ودثار التقية، وقد فضح الله عز وجل هذه القناة وغيرها من القنوات المأجورة ضد المسلمين في هذه الأحداث والفتن القائمة في بلدان المسلمين، التي كانت لهم اليد الطولى في تأجيحها، فعرّفها كثير من

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس» (ص ١٩٣).

المسلمين وعرفوا شرها ومقاصدها وما زالت بقية في سبات عميق وغفلة سحيقة، لا توقظها إلا دوي المدافع وأصوات الطائرات والدبابات، والله المستعان.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة : ٢٢٠].

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠].

نسأل الله أن يوفق المسلمين إلى كل خير، وأن يأخذ بنواصيهم إلى الحق والهدى والرشاد.

## والتقت حلقتا البطان<sup>(١)</sup> (الخلاصة)

حان الأوان لطبي صفحات هذا الكتاب، والإقصار فيه على ما قد مضى - وفات، وقد تم - بحمد الله - مناقشة راشد الغنوشي في كثير من القضايا والأطروحات، راجين من رب الأرض والسموات أن يجنبنا الحطَل والعثار والزلات.

ومجموع ما عند راشد متركب من بدع وكفريات ومحرمات، وهي كما قيل:

مساوٍ لو قُسم على الغواني      لما أمهرهن إلا بالطلاق  
وخلاصة ما تقدم مما عند راشد:

- سيره على منهج حزب الإخوان المسلمين.
- تبنيه لمصطلحات خاطئة: مصطلح الحركة الإسلامية، مصطلح الصحوة الإسلامية، مصطلح الفكر الإسلامي.
- غلوه فيما يسمونه بفقهِ الواقع.
- الاستدلال بمتشابه الكتاب والسنة على أفكار باطلة.
- اتباع الآراء والأهواء المضلة تحت مسمى الاجتهاد ونبد التقليد.
- الإعتماد على العقل وتقديمه على النقل على طريقة المعتزلة.
- اعتماده على الفلسفة بعد دراستها والتعمق فيها.

---

(١) البطان: حزام الرّحل على البعير، وهو مثل يضرب للأمر إذا اشتد وضاق.

- النقل من كتب أهل الكتاب المحرفة والمقارنة بينها وبين كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- اعتقاده أن الأمة مصدر التشريع.
- اعتقاده أن النصوص الشرعية غير شاملة لجميع أفعال المكلفين.
- جنايته على ثالث الأدلة الشريعية (الإجماع).
- زعمه أن الشورى والإجماع بمعنى واحد.
- إيمانه بالدستور والقانون الوضعيين.
- إيمانه بشرعية حقوق الإنسان والقانون الدولي.
- شذوذه في تعريف الإسلام.
- شذوذه في تعريف التوحيد.
- أشعريته في باب الصفات.
- استهائته بأمر العقيدة.
- تمجيده لمذهب المعتزلة وثنائوه على رؤوس الضلال: معبد الجهني، غيلان الدمشقي، وواصل بن عطاء الغزال.
- تصوفه وانخراط الصوفية معهم في الحزب.
- دخوله مع جماعة التبليغ، وتواجد رجال التبليغ معهم في الحزب.
- محاولة الغنوشي جمع عدد من الفرق تحت مظلة (حزب النهضة)
- دعوته إلى حرية الاعتقاد.
- استدلاله بكفر إبليس على حرية الاعتقاد والتعبير.
- تقسيمه الإسلام إلى: إسلام بالعقيدة وإسلام بالحضارة.

- اعتقاده أن المنافقين مشكلتهم نفسية وليست فكرية.
- دعوته إلى التسامح مع الكافرين ولو كانوا محاربين.
- يجيز للكافرين إقامة المعابد الشركية في بلاد الإسلام.
- يجيز أن يدعو الكافر المسلم إلى دينه في بلاد الإسلام.
- يجيز للأقلية الكافرة في بلاد المسلمين إقامة المحاكم التي تحكم بغير ما أنزل الله.
- يدعو إلى التقريب بين الأديان.
- يصرح بنزع الصفة الشرعية لعقود أهل الذمة ويعتبرها قضية تاريخية غير ملزمة للأمة.
- يلغي حد الردة قرباناً لصنم (حرية الاعتقاد).
- يدعي حظر الرق.
- إيمانه بالديمقراطية.
- يدعي أن الشورى بمعنى الديمقراطية.
- يدعي وجوب الشورى.
- دعوته إلى التحزب والتعددية الحزبية.
- دعوته للإسلاميين إلى دخول المجالس البرلمانية.
- دعوته إلى إنشاء الجمعيات الحزبية.
- طعنه في أنبياء الله عز وجل.
- طعنه في رسول الله ﷺ.
- طعنه في عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم.
- طعنه في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

- طعنه في الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه.
- طعنه في الصحابي الجليل أبي بكر رضي الله عنه.
- تكالبه على السلطة.
- طعنه في كتب السياسة الشرعية وتفسير الحافظ ابن كثير.
- ادعاؤه أن مسألة القرشية في الإمامة مسألة سياسية وليست قضية دينية مؤبدة.
- وصفه المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية.
- تكفيره لكثير من حكام المسلمين ورميهم بالفرعونية.
- دعوته إلى خوض المعارك الانتخابية.
- دعوته إلى الخروج على حكام المسلمين.
- دعوته إلى المظاهرات والإعتصامات والإضرابات.
- اعتقاده نبوة النساء.
- ادعاؤه إمكانية الحد من تعدد الزوجات عند المسلمين.
- يجوز اختلاط الرجال بالنساء.
- يدعو إلى مشاركة المرأة في الحياة السياسية كالقضاء والإمارة ومجلس النواب.
- إيمانه بالإشتركية ودعوته إليها.
- زعمه أن الفرقة الناجية هم كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم.
- تحبّطه في مفهوم السلفية.
- إيمانه بقاعدة البناء: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.
- تعظيمه لابن تومرت الضال.
- إشادته بالمدرسة العقلية الحديثة: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.

- إشادته بالثورة الإيرانية، والرافضي الحميني.

- تكوينه للتنظيم السري.

- دعوته إلى المسرح والسينما والغناء والموسيقى.

- ثناؤه على فرنسا.

- ثناؤه على قناة الجزيرة.

هذا ما تم مناقشة الغنوشي فيه باختصار، ولست أدعي أنني ناقشته في كل ما وقفت عليه من الأخطاء في كتبه التي اعتمدتها في بحثي هذا، فضلاً عما في كتبه ومقالاته الأخرى من الضلالات، فإن شرطي في هذا الرد هو الإعتماد على المصادر المذكورة قبل فحسب.

فهذا ما تيسر نقده نقدًا، وعسى ما تبقى أن يكون نسيئًا.

فسل ذا خِبرة يُنِيكَ عنهم      لتعلم كم خبايا في الزوايا  
والحمد لله رب العالمين.

## الخاتمة

وأخيراً، وليس آخراً، نوجه النصيحة بالتمسك بالكتاب والسنة والإبتعاد عن الأهواء والبدع، والإعتناء بالآثار النبوية، فإنه كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما قلت الآثار في قوم إلا كثرت فيهم الأهواء.

وليُعلم أن هذه الحركات والأحزاب المخالفة زائلة - بإذن الله تعالى - إذ لا يبقى إلا الحق، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].  
وأن تحركها لا بركة فيه، إذ البركة مع السنة والعلم، فهي تتحرك لتموت لا لتحى.

قال العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى: إن هذه الحركات المشوشة أشبه ماتكون بالثور المذبوح، ربما يرفع رأسه أحياناً كأنه يقوم فيجري فيخيف الناس، وهو إنما يضطرب ويتحرك ليموت لا ليحيى، لذلك هذه الحركات وهذه الجماعات... إنما هي حركة الثور المذبوح، فستموت - بإذن الله - إذ لا يبقى إلا الحق، هذه سنة الله في خلقه، الباطل قد تطول مدته حتى تكاد الناس تياس، ولكن العاقبة للمتقين الباطل ينتهي. اهـ<sup>(١)</sup>

فالواجب علينا النصح للمسلمين، والصدع بالحق مع مراقبة النفس وحسن النية، وكما قال الإمام الذهبي رحمه الله: والصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخذل.

---

(١) «الإجابة العلمية على أسئلة من تاب من الحزبية».

رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر هداي إلي  
وانصرني على من بغى علي اللهم اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك مراهبا لك مطوعا إليك مخبتا أو  
منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم

الدين

وكان الفراغ منه في ضحى يوم الخميس الثامن من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٢هـ

بمكتبة دار الحديث بدماج حرسها الله من كل سوء ومكروه

بسم الله الرحمن الرحيم

## فهرس المحتويات

٣	مقدمة فضيلة الشيخ العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى .....
٤	مقدمة .....
١٣	﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ .....
١٥	أهمية الكلام في الجرح والتعديل وقيام السلف به .....
١٨	الباب الأول .....
١٩	الفصل الأول: ترجمة راشد الغنوشي .....
٢٢	الفصل الثاني: بعض أقوال العلماء في راشد الغنوشي .....
٢٦	الفصل الثالث: التعريف بحركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة) .....
٣٠	الفصل الرابع: البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي .....
٣٩	الفصل الخامس: راشد الغنوشي وتركه البناء .....
٤٣	الفصل السادس: الإخوان المسلمون في ميزان الكتاب والسنة .....
٤٧	بعض أقوال العلماء في حزب الإخوان المسلمين .....
٥٨	الباب الثاني .....
٥٩	الفصل الأول: مفاهيم يجب أن تصحح .....
٦٤	الفصل الثاني: مصطلح الحركة الإسلامية .....

٧٠	الفصل الثالث: مصطلح الصحوة الإسلامية
٧٥	الفصل الرابع: مصطلح الفكر الإسلامي
٨٠	الفصل الخامس: مصطلح (فقه الواقع)
٩٢	الباب الثالث: مصادر التشريع ومناهج الاستدلال عند الغنوشي
٩٣	مصادر التشريع ومناهج الاستدلال عند راشد الغنوشي
٩٣	الفصل الأول: الاستدلال بالكتاب والسنة
٩٧	مبحث في الاجتهاد والتقليد
١٠١	الفصل الثاني: العقل
١١٢	الفصل الثالث: الفلسفة
١٢٤	الفصل الرابع: كتب أهل الكتاب
١٢٩	الفصل الخامس: الأمة مصدر التشريع
١٣٣	جناية الغنوشي على ثالث الأدلة الشرعية (الإجماع)
١٤١	الفصل السادس: الدستور والقانون
١٤٧	الفصل السابع: شريعة حقوق الإنسان والقانون الدولي
١٥٥	الباب الرابع:
١٥٦	الفصل الأول: تعريف الإسلام والتوحيد عند الغنوشي
١٦٥	الفصل الثاني: أشعرية الغنوشي في باب الصفات

الفصل الثالث: إستهانة راشد بأمر العقيدة الإسلامية.....	١٧١
الفصل الرابع: تمجيد راشد لمذهب المعتزلة وثناؤه على رؤوس الضلال: معبد الجهني، غيلان	
الدمشقي، وواصل بن عطاء الغزال .....	١٧٧
الفصل الخامس: حزب النهضة حركة صوفية بشهادة مؤسسه الغنوشي .....	١٨٩
الفصل السادس: جماعة التبليغ متواجدون داخل حزب النهضة.....	٢١٤
فتوى محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن جماعة التبليغ .....	٢١٦
الفصل السابع: الدليل على أن الغنوشيَّ حاطب ليل .....	٢١٨
الباب الخامس: .....	٢٢١
الفصل لأول: دعوة الغنوشي إلى حرية الإعتقاد .....	٢٢٢
الفصل الثاني: الغنوشي يستدل بكفر إبليس على حرية الإعتقاد والتعبير .....	٢٣٣
الفصل الثالث: ﴿لا إكراه في الدين﴾ .....	٢٣٦
فتوى الشيخ ابن عثيمين في الدعوى إلى حرية الإعتقاد .....	٢٤٠
الفصل الرابع: الإسلام عند راشد الغنوشي: إسلام بالعقيدة وإسلام بالحضارة.....	٢٤١
الفصل الخامس: الغنوشي: المنافقون مشكلتهم نفسية وليست فكرية! .....	٢٤٤
الفصل السادس: نتيجة حرية الإعتقاد: دعوة الغنوشي إلى التسامح مع الكافرين ولو كانوا	
محاربين .....	٢٤٨

الفصل السابع: الغنوشي يميز للكافرين إقامة المعابد في بلاد الإسلام ودعوة المسلمين إلى الكفر .....	٢٥٣
الفصل الثامن: الغنوشي يميز للأقليات الكافرة في بلاد المسلمين إقامة المحاكم التي تحكم بينهم بغير ما أنزل الله .....	٢٥٧
الفصل التاسع: الغنوشي من دعاة التقريب بين الأديان .....	٢٦١
الفصل العاشر: الغنوشي يصرح بنزع الصفة الشرعية لعقود أهل الذمة ويعتبرها قضية تاريخية غير ملزمة للأمة .....	٢٦٥
الفصل الحادي عشر: ذكرُ الشروط العمرية .....	٢٧١
الفصل الثاني عشر: الغنوشي يلغي حد الردة قرباناً لصنم (حرية الإعتقاد) .....	٢٧٧
الفصل الثالث عشر: الغنوشي يدعي حظر الرق .....	٢٨٦
الفصل الرابع عشر: كسر طاغوت: نزع الصفة الشرعية وإضفاء الصفة التاريخية على الأحكام الإلهية .....	٢٩١
الباب السادس: .....	٢٩٧
الفصل الأول: الغنوشي يستقسم بأزلام الديمقراطية .....	٢٩٨
الفصل الثاني: الفروق بين الشورى والديمقراطية .....	٣١٤
الفصل الثالث: الغنوشي: تارك الشورى مثل تارك الصلاة .....	٣٢٠
الفصل الرابع: دعوة الغنوشي إلى التحزب والتعددية الحزبية .....	٣٢٤
الفصل الخامس: دعوة الغنوشي للإسلاميين إلى دخول المجالس البرلمانية .....	٣٣٣

٣٣٨ .....	الفصل السادس: دعوة الغنوشي إلى إنشاء الجمعيات الحزبية
٣٤٣ .....	الباب السابع:
٣٤٤ .....	الفصل الأول: طعن الغنوشي في أنبياء الله عز وجل
٣٤٦ .....	الفصل الثاني: الطعن في رسول الله ﷺ
٣٥٠ .....	الفصل الثالث: ذكر نُبذ من فضائل أصحاب النبي ﷺ، مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم
٣٥٦ .....	الفصل الرابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره من الصحابة
٣٦٦ .....	الفصل الخامس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما
٣٧١ ...	الفصل السادس: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه
٣٧٤ .....	الفصل السابع: طعن الغنوشي في الصحابي الجليل أبي بكر رضي الله عنه
٣٧٨ .....	الباب الثامن
٣٧٩ .....	الفصل الأول: الغنوشي والتكالب على السلطة
٣٨١ .....	الفصل الثاني: طعن الغنوشي في كتب السياسة الشرعية وتفسير الحافظ ابن كثير
٣٨٣ .....	الفصل الثالث: دفع التهمة عن أهل السنة أنهم ليس لهم عناية بالسياسة
٣٨٥ .....	الفصل الرابع: الغنوشي: مسألة القرشية في الإمامة العظمى مسألة سياسية وليست قضية دينية مؤبدة

الفصل الخامس: وصف الغنوشي المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية .....	٣٩٠
الفصل السادس: تكفير الغنوشي لكثير من حكام المسلمين ورميهم بالفرعونية .....	٣٩٣
الفصل السابع: دعوة الغنوشي إلى خوض المعارك الانتخابية .....	٣٩٧
الفصل الثامن: دعوة الغنوشي إلى الثورة (الخروج) على حكام المسلمين .....	٤٠١
الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المظاهرات والإعتصامات والإضرابات .....	٤١٠
الباب التاسع: .....	٤١٧
الفصل الأول: راشد الغنوشي واعتقاد نبوة النساء .....	٤١٨
الفصل الثاني: الغنوشي يدعي إمكانية الحد من تعدد الزوجات عند المسلمين .....	٤٢٠
الفصل الثالث: الغنوشي يجوز اختلاط الرجال بالنساء .....	٤٢٢
الفصل الرابع: الغنوشي يدعو إلى مشاركة المرأة في الحياة السياسية كالقضاء والإمارة ومجلس النواب .....	٤٢٨
الباب العاشر: .....	٤٣٧
الفصل الأول: إيمان الغنوشي بالإشتركية ودعوته إليها .....	٤٣٨
الفصل الثاني: الغنوشي: الفرقة الناجية هم كل جماعات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم .....	٤٤٦
الفصل الثالث: تحبط الغنوشي في مفهوم السلفية .....	٤٥٢
الفصل الرابع: الغنوشي وقاعدة المعذرة والتعاون .....	٤٥٧

٤٦١ .....	الفصل الخامس: الغنوشي وابن تومرت
٤٦٧ .....	الفصل السادس: الغنوشي والمدرسة العقلية: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده
٤٧٥ .....	الفصل السابع: الغنوشي.. والثورة الإيرانية.. والخميني.. وإيران؟
٤٨٦ .....	الفصل الثامن: الغنوشي وتكوينه للتنظيم السري... حقائق مخفية؟! .....
٤٩٠ .....	الفصل التاسع: دعوة الغنوشي إلى المسرح والسينما والغناء والموسيقى .....
٤٩٥ .....	الفصل العاشر: ثناء الغنوشي على فرنسا .....
٤٩٧ .....	الفصل الحادي عشر: الغنوشي وقناة الجزيرة .....
٤٩٩ .....	والتَقَّتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ (الخلاصة) .....
٥٠٤ .....	الخاتمة .....
٥٠٦ .....	فهرس المحتويات .....